المجلس الأعلى للثقافة

الروائع من الأدب العربي

الجزء الثالث

القرن الأول الهجري

إشراف

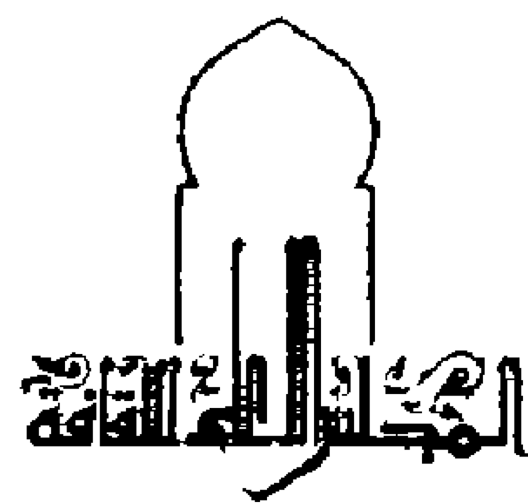
الدكتور عز الدين إسماعيل

الروائع من الأدب العربى

المجلس الأعلى للثقافة
لجنة الدراسات الأدبية

الروائع من الأدب العربي

الجزء الثالث



١٩٩٨

تصديــر

هذا هو الجزء الثالث من سلسلة «الروائع من الأدب العربى»، الذى يسعد لجنة لدراسات الأدبية واللغوية بالمجلس الأعلى للثقافة أن تقدمه إلى محبى التراث الأدبى لعربى، شعره ونثره، وإلى شداة الأدب بصفة عامة، لعله يكون إضافة إلى ما حصلوه من خبرة بأروع النماذج الأدبية العربية فى الأزمنة القديمة خلال الجزئين الأول والثانى من هذه السلسلة.

وإذا كان الجزء الثانى من هذه السلسلة قد اشتمل فى تقديمه على ما التزمت به اللجنة فيما اختارت من النماذج الشعرية والنثرية، فإن هذا الالتزام يظل أساساً يعمل به فى هذا الجزء كذلك، ألا وهو أن تكون المختارات - شعراً ونثراً - معبرة عن فضل ما أنتجه أصحابها، من جهة، وعن العصر الذى أفرزها، من جهة أخرى.

وقد استتبع ذلك الالتزام مجموعة من القواعد الاسترشادية، التى تعين الخطوط العامة لمنهج اللجنة فى عملها فى ذلك الجزء. وهنا نقول: إن هذه القواعد تظل أساس العمل كذلك فى هذا الجزء الثالث. والأمر كذلك فيما يتعلق بمراحل الإنجاز العلمى لذلك الجزء، فقد ظلت هى نفسها المراحل التى مر بها إنجاز الجزء الحالى.

وقد كان المظنون أن يستقل كل جزء من أجزاء هذه السلسلة بقرن من الزمان؛ ومن ثم اختص الجزء الثانى منها - على نحو ما يعلن خلاف ذلك الجزء - بالقرن الأول الهجرى. ومع ذلك لم يكن من المستطاع الالتزام بحرفية هذا التحديد، حيث أن

بعض الشعراء والكُتّاب كانوا قد عاشوا شطراً من حياتهم فى زمن الدولة الأموية، وشطراً آخر فى زمن العباسيين، وسمُّوا لذلك «مخضرمى الدولتين». ومن ثم اتخذت السنة حينذاك من عام ١٢٥هـ حداً أقصى لوفاة من تختار لهم فى المجلد الثانى، تاركة ما يمكن أن يختار من أعمال من توفوا بعد هذا التاريخ للمجلد الثالث.

وها هو ذا المجلد الثالث، يبدأ من حيث انتهى الجزء الثانى، فتُختار النصوص الشعرية والنثرية فيه لمن توفوا بعد ذلك التاريخ. ومع ذلك لا يتوقف هذا الاختيار إلى نهاية القرن الثانى ضربة لازب؛ وذلك لأن بعض من اختير لهم من أبناء القرن الثانى قد امتد بهم العمر إلى القرن الثالث، ومنهم من توفى فى حدود سنة ٢٣٠هـ، كالشاعر محمود الوراق.

والحقبة التى تتعلق بها نصوص هذا الجزء الجديد من السلسلة هى حقبة التحول من الدولة الأموية إلى الدولة العباسية، وما استتبعه هذا التحول السياسى من أشكال التغير فى بنية المجتمع، وفى السياسات التى تحكم العلاقة - فى جسم الدولة - بين العرب والمسلمين من غير العرب. ومع أن الدولة العباسية بدأت فى عام ١٣٢هـ قوية، واستمر الخط البيانى لقوتها فى صعود طوال القرن الثانى، فإن هذا ما يحل دون ظهور أشكال جديدة من الصراعات على المستويات المختلفة: السياسية والاجتماعية والأدبية والثقافية بعامة. وقد كان لهذا كله صداه المباشر أو غير المباشر فى النتاج الأدبى لتلك الحقبة، حتى ليمكننا أن نقول: إن ذوقاً جديداً فى الشعر، ونهجاً جديداً فى النثر، قد تخلقا فى غضون تلك الحقبة. وهذا ما نرجو أن تدل عليه النصوص المختارة، التى يضمها هذا الجزء الثالث.

وأخيراً.. لابد من كلمة شكر وعرفان لكل من أعان بطريق مباشر أو غير مباشر على إخراج هذا المجلد فى هذه الطبعة، وللأستاذة عائشة عبدالرحمن، الأمينة الفنية للجنة الدراسات الأدبية واللغوية، لدورها الأساسى فى المتابعة.

دكتور عز الدين إسماعيل

مقرر لجنة الدراسات الأدبية واللغوية

أسماء
أعضاء لجنة الدراسات الأدبية
التى أعدت هذا الجزء

أ . د . عز الدين إسماعيل — مقرر اللجنة

أ . د . إبراهيم عبد الرحمن

أ . د . رمضان عبد التواب

أ . د . صلاح فضل

أ . د . أحمد الهوارى

أ . د . فخرى قسطندى

أ . د . محمد أبو الأنوار

أ . د . محمد زكى العشماوى

أ . د . محمد مصطفى هدارة

أ . د . محمد عونى عبد الرءوف

أ . د . محمد عبد المحسن طه بدر

أ . د . محمد زغلول سلام

أ . د . محمد فتوح أحمد

أ . د . محمود الربيعى

الفهرس

صفحة

أبو العباس السفاح
(ت ١٣٦ هـ)

كان أول من جلس على عرش الدولة العباسية هو عبدالله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم كان أبوه محمد أول من اضطلع بنشر الدعوة العباسية فى أواخر العصر الأموى حتى مات سنة ١٢٥هـ وكان قد أوصى بالإمامة من بعده لابنه إبراهيم وكان النزاع حاداً مع بنى أمية فقبض على إبراهيم وحبس فى خراسان ثم قتل سنة ١٣٢ هـ. وقام الأتباع بعد مقتله بالتسليم بالخلافة على أبى العباس بالكوفة لأن أمه كانت عربية وعدلوا عن أخيه أبى جعفر مع أنه أكبر منه لأن أمه كانت أم ولد.

وكان السفاح رجلا وسيماً جميل الخلقة وكان طويلاً أبيض اللون حسن الوجه واللحية، وكان كريما حليماً وقوراً كثير الحياء حسن الأخلاق. وكان صاحب احتراس إذا شك وبطش إذا غضب. وبقى على الخلافة أربع سنين وتسعة أشهر وتوفى بمدينة الأنبار التى اتخذها قاعدة لخلافته وذلك يوم الأحد لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ذى الحجة سنة ١٣٦هـ وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وقيل ابن تسع وعشرين.

خطبة أبى العباس السفاح وقد بويع بالخلافة

صَعِد أبو العباس السَّفَّاح المنْبَرَ حين بويع له بالخلافة. فقام فى أعلاه، وصَعِد عمه داود بنُ علىّ فقام دونه، وتكلم أبو العباس، فقال:

« الحمد لله الذى اصطفى الإسلام لنفسه تكرمةً، وشَرَّفه وعظَّمه. واختاره لنا وأيَّده بنا. وجعلَنَا أهلَه وكَهْفَه [1] وحصنَه. والقُوَّام به. والذابين عنه. والناصرين له. وألْزَمنا كلمةَ التَّقْوى، وجعلَنا أحقَّ بها وأهْلَها، وخصَّنا برَحِم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابته، وأنشأنَا من آبائه. وأنبتَنا من شجرته. واشتقَّنا من نَبعَته [2]، جعلَه من أنفسنا عَزيزاً عليه ما عنِتْنا [3]. حَريصاً علَيْنا. بالمُؤمنِيينَ رءوفاً رحيماً، ووضعَنا من الإسلام وأهلِه بالموضع الرفيع، وأنزل بذلك على أهلِ الإسلام كتاباً يُتلى عليهم، فقال عزَّ من قائل، فيما أنزل من مُحْكَمَ القرآن: «إِنَّمَا يريدُ اللهُ ليُذْهِبَ عنكم الرِّجْس[4] أهْلَ البَيْت ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهيراً»، وقال: «قُلْ لاَ أسْأَلُكُمْ علَيْه أجْراً إلا المودَّةَ فى القُرْبَى»، وقال: «وأَنْذِرْ عَشيرَتَكَ الأقْرَبِين» وقال: «مَا آفَاءَ[5] اللَّهُ علَى رَسُوله منْ أهْل القُرَى فللّه وللرَّسُول ولذى القُرْبَى واليَتَامَى»، وقال: «واعْلَمُوا أنَّمَا غَنِمْتُم مِنْ شَيْءٍ فأَنَّ لله خُمُسَهُ وللرَّسُول ولذى القُرْبَى واليَتَامَى» فأَعْلَمَهم جلَّ ثناؤه فَضْلَنا، وأوجب عليهم حقَّنا ومودَّتنا، وأجزل من الفَىء[6] والغنيمة نصيبَنا، تَكْرِمةً لنا، وفضلاً علينا، والله ذو الفضل العظيم.

(١) الكهف: الوزر والملجأ.
(٢) النبع فى الأصل: شجر للقسى والسهام.
(٣) العنت بالتحريك: دخول المشقة على الإنسان.
(٤) القذر، وكل ما استقذر من العمل.
(٥) ما أعاده عليه أى صيره له.
(٦) الغنيمة.

وزعمت السَّبئية الضُّلال أن غيْرَنَا (٧) أحقُّ بالرياسة والخلافة منا، فشاهت(٨) وجُوهُهم! بِمَ ولِمَ أيها الناس؟ وبنا هدى الله الناس بعد ضَلالتهم، وبصَّرهم بعد جهَالتهم، وأنقذهم بعد هلَكَتهم، وأظهر بنا الحقَّ، وأدْحَضَ بنا الباطل، وأصلح بنا منهم ما كان فاسداً، ورفع بنا الخَسيسة، وأتمَّ بنا النَّقيصة، وجمع الفُرقة، حتى عاد الناسُ بعد العداوةِ أهلَ تَعَاطُف وبرٍّ، ومُواساةٍ في دينهم ودنياهم، وإخواناً على سُرُرٍ متقابلين في آخرتهم، فتح الله ذلك مِنَّةً ومِنحةً لمحمد صلى الله عليه وسلم، فلما قبضه الله إليه قام بذلك الأمرِ من بعده أصحابُه، وأَمْرُهم شُورَى بينهم، فحَوَوا مَوَاريثَ الأمم، فعَدَلوا فيها، ووَضعوها مواضعَها، وأعطوْها أهلَها، وخرجوا خِماصاً (٩) منها، ثم وثب بنو حرب ومَرْوان فابتزُّوها وتداولوها بينهم، فجاروا فيها، واستأثروا بها، وظلموا أهلها، فأملى الله لهم حيناً (١٠) حتى آسفوه(١١)، فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا، وَرَدَّ علينا حقَّنا، وتدارك بنا أُمَّتَنا، ووَلِيَ نصرنا والقيامَ بأمرنا، ليَمُنَّ بنا على الذين استُضْعِفُوا في الأرض، وختم بنا كما افتتحَ بنا وإني لأرجو ألا يأتيكم الجَوْرُ من حيثُ أتاكم الخير، ولا الفسادُ من حيث جاءكم الصلاح، وما توفيقنا أهلَ البيت إلا بالله.

يا أهل الكوفة، أنتم مَحَلُّ محبتنا، ومنزلُ مودَّتنا، أنتم الذين لم تتغيَّروا عن ذلك، ولم يُثنكم عن ذلك تحامُلُ أهل الجَوْر عليكم، حتى أدركتم زماننا،

---

(٧) يريد العلويين.

(٨) شاه وجه شوها بالفتح: قبح.

(٩) خماصا جمع خميص من خمص البطن مثلثة الميم أي خلا، والمخمصة: المجاعة، وهو خمصان بالضم، وخميص الحشا: ضامر البطن..

(١٠) أمهلهم.

(١١)أغضبوه.

وأتاكم الله بدولتنا، فأنتم أسعدُ الناس بنا، وأكرمهم علينا، وقد زِدْتُكم في أُعْطياتِكم مائةَ درهم، فاستعدوا، فأنا السفّاح المبِيح، والثائر المُبير،(١٢).

وكان موعوكاً فاشتد به الوَعْك(١٣)، فجلس على المنبر.

(١٢) أباره: أهلكه.
(١٣) الوعك: أذى الحمى ووجعها، وألم من شدة التعب.

أم جعفر بن يحيى البرمكى

هى فاطمة بنت محمد بن الحسين بن قحطبة بن شبيب[1] أرضعت الرشيد وربى فى حجرها، هى سيدة جليلة ذات نفوذ وسلطان، كان الرشيد يشاورها مظهرا لإكرامها والتبرك برأيها، وكان قد آلى على نفسه وهو فى كفالتها ألا يحجبها وألا تستشفعه إلا شفعها، وأقسمت أم جعفر ألا دخلت عليه إلا مأذونا لها، ولاتشفعت لأحد لغرض دنيا، ثم كان ما كان من أمرها فى نكبة البرامكة.

وكانت أم جعفر توقع على حواش الكتب وأسافلها أجود التوقيعات، يقول عنها عمرو بن مسعدة كاتب المأمون: قرأت لأم جعفر توقيعات بحواش الكتب وأسافلها فوجدتها أجود اختصارا وأجمع للمعانى.

وأشارت بعض المراجع إلى أنها ماتت بالرقة ولم تشر إلى سنة الوفاة.

استعطاف أم جعفر بن يحيى للرشيد

روى صاحب العقد قال:

«كانت أمُّ جعفر بن يحيى[2] - وَهى فاطمةُ بنتُ محمد بنِ الحسين بنِ

---

(١) هكذا نص العقد الفريد على اسمها وفى رواية الطبرى يقول هى زينب بنت منير،

(٢) كان البرامكة قد استأثروا بشئون الدولة وأموالها، وغلبوا الرشيد على سلطانه، ولم يكن له معهم تصرف فى ملكه، ولم يبق له من الخلافة إلا رسمها وصورتها - وحديثهم فى ذلك طويل، ليس ها هنا موضعه=

قَحْطبة ـ أرضعت الرشيد بن جعفر، لأنه كان رُبِّى فى حجْرها وَغُذِّى برسْلها(٣)، لأن أمه ماتت عن مَهده، فكان الرشيد يشاورها مُظْهِراً لإكرامها، والتبرك برأيها، وكان آلى وَهو فى كفَالتها، أن لا يحبجها ولاستشفعته لأحد إلا شفَّعها، وآلَت عليه أُمُ جعفر أن لا دخلَتْ عليه إلا مأذوناً لها، ولا شفعتْ لأحدٍ مقترفٍ ذنْباً، فكم أسيرٍ فكّتْ، ومبهمٍ عنده فتحتْ، ومستغلقٍ منهُ فرَّجت، واحتجب الرشيدُ بعد قدومه(٤)، فطلبت الإذن عليه من دار الباقونة، ومتّتْ(٥) بوسائلها إليه، فلم يأذن لها، ولا أمر بشيء فيها، فلما طال ذلك بها خرجتْ كاشفةً وجهها، واضعة لثامها، مُحْتفيةَ (٦) فى مشيها، حتى صارت بباب قصر الرشيد، فدخل عبدُالملك بن الفضل الحاجب، فقال: ظئرُ(٧) أميرِ المؤمنين بالباب، فى حالة تَقْلب شماتةَ الحاسد، إلى شفقة أُمِّ الواحد، فقال الرشيد: ويحك يا عبدَ الملك أوَ ساعيةً؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين حافيةٌ. قال: أدْخلْها يا عبدَالملك، فربَّ كبدٍ غذَّتها، وكُرْبةٍ فرَّجتها، وعوْرةٍ سترَتْها، فدخلت، فلما نظر الرشيدُ إليها داخلةً محتفيةً، قام محتفياً حتى تلقَّاها بين عمَد المجلس وأكبَّ على تقبيل رأسها، ومواضعِ ثدْييها، ثم أجلسها معه، فقالت: يا أمير المؤمنين أيَعْدُو علينا الزمان، ويجفونا خوفاً لك الأعوانُ، ويحرِّدُك(٨) بنا البُهتان، وقد ربيْتك فى حجْرى، وأخذتُ برضاعك الأمانَ من عدوِّى ودهْرى؟ فقال لها: وما ذلك يا أم الرشيد، قالت: ظئرك يحيى، وأبوك بعد أبيك، ولا أصفه بأكثر

=فعزم على نكبتهم، حتى انتهز فرصة رجوعه معهم من الحج سنة ١٨٧، فقتل جعفر ليلا فى طريقه، وقبض على يحيى وابنه الفضل وبقية البرامكة، وحبسهم فى سجن الزنادقة إلى أن ماتوا فيه واستصفى أموالهم وضياعهم.

(٣) الرسل: اللبن.

(٤) أى من الحج.

(٥) توسلت.

(٦) احتفى: مشى حافيا.

(٧) الظئر: العاطفة على ولد غيرها، المرضعة له، فى الناس وغيرهم، للذكر وللأنثى.

(٨) يغضبك .

مما عرفه به أميرُ المؤمنين: من نصيحته، وإشفاقه عليه، وتعرُّضه للْحَتْف في شأن موسى أخيه، قال لها: يا أمّ الرشيد، أمر سبق، وقضاء حُم (م)، وغضب من الله نفَذ، قالت: يا أمير المؤمنين «يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»(م) قال: صدقت فهذا مما لم يمحُه الله. فقالت: الغيبُ محجوبٌ عن النبيين، فكيف عنك يا أمير المؤمنين؟ فأطرق الرشيد مليّاً، ثم قال:

وإذا المنيةُ أنشبَتْ أظفارَها ألفيتَ كلَّ تَميمةٍ لا تنفع(٩)،

فقالت بغير رويَّة: ما أنا ليَحْيَى بتميمةٍ يا أمير المؤمنين، وقد قال الأول(١٠):

وإذا افتقرتَ إلى الذخائر لم تجد ذُخراً يكون كصالح الأعمال

هذا بعد قول الله عز وجل، «والْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ والْعَافِينَ عَنِ النَّاس وَاللَّه يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ». فأطرق هارون مليّاً. ثم قال: يا أم الرشيد أقول:

إذا انصرفتْ نفسي عن الشيءِ لم تَكَدْ إليه بوَجْهٍ آخرَ الدهرِ تُقْبِلُ

فقالت: يا أمير المؤمنين وأقول:

ستقطَعُ فى الدنيا إذا ما قَطَعتنى يمينَك فانظرْ أيَّ كفٍّ تَبَدَّلُ(١١)

قال هارون: رضيتُ، قالت: فهَبْه لي يا أمير المؤمنين، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «منْ تَرَكَ شيئاً لله، لم يوجِدْه(١٢) الله لفَقْده، فأكبَّ هارون مليّاً، ثم رفع رأسه يقول: «لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ، قالَتْ: يا أمير

(م) حم: قدر.
(م) أم الكتاب: أصله، أو اللوح المحفوظ.
(٩) التمائم جمع تميمة: وهى العوذة التى تعلق على الصبى دفعاً للعين، أو المرض والبيت لأبى ذؤيب الهزلى.
(١٠) هو الأخطل.
(١١) هذا البيت والذى قبله من قصيدة ابن أوس المزنى مطلعها:
لعمرك ما أدرى، وإنى لأوجل على أينا تعدو المنية أول؟
(١٢) أى يحزنه.

المؤمنين: «ويومئذٍ يفرحُ المؤمنون بنصرِ الله ينصرُ من يشاءُ وهو العزيزُ الرَّحيمُ». واذكر يا أمير المؤمنين أليَّتك(١٣) ما استشفعتُ إلا شفَّعتني. قال: واذكرى يا أم الرشيد أليَّتكَ أنْ لا شفعت لمقترفٍ ذنباً، فلما رأته صرَّح بمنعها، ولاذ (١٤) عن مطلبها، أخرجتْ حقًّا من زُمُرُّدةٍ(١٥) خضراءَ، فوضعتْهُ بين يديه، فقال الرشيد: ما هذا؟ ففتحتْ عنه قُفلا من ذهب، فأخرجت منه خَفْضَتَه(١٦) وذوائبَه وثناياه، قد غَمَسَتْ جميعَ ذلك فى المسك فقالت: يا أمير المؤمنين، أستشفعُ إليك، وأستعينُ بالله عليك، وبما صار معى من كريم جسدِك، وطيِّب جوارحك، ليَحيَى عبدِك، فأخذ هارون ذلك فلثَمه، ثم استعبر وبكى بكاء شديداً، وبكى أهل المجلس. ومرَّ البشير إلى يحيى، وهو لايظن الا أن البكاء رحمةٌ له، ورجوعٌ عنه. فلما أفاق رمى جميعَ ذلك فى الحُقِّ، وقال لها: لَحَسَنٌ ما حفظْتِ الوديعة، قالت: وأهلٌ للمكافأة أنتَ يا أمير المؤمنين، فسكتَ وأقفل الحُقَّ، ودفعه إليها، وقال: «إن الله يأمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأماناتِ إلى أهْلِها»، قالت: واللهُ يقول: «وَإذَا حَكَمْتُمْ بيْنَ النَّاسِ أنْ تَحْكُمُوا بالْعَدْلِ»، ويقول: «وأَوْفُوا بِعَهْدِ الله إذَا عَاهَدْتُم»، ثم قال: وما ذلك يا أم الرشيد؟، قالت: أو ما أقسمتَ لى به ألا تحجبنى ولا تَمْتَهِننى(١٧)؟ قال: أحبُّ يا أم الرشيد أن تشتريه محكمَةَ فيه، قالت: أنصفت يا أمير المؤمنين، وقد فعلتُ غيرَ مُستَقيلة لك، ولا راجعةٍ عنك. قال: بكم؟ قالت: برضاك عمَّنْ لم يُسْخِطْك، قال: يا أم الرشيد أما

---

(١٣) الألية: القسم.

(٨) يغضبك.

(١٤) أى لم يجبه.

(١٥) الزمرد والزمرذ بالدال والذال.

(١٦) خفض الجارية كضرب خفضا، وهو كالختان للغلام.

(١٧) امتهنه: ابتذله.

لى عليك من الحقّ مثل الذى لهم؟ قالتْ: بلى يا أمير المؤمنين، أنت أعزُّ علىّ، وهم أحبُّ إلىّ. قال: فتحكّمى فى تَمْنِيةٍ بغيرهم، قالت: بلى قد وهبتكه، وجعلتك فى حلٍّ منه، وقامت عنه، وبقى مبْهُوتاً ما يُحير[18] لفظةً.

---

(18) يحير: يرد.

صالح بن عبد الجليل

كان ناسكا مفوها قوى التأثير حين يقص ويعظ، كان دائم التردد على الخليفة المهدى، يطيل فى وعظه حتى يبكيه، ولم تحدد المصادر التى بين أيدينا سنة ميلاده أو وفاته.

من موعظة له بين يدى الخليفة المهدى:

أنه لما سَهُل علينا ما توعّر على غيرنا من الوصول إليك، قمنا مقام الأداء عنهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم. بإظهار ما فى أعناقنا من فريضة الأمر والنهى عند انقطاع عذْر الكتمان ولا سيما حين اتّسمت بميسم التواضع. ووعدت الله وحمَلَة كتابه إيثار الحق على ما سواه، فجمعنا وإياك مشهد من مشاهد التمحيص ليَتمّ مؤدّينا على موعود الأداء. وقابلنا علي موعود القبول. أو يزيدنا تمحيص الله إيانا فى اختلاف السر والعلانية، ويحلينا حلية الكذابين، فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون: من حجم اللّه عنه العلم عذّبه على الجهل، وأشدُّ منه عذابا من أقبل إليه العلم وأدبر عنه، ومن أهدى الله إليه علماً فلم يعمل به، فقد رغب عن هديّة الله وقصّر بها، فاقبل ما أهْدَى الله إليك من ألسنتنا قبول تحقيق وعمل، لا قبول سمعة ورياء فإنه لايعدمك منا إعلام لما تجهل، أو مواطأة على ما تعلم، أو تذكير من غفلة. فقد وطّن الله عز وجلّ نبيّه عليه السلام على نزولها تعزيةً عما فات، وتحصينا من التمادى ودلالةً على المخرج فقال: (وإما ينْزَغنّك من الشيطان نزْغ فاستعذ بالله)، فأطلع الله على قلبك بما ينوّره من إيثار الحق ومنابذة الأهواء، ولاحول ولا قوة إلا بالله.

هارون الرشيد
(١٤٥ - ١٩٣ هـ)

هو هارون الرشيد بن المهدى بن المنصور بن محمد بن على بن عبدالله ابن العباس بن عبد المطلب.

وهو أشهر خلفاء بنى العباس ولى الخلافة من (١٧٠ - ١٩٣هـ) وبلغت بغداد فى عهده درجة لم تصل إليها من قبل، فأصبحت مركز التجارة ومقصد أهل العلم والأدب، واشتهر اسم الرشيد فى بلاد الغرب، لما كان بينه وبين «شرلمان» ملك الفرنجة من العلاقات السياسية وأواصر الود والصفاء.

ولم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء والقراء والقضاة والكتاب، والندماء والمغنين ما اجتمع على باب الرشيد، وكان يصل كل واحد منهم أجزل صلة وفى عهده ذاع صيت البرامكة ووقعت نكبتهم المشهورة، وكان فاضلا شاعراً راوية للأخبار والآثار والأشعار صحيح الذوق والتمييز مهيبا عند الخاصة والعامة.

ومن يتعقب أخبار الرشيد على سعتها وتعدد مناحيها يلاحظ أنه رجل يبلغ الغاية فى النهوض بالتبعة وفى التمتع بالحياة، وتقابل هذين الطرفين فى شخصية دليل خصوبتها وتفاعلها مع معطيات الحياة من حولها، ومثل هذه الشخصية لابد أن تتعدد جوانب العطاء فى تاريخهاوتكثر مشكلاتها وتثقل

تبعاتها، وقد كان كذلك، ولاعجب أن يوصف بعد ذلك بأنه صاحب العصر الذهبى فى تاريخ الدولة العباسية.

وصية الرشيد لمؤدب ولده الأمين

وَوَصى الرشيد مؤَدب ولَده الأمين، فقال:

«يَا أَحْمَرُ(١)، إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مُهجْةَ نفسه، وثَمَرَة قلبه، فصير يدَك عليه مبسوطةً وطاعتَه لك واجبة، فكن له حيث وضعَك أمير المؤمنين، أقرئْه القرآن، وعَرّفْه الأخبار، ورَوّه الأشعار، وعَلّمه السنن. وبَصّره بمواقع الكلام وبَدْئه، وامنعْه من الضّحك إلا فى أوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بنى هاشم إذا دخلوا عليه، ورَفْع مجالسِ القُوّاد إذا حَضَرُوا مجلسَه، ولاتمرّنّ بك ساعةٌ إلا وأنت مغتنم فائدةً تفيده إياها، من غير أن تُحْزِنَه، فتُميتَ ذهنَه، ولا تُمْعِنْ فى مسامحته، فيستحلىَ الفراغَ ويَألَفه، وقَوّمْه ما استطعتَ بالقرب والملاينة، فإنْ أباهُما فعليك بالشدة والغِلْظَة».

(١) هو على بن المبارك الأحمر صاحب الكسائى، وكان يؤدب الأمين، وكان مشهوراً بالنحو واتساع الحفظ، ومات سنة ٢٠٦، أو سنة ٢٠٧.

عبد الله بن المقفع

(٨٠ - ١٤٢ هـ)

اسمه فى الفارسية (رُوزْبه) ومعناه (المبارك) ولد فى قرية بفارس اسمها (جور) وهى (فيروز آباد) الحالية، ولما أسلم سمى (عبد الله) وكنى (بأبى محمد) وعرف بابن المقفع لأن أباه (راذويه) كان متوليا خراج فارس من قبل الحجاج فضربه الحجاج لمالٍ احتجنه، حتى تقفعت يده.

وكان ابن المقفع عظيم الصلة بعيسى بن على عم الخليفة المنصور وجعله عيسى كاتباً له، وقد أسلم ابن المقفع عندما توطدت صلته بالعباسيين وقتل ابن المقفع فى عهد المنصور على يد سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبى صفرة نائب البصرة وفى سبب مقتله أقوال شتى لعل أقربها إلى الصواب رغبته فى الإصلاح السياسى الذى عبر عنه بقوة ووضوح فى كتابه (رسالة الصحابة) أما تهمة الزندقة التى شاعت حوله فيجب أن تقابل باحتياط شديد لأن تراث ابن المقفع يردها.

وابن المقفع هو أول من نقل الديوان من الفارسية إلى العربية وكانت الترجمة فى عصر ابن المقفع رائجة منتشرة ولكن اهتمام أكثر المترجمين كان متجهاً إلى العلوم أكثر من الأدب. وهنا يظهر نبوغ ابن المقفع عندما قام بترجمة نماذج من التراث الأدبى فى مقدمتها (كليلة ودمنة).

(★) هناك آراء أخرى فى تاريخ مولده ووفاته وما ذكر هنا أرجحها لدى الباحثين المعاصرين.

وقد تميز أسلوب ابن المقفع بالجمال والدقة والسعة وقد ذُلّل النثر على يديه لكل الموضوعات وأصبح وسيلة قادرة على التأليف الجميل والتصنيف الحسن.

ومن أشهرآثار ابن المقفع المطبوعة: الأدب الكبير، والأدب الصغير، ورسالة الصحابة، وكليلة ودمنة.

ويتميز ابن المقفع بأنه كان عظيم السجايا معروفا بالمروءة والحكمة، والوفاء للأصدقاء والتضحية بالنفس من أجلهم، وكان مرحاً حلو الدعابة عذب الحديث، مهذب الأخلاق، جريئاً فى الحق، شديد الاعتزاز بالرأى، وكان مع ذلك جم التواضع.

الرسالة اليتيمة لابن المقفع

وقال ابن طيفور فى اختيار المنظوم والمنثور أيضاً:

ومن الرسائل المفردات اللّواتى لانظيرَ لها ولا أشباه، وهى أركان البلاغة، ومنها استقَى البُلغاء، لأنها نهاية فى المختار من الكلام، وحسن التأليف والنظام، والرسالة التى لابن المقفع اليتيمة، فإن الناس جميعاً مُجْمِعُون أنه لم يعبر أحد عن مِثلها، ولا تقدّمها من الكلام شىء قبلها، ولم نكتبها على تمامها لشهرتها وكثرتها فى أيدى الرُّواة لها، فمن فصولها قوله فى صدرها:

«وقد أصبح الناس - إلا قليلا ممن عَصَمَ الله - مدخولين منقوصين، فقائلُهم باغٍ، وسامعهم عيّاب. سائلُهم متعنت، ومُجيبهم متكلف، وواعظُهم غير مُحقِّقٍ لقوله بالفعل، وموعوظُهم غير سليم من الهُزْء والاستخفاف، ومستشيرهم غيرُ موطّن نفسه على إنفاذ ما يشار به عليه، ومصطبرٍ للحق مما يَسمع، ومستشارهُم غيرُ مأمونٍ على الغشّ والحَسَد، وإن يكون مهتاكا للسِّتْر، مُشيعاً للفاحشة، مؤثِرا للهوى، والأمينَ منهم غيرُ متحفّظ من ائتمان الخَوَنَة،

والصّدوق غير محترسٍ من حديث الكَذَبة، وذو الدين غيرُ متورّع عن تفريط الفَجَرة، يتقارضون الثناء، ويترقبون الدّول.ويَعيبون بالهمْز، يكاد أحزمُهم رأياً يلفتُه عن رأيه أدنى الرضــا وأدنى السُّخْط، ويكاد أمْتنهم عُوداً أن تَســحــره الكلمــة، وتُسكره(١) اللّحْظة، وقد ابتليتُ أن أكون قائلا، وابتليتم أن تكونوا سامعين، ولا خيرَ في القول إلا ما انْتُفِع، ولا يُنتفَع إلا بالصدق ولا صدق إلا مع الرأى، ولا رأىَ إلا في موضعه وعند الحاجة إليه، فإن خير القائلين من لم يكن الباطلُ غايتَه، ثم لزمَ القصدَ والصوابَ، وخير السامعين من لم يكن ذلك منه سُمعةً ولا رياءً، ولم يتخذ ما يسمع عوْناً على دفع الهدى، ولا بُلغَةً إلى حاجة دنيا، فإن اجتمع للقائل والسامع: أن يُرزَق القائلُ من الناس مقَةً وقَبولاً على ما يقوله، ويُرزَق السامعُ اتّعاظا بما يسمع في أمر دنياه، وقد صلَحت نيّاتهما في غير ذلك، فعسى ذلك أن يكون من الخير الذي يبلّغه الله عباده ويعجّل لهم من حَسَنَة الدنيا ما لا يحرمهم(٢) من حَسَنة الآخرة، كما أن المُريدَ بكلامه أنْ يُعجبَ النّاسَ، قد يجتمع عليه: حرمانُ ما طلب سوء النية، وحَمْلُ الوِزْر، وقد وافقتهم منى مسارَعَةَ فيما سألتمونى من غير معاودة فى أشباهه، ولكن استطالَ الناسُ فى جسيم أمورهم وانفاذِ الطوالع(٣)، ولم يَبْرَحْ يطّلع منى فى ذلك احتسابُ الخبر فيما بلغتْه القوةُ منى فى ذلك، طمعا فى أن ينفع الله بذلك من يشاء، فإنه ما يشاء يقع.

أمّا سؤالكم عن الزمان، فإن الزمانَ الناسُ، والناسُ رجلان: وَالٍ ومُولّى عليه، والأزمنة أربعة على اختلاف حالات الناس.

فخيارُ الأزمنة: ما اجتمع فيه صلاح الراعى والرعية، فكان الإمام مؤدياً إلى الرعـيـة حـقّهم فى الرد عنهم، والغـيظِ على عـدوهم، والجـهـادِ من وراء

(١) فى الأصل، «وتنكره»، وأراه محرفا.

(٢) فى كتب اللغة أن حرم يتعدى إلى اثنين فيقال: حرمه الشيء.

(٣) الطوالع: جمع طالع وهو السهم الذى يجاوز الهدف ويقع وراءه، والمعنى: مجاوزتهم الحدود وتعديها.

بيْضتهم والاختيار لحكّامهم، وتولية صُلَحائهم، والتوسعة عليهم فى معايشهم، وإفاضة الأَمْنِ فيهم والمتابعة فى الحق[٤] لهم، والعدلِ فى القسمة بينهم والتقويم لأوَدهم، والأخْذِ لهم بحقوق الله عز وجل عليهم، وكانت الرعية مؤدّية إلى الأمام حقّه فى المودة والمناصحة والمخالطة، وترْك المنازعة فى أمره، والصبر عند مكروه طاعته، والمعونة له على أنفسهم، والشّدة على من أخَلَّ بحقه وخالف أمره، غير مُؤْثِرين فى ذلك آباءهم ولا أبناءهم، ولا لابسين[٥] عليه أحداً، فإذا اجتمع ذلك فى الإمام والرعية تمّ صلاح الزمان، وبنعمة الله تتمّ الصالحاتُ.

ثم إن الزمان الذى يليه: أن يَصلُح الإمام نفسُه ويَفسُد الناس، ولا قوةَ بالإمام مع خِذْلان الرّعية ومخالفتهم وزُهْدهم فى صلاح أنفسهم، على أن يبْلُغ ذاتَ نفسه فى صلاحهم، وذلك أعظمُ ما تكون نعمةُ الله على الوالى، وحُجّة الله على الرعية بواليهم، فبالْحَرى أن يؤخذوا بأعمالهم، وما أخلَقَهم أن تصيبهم فتنة أو عذابٌ أليمَ

والزمان الثالث: صلاحُ الناس وفساد الوالى، وهذا دون الذى قبله، فإن لوُلاة الناس يداً فى الخير والشر، ومكاناً ليس لأحد، وقد عرَفنا فيما يُعتبَر به أنّ ألف رجل كلُّهم مُفْسدٌ وأميرهم مصلحٌ، أقلُّ فسادا من ألفِ رجل كلُّهم مُصلِحٌ وأميرهم مفْسِد، والوالى إلى أن يصلح الله به الرعية أقرب من الرعية إلى أن يصلح الله بهم الوالىَ، وذلك لأنهم لايستطعيون معاتبته وتقويمه، مع استطالته بالسلطان، والْحَمِيّة التى تعلوه.

---

(٤) فى الأصل «فى الخلق» وهو تحريف.

(٥) يقال: لبست القوام: أى تمليت بهم دهراً، وقال الجعدى:.

لبست أناســا فأفنيتهم　　　وأفنيت بعد أناس أناســا

وشر الزمان: ما اجتمع فيه فسادُ الوالى والرعية، وتلك كارثةٌ (٦) لم يتقادم عهدُ كونِها، ولم تعفُ عنكم آثارُها، وكلُّ هذه الطِّباق من الشدة والرخاء فيما يبتلى اللّهُ عز وجل به عبادَه، بجزاء مُعدٍّ وكلمةٍ سابقة، قال اللّه عز وجل: «ونبلُوكُمْ بالشَّرِّ والْخيْرِ فتْنةً وإلينا تُرْجعُون».

قال فى التحذير مما يجرح قلب الجليس من ألفاظ الذم والتشهير:

إذا كنتَ فى جماعةِ قومٍ أبداً فلا تعمَّنَّ جيلاً من الناس أو أمّة من الأمم بشتْم ولا ذمٍّ. فإنّك لا تدرى: لعلك تتناول بعض أعراض جلسائك مُخْطئاً، فلا تأمن مكافأتهم. أو متعمّداً، فتنسب إلى السفَه، ولا تذمّنّ مع ذلك اسماً من أسماء الرجال أو النساء: بأن تقول: إنَّ هذا لقبيحٌ من الأسماء، فإنكَ لاتدرى: لعل ذاك غيرُ موافق لبعض جلسائك، ولعله يكون بعضَ أسماء الأهلين والحُرَم. ولاتستصغرَن من هذا شيئاً، فكلُّ ذلك يجرَحُ فى القلب. وجرح اللسان أشدُّ من جرح اليدِ.

ومن الأخلاق السيئة على كل حال مُغَالبةُ الرجل على كلامه، والاعتراضُ فيه، والقَطْعُ للحديث.

ومن الأخلاق التى أنت جدير بتركها - إذا حدَّث الرجُل حديثا تعرفُهُ - ألا تسابقَه إليه وتفتحه عليه وتشاركه فيه، حتى كأنَّك تُظهر للناس بأنك تُريد أن يعلموا أنك تعلمُ مثلَ الذى يعلمَ، وما عليك أنْ تهنئه بذلك وتفرِدَهُ به.

وهذا الباب من أبواب البخل، وأبوابُه الغامضة كثيرةٌ.



إذا كنت فى قوم ليسوا بُلغاءَ ولا فصحاء. فدعِ التطاوُل عليهم بالبلاغة والفصاحة.

---

(٦) فى الأصل «كارهة» وهو تحريف، وقد أصلحت فى هامشه «كازمة» أى كاسرة مجتاحة من كزمه بمقدم فمه كضرب: أى كسره واستخرج ما فيه ليأكله.

واعلمَ أن بعضَ شدّةِ الحذَرِ عونٌ عليك فيما تَحذَر، وأنّ بعضَ شدّةِ الاتّقاء مِمّا يدعو إليك ما تتقى.

واعلَمْ أنّ الناس يخْدعون أنفسُهَم بالتعريض والتوقيع بالرجال فى التماس مثالبهم ومساويهم ونقيصتهم، وكلُّ ذلك أبينُ عند سامعيه من وَضَح[٧] الصُبْحِ. فلا تكونَنّ من ذلك فى غرور. ولا تجعلَنّ نفسك من أهله.

اعلم أنّ مِن تنكُّب[٨] الأمور ما يُسَمّى حذَراً[٩]. ومنه ما يُسمّى خوَراً. فإن استطعتَ أنْ يكون لحينِك من الأمر قبل مواقعتك إيّاه فافعلْ، فإنّ هذا هو الحذَرُ، ولا تنغمِس فيه ثم تتهيّبُهُ. فإنّ هذا هو الخوَرُ. فإنّ الحكيم لا يخوض نهراً حتى يعلم مقدار غوره.

قد رأينا من سُوء المجالسة أنّ الرجُل تثقُلُ عليه النعمة: يراها بصاحبه، فيكونُ ما يشتفى بصاحبه - فى تصغير أمره وتكدير النعمة عليه - أنْ يَذكر الزوال والفناء والدُوَل. كأنّهُ واعظ وقاصّ، فلا يخفى ذلك على من يعَنى به. ولا غيرِهِ. ولا يُنَزّل قولَهُ بمنزلة الموعظة والإبلاغ، ولكن بمنزلة الضّجَر من النعمة - إذا رآها لغيره - والاغتمامِ بها والاستراحةِ إلى غير روْح.

وإنى مخبرك عن صاحب لى. كان رأس ما أعظمه فى عينى صغر الدنيا فى عينه: كان خارجا من سلطان بطنه، فلا يتشهى مالا يجد، ولا يُكثر إذا وجد. وكان خارجاً من سلطان فرجه، فلا يدعو إليه ريبة، ولا يستخف له رأيا ولا بدناً. وكان خارجاً من سلطان لسانه، فلا يقول ما لا يعلم، ولا ينازع فيما يعلم. وكان خارجاً من سلطان الجهال، فلا يقدم أبداً إلا على ثقة بمنفعة كان أكثر دهره صامتاً. فإذا نطق بذّ الناطقين. كان يرى متضاعفا مستضعفاً،

(٧) الوضح محركا البياض والضوء.
(٨) التباعد والعدول عنها.
(٩) الحذر الاحتراز، الخور الضعف.

فإذا جاء الجد فهو الليث عاديا كان لا يدخل فى دعوى، ولا يشترك فى مراءٍ، ولا يدلى بحجة حتى يرى قاضيا عدلا وشهودا عدولاً

وكان لا يلوم أحدا على ما قد يكون العذر فى مثله حتى يعلم : ما اعتذاره.

وكان لا يشكو وجعا إلا إلى من يرجو عنده البرء.

وكان لا يستشير صاحبا إلا من يرجو عنده النصيحة.

وكان لا يتبرم، ولا يتسخط، ولا يتشهى، ولا يتشكى.

وكان لا ينقم على الولىّ، ولا يَغْفُلُ عن العدُوّ، ولا يَخُصُّ نفسَه دون إخوانه بشيء من اهتمامه وحيلته وقوته.

فعليك بهذه الأخلاق إن أطقتَ - ولن تطيق - ولكنّ أخذَ القليل خير من ترك الجميع.

واعلَمْ أنّ خيرَ طبقاتِ أهل الدنيا طبقةٌ أصِفُها لك: منْ لَمْ ترتفِعْ عن الوضيع ولم تتّضع عن الرفيع.

الأدب وضُرَوب الأخلاق[10]

فلم يَبْقَ فى جليل الأمر ولا صغيره لقائل بعدهم مقال

وقد بَقِيَتْ أشياء من لطائف الأمور فيها مواضعُ لصغار[11] الفِطَن، مُشتقَّةٌ من جسامِ حِكَمِ الأوّلين وقَوْلِهم. فمن ذلك بعضُ ما أنا كاتبٌ فى كتابى هذا من أبواب الأدَبَ التى قد[12] يَحتاجُ إليها الناسُ

(١٠) أصاب بعض النسخ سقط فى الكلمات فورد (ولا فى وجوه الأدب...) وأما الضروب فجمع ضرب بالفتح وهو الصنف.

(١١) ويروى لغوامض الفطن.

(١٢) ويروى باسقاط «قد».

وقال (فى الحث على تعرف أصل العلم وفضله):

يا طالب العلم:

إنْ كنتَ نوعَ العِلْم تريدُ(١٣) فأعرف الأُصول والفصول. فإنّ كثيراً من الناس يطلُبون الفضُول مع إضاعة الأصول. فلا يكونُ درَكهم(١٤) دركاً. ومَن أحرز الأُصول(١٥) اكتفى بها عن الفصول، وإن أصاب الفصل بعد إحراز الأصل فهُوَ أفضل.

فأصلُ الأمر فى الدّين أنْ تعتقد الإيمانَ على الصواب. وتَجتنبَ الكبائرَ، وتؤدّىَ الفريضة، فالْزمْ ذلك لزومَ مَن لا غنىً له (١٦) عنه طرْفةَ عيْنٍ، ومَنْ يعلّمْ إن حرمَه هلَكَ. ثم إنْ قَدَرْتَ على أنْ تَجاوزَ ذلك إلى التفقُّه فى الدين والعبادة فهو أفضلُ وأكملُ.

وأصل الأمر فى صلاح الجسد ألا تحملَ عليه من المآكل والمشارب والباه إلا خفَافا (١٧)، ثم إنْ قَدَرْتَ على أنْ تعلَمَ جميعَ منافع الجسد ومضارّه، والانتفاع بذلك كلّه فهو أفضلُ.

وأصل الأمر فى البأس والشجاعة ألا تُحدّث نفسَك بالإدبار، وأصحابُكَ مقبلون على عدوّهم، ثم إن قَدَرْتَ على أنْ تكون أوّلَ حاملٍ وآخرَ منْصَرِفٍ،غير تضييع للحِذْر(١٨)، فهو أفضلُ.

---

(١٣) نوع: مفعول لتريد، وقد سقطت جملة للشرط فى بعض النسخ.

(١٤) الدرك محركة: إدراك الحاجة. يريد أنهم وإن حصلوا على بعض ما أملوا وأدركوا أثارة من علم لم يكن حقيقيا أن يسمى هذا الحصول إدراكا للحاجة ولا وصولا للغاية.

(١٥) حازماً.

(١٦) يقال: ما له عنه غنى بالكسرولا مغنى ولا غنية ولا غنيان مضمومتين ويراد: ما له يد. والمعنى على هذا مستقيم لا غضاضة فيه، وأما الغناء بالفتح ممدودا فيستعمل: ضد الفقر مثل المقصود أيضاً.

(١٧) كذلك وردت فى نسخة الشنقيطى خفافا بالألف بين الفاءين. وزعم صاحب السعادة أحمد زكى باشا أن المعنى معها يستقيم، قال ووردت هذه الكلمة فى ش «خفافا» وأظن المعنى بها لايستقيم، ورواها خفاء بالكسر ومعناه الخفيف. ولو كان يعتمد فى تحقيقه على غير ذاكرته لرأى صاحب القاموس يقول والخف بالكسر: الخفيف. والجماعة القليلة، وكغراب الخفيف، لاستقام المعنى ولاستبان له اللفظ.

(١٨) الحذر بالكسر ويحرك (مع الفتح): التحرز ومجانبة الشىء.

وأصل الأمر فى الجُود ألا تضنَّ بالحقوق على أهلها. ثم إنْ قَدَرْتَ أنْ تزيد ذا الحقّ على حقّه وتَطَوَّل (١٩) على من لا حقّ له فافعل فهو أفضلَ. وأصل الأمر فى الكلام أنْ تسلَمَ من السَّقَط(٢٠) بالتحفُّظ. ثم إن قدَرْتَ على بارع الصواب فهو أفضل.

وأصل الأمر فى المعيشة ألا تَنِى(٢١) عن طالب الحلال، وإن تُحْسِن التقدير لما تُفيدُ وما تُنْفِقُ. ولا يَغُرَّنَّكَ من ذلك؛ سَعَةَ تكون فيها. فإن أعظم الناس فى الدنيا خطراً (٢٢) أحْوَجهم إلى التقدير، والملوكُ أحوج إليه من السُّوقة(٢٣) لأن السوقة قد تعيش بغير مال، والملوك لا قِوَام(٢٤) لهم إلا بالمال، ثم إنْ قَدَرْتَ على الرفق واللُّطْف فى الطلب والعلْم بوجوه المطالب فهو أفضلُ.

وأنَا واعظُك فى أشياءَ من الأخلاق اللطيفة والأمور الغامضة التى لو حنَّكَتْكَ سِن كنت خليقاً أن تَعْلَمَها، وإن لم تخبر عنها. ولكنّنى قد أُحببتُ أن أقَدمَ إليك فيها قولا لتروض(٢٥) نفسك على محاسنها قبل أن تجْرِىَ على عادة مساويها. فإنّ الإنسان قد تبْتَدِرُ إليه فى شبيبته المساوئُ، وقد يغلب عليه ما بَدَرَ إليه منها للعادة. فإنّ لترك العادة مؤونة شديدة ورياضةً صعبة.

من نثر ابن المقفع:

توجّه بيَدبا الفيلسوف بالنصيحة إلى دَبْشَليم فقال:

---

(١٩) أصلها تتطول حذفت إحدى التاءين تخفيفاً. ومعناه تمتن. وتروى أيضاً تطول من الثلاثى المأخوذ الذى هو المن أيضاً.

(٢٠) السقط محركة: الخطأ.

(٢١) من قولهم ونى الرجل فى الأمر: فتر وضعف وكل وأعيا.

(٢٢) الخطر بالتحريك: الشرف وارتفاع القدر والمنزلة.

(٢٣) السوقة بالضم: الرعية من الناس للواحد والجمع والمذكر والمؤنث، وقد سموا كذلك لأن الملك يسوقهم ويصرفهم إلى ما شاء. وأما السوقى فواحد السوقيين: لأهل السوق.

(٢٤) القوام بالكسر نظام الأمر وعماده وملاكه الذى يقوم به،

(٢٥) من قولهم راض المهر روضا ورياضة: ذلله وجعله مسخرا مطيعا، والمعنى لتكره نفسك على مزاولة محاسنها.

أيُّهَا المَلِكُ، إنَّكَ فى مَنَازِلِ آبَائكَ وأجْدَادِكَ مِنَ الْجَبَابِرَةِ الَّذِينَ أَسَّسُوا الْمُلْكَ قَبْلَكَ، وشَيَّدُوهُ دُونَكَ(٢٦)، وبَنَوا الْقِلاعَ والْحُصُونَ، ومَهَّدُوا الْبِلادَ وقَادُوا الْجُيُوشَ وَاسْتَجَاشُوا(٢٧) الْعُدَّةَ. وطَالَتْ لَهُمُ الْمُدَّةُ واسْتَكْثَرُوا مِنَ السِّلاحِ والْكُرَاعِ(٢٨) وعَاشُوا الدُّهُورَ فى الْغِبْطَةِ (٢٩) والسُّرُورِ، فلَمْ يَمْنَعْهُمْ ذلكَ مِنِ اكْتِسَابِ جَمِيلِ الذِّكْرِ، وَلاقَطَعَهُمْ عَنِ اغْتِنَامِ الشُّكْرِ واسْتِعْمَالِ الإحْسَانِ إلى مَنْ خَوَّلُوهُ(٣٠)، والرِّفْقِ بِمَنْ وَلُوهُ، وحُسْنِ السِّيرَةِ فيما تَقَلَّدُوهُ، مَعَ عِظَمِ مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ غِرَّةِ(٣١) الْمُلْكِ وسَكْرَةِ الاقْتِدارِ.

وإنَّكَ أيُّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ جَدُّهُ، الطالعُ كوكبُ سَعْدِهِ، قَدْ وَرِثْتَ أرْضَهُمْ وَدِيارَهُمْ وأمْوالَهُمْ ومَنَازِلَهُمُ الَّتى كَانَتْ عُدَّتَهُمْ، فَأَقَمْتَ فِيمَا خُوِّلْتَ مِنَ الْمُلْكِ وَوَرِثْتَ مِنَ الأمْوَالِ والجُنُودِ، ولَمْ تَقُمْ فى ذلكَ بِحَقِّ مَا يَجِبُ عَلَيْكَ، بَلْ طَغَيْتَ وبَغَيْتَ، وعَتَوْتَ وعَلَوْتَ عَلَى الرَّعِيَّةِ، وأسَأْتَ السِّيرَةَ وعَظُمَتْ مِنْكَ الْبَلِيَّةُ. وكَانَ الأولى والأشْبَهُ (٣٢) بِكَ أنْ تَسْلُكَ سبيلَ أسْلافِكَ، وتَتَبَّعَ آثَارَ الْمُلوكِ قَبْلَكَ، وتَقْفُو(٣٣) مَحَاسِنَ ما أبْقَوْهُ لكَ، وتَقْلَعَ(٣٤) عَمَّا عَارُهُ لازِمٌ لكَ، وشَيْنُهُ (٣٥) واقِعٌ بِكَ، وتُحْسِنَ النَّظَرَ بِرَعِيَّتِكَ، وتَسُنَّ لَهُمْ سُنَنَ الْخَيْرِ الَّذِى يَبْقَى بَعْدَكَ ذِكْرُهُ، ويُعْقِبُكَ الْجَمِيلَ فَخْرُهُ ويكونُ ذَلِكَ أبْقَى عَلَى السَّلامَةِ، وأدْوَمَ عَلَى الاسْتِقَامَةِ. فإنَّ الجاهِلَ الْمُغْتَرَّ مَنِ اسْتَعْمَلَ فى أُمُورِهِ الْبَطَرَ والأُمْنِيَّةَ (٣٦) والْحَازِمَ اللَّبِيبَ مَنْ سَاسَ الْمُلْكَ بِالْمُدَارَاةِ والرِّفْقِ. فَانْظُرْ، أيُّهَا الْمَلِكُ، فيما أَلْقَيْتُ إلَيْكَ، ولا

(٢٦) دونك: قبلك.
(٢٧) استجاشوا: جمعوا.
(٢٨) الكراع: الدواب.
(٢٩) الغبطة: حسن الحال والسرور.
(٣٠) خولوه: ملكوه.
(٣١) غرة: الاسم من الاغترار.
(٣٢) الأشبه: الأليق.
(٣٣) تقفو: تتبع.
(٣٤) تقلع: تكف.
(٣٥) شينه: ضد الزين.
(٣٦) الأمنية: التعلل بالآمال.

يثقلنّ ذالك عليك. فلمْ أتكلّمْ بهـذا ابتغاء غرضٍ تجازيني به، ولا التماس معروفٍ تسوقه إليّ. ولكنّي أتيتك مشفقاً عليك.

فلمّا فرغ بيدبا من مقالته وقضى مناصحته، أوغر(٣٧) قلب الملك. فأغلظ له في الجواب استصغاراً لأمره وقال:

لقد تكلّمت بكلام ما كنت أظنّ أنّ أحداً من أهل مملكتي يستقبلني بمثله، ولا يقدم على ما أقدمت عليه، فكيف أنت، مع صغر شأنك، وضعف منّتك(٣٨)، وعجز قوّتك؟ ولقد أكثرت إعجابي من إقدامك عليّ، وتسلّطك بلسانك فيما جاوزت فيه حدّك. وما أجد شيئاً في تأديب غيرك أبلغ من التنكيل بك(٣٩)، فذلك عبرة لمن عساه أن يبلغ ويروم ما رمت أنت من الملوك إذا أوسعوا لهم في مجالسهم، ثمّ أمر به أن يقتل ويصلب.

فلمّا مضوا به فيما أمر، فكّر فيما أمر به فأحجم(٤٠) عنه. ثمّ أمر بحبسه وتقييده. فلمّا حبس أنفذ الملك في طلب تلامذته ومن كان يجتمع إليه، فهربوا في البلاد واعتصموا (٤١) بجزائر البحار.

فمكث بيدبا في محبسه أيّاماً لا يسأل الملك عنه ولا يلتفت إليه، ولا يجسر أحد أن يذكره عنده، حتّى إذا كان ليلة من الليالي، سهد(٤٢) الملك سهداً شديداً، وطال سهده، فمدّ إلى الفلك بصره، وتفكّر في تفلّك(٤٣) الفلك، وحركات الكواكب، فأغرق(٤٤) الفكر فيه، فسلك به إلى استنباط شيء عرض

(٣٧) أوغر: ملأه غيظا.
(٣٨) منتك: قوتك.
(٣٩) للتنكيل بك: معاقبتك بما يجعلك عبرة لغيرك.
(٤٠) أحجم عنه: تأخر ورجع.
(٤١) اعتصموا: امتنعوا.
(٤٢) سهد: طار نومه.
(٤٣) تفلك: استدارة.
(٤٤) أغرق: بالغ وتعمق.

لَهُ من أُمورِ الْفلَكِ، والْمَسْألَةَ عنْهُ. فذَكرَ عنْدَ ذلك بِيْدبا، وتَفكّرَ فيما كلّمهُ فيه فـأرْعوَى(٤٥) لذلِكَ، وقـالَ في نفْسِهِ: لقَدْ أسأتُ فِيما صنَعْتُ بِهذا الْفيْلسوفِ، وضيّعْتُ واجِبَ حقّهِ وحملني على ذلكَ سرْعةُ الْغَضَبِ.

وقَدْ قَـالَتِ الْعلَماءُ: أرْبَعَةٌ لا ينْبَغي أنْ تكُونَ في الْملُوكِ: الْغضَبُ. فإنّهُ أجْدَرُ الأشْياءِ مقْتاً، والْبُخْلُ، فإنّ صـاحِبهُ ليْسَ بِمعْذُورٍ معَ يدِهِ(٤٦)، والْكَذِبُ، فإنّهُ ليْسَ لأحَدٍ أنْ يُجاوِرَه، والْعُنْفُ فـي الْمَحَاوِرَةِ، فإنّ الـسّفَهَ ليْسَ منْ شأنِها. وإنّي أتَى إليّ رجلٌ نَصحَ لي، ولَمْ يكُنْ مُبلّغـاً (٤٧)، فعَاملْتُهُ بِضِدِّ ما يسـتحق، وكافأته بخلاف ما يستوجب، وما كان هذا جزاءه مني، بل كان الواجب أن يسمع كلامه، وأنقاد لما يشير به، ثم أنفذ في ساعته ما يأتي به.

قال ابن المقفع فيمن يختار للولاية:

من نصب نفسه للناس إماما في الدين، فعليه أن يبدأ في تعليم نفسه وتقويمها في السيرة والطعمة(٤٨) والرأي واللفظ والأخدان، فيكون تعليمه بسيرته أبلغ من تعليمه بلسانه. فإنه كما أن كلام الحكمة يونق(٤٩) الأسماع، فكذلك عمل الحكمة يروق العيون والقلوب، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال والتفضيل من معلم الناس ومؤدبهم.

ولاية الناس بلاء عظيم. وعلى الوالي أربع خصال هي أعمدة السلطان وأركانه التي يقوم بها وعليها يثبت: الاجتهاد في التخير، والمبالغة في التقدم والتعهد الشديد والجزاء العتيد:

---

(٤٥) ارعوى: رجع عن رأيه.

(٤٦) ذات يده: ميسرته.

(٤٧) مبلغا: أي بلغ مبلغا من طريق الدسيسة

(٤٨) الطعمة بالضم: وجه الكسب وبالكسر والدوع يقال فلان حسن الطعمة أي السيرة في الأكل.

(٤٩) يونق مضارع أنق: يعجب. ومثله يروق.

فأما التخير للعمال والوزراء، فإنه نظام الأمر ووضع مؤونة البعيد المنتشر. فإنه عسى أن يكون بتخيره رجلا واحدا اختار ألفا، لأنه من كان من عمال خيار فسيختار كما اختير، ولعل عمال العامل وعماله يبلغون عددا كثيرا، فمن تبين التخير فقد أخذ بسبب وثيق، ومن أسس أمره على غير ذلك لم يجد لبنائه قواما (٥٠).

وأما التقديم والتوكيد، فإنه ليس كل ذى لب أو ذى أمانة يعرف وجوه الأمور والأعمال ولو كان بذلك عارفا، لم يكن صاحبه حقيقا أن يوكل ذلك إلى عمله دون توقيفه عليه، وتبيينه له والاحتجاج عليه به.

وأما التعهد فإن الوالى إذا فعل ذلك كان سميعا بصيراً، وأن العامل إذا فعل ذلك به كان متحصنا حريزا.

وأما الجزاء، فإنه تثبيت المحسن، والراحة من المسىء.

لايستطاع السلطان إلا بالوزارء والأعوان. ولا ينفع الوزراء إلا بالمودة والنصيحة، ولا المودة إلا مع الرأى والعفاف.

وأعمال السلطان كثيرة، وقليل ما تستجمع الخصال المحمودة عند أحد. وإنما التوجه فى ذلك والسبيل الذى به يستقيم العمل أن يكون صاحب السلطان عالما بأمور من يريد الاستعانة به، وما عند كل رجل من الرأى والغناء، وما فيه من العيوب فإذا استقر ذلك عنده، عن علمه وعلم من يأتمن، وجه لكل عمل من قد عرف أن عنده من الرأى والنجدة والأمانة ما يحتاج إليه فيه. وإن ما فيه من العيوب لايضر بذلك، من أن يوجه وجها لا يحتاج فيه إلى مروءة - إن كانت عنده ولا يأتين عيوبه وما يكره منه.

ثم على الملوك بعد ذلك تعاهد عمالهم، وتفقد أمورهم حتى لا يخفى عليهم إحسان محسن، ولا إساءة مسىء.

---

(٥٠) القوام بالكسر: الأمر وعماده الذى يقوم به.

ثم عليهم بعد ذلك، أن لا يتركوا محسنا بغير جزاء ولا يقروا مسيئا ولا عاجزاً على الإساءة والعجز فإنهم إن تركوا ذلك، تهاون المحسن، واجترأ المسيء وفسد الأمر، وضاع العمل.

اقتصار السعي إيقاء للجمام[٥١] وفي بعد الهمة يكون النصب. «من سأل فوق قدرته استحق الحرمان، وسوء حمل الغنى، أن يكون عند الفرح مرحاً، وسوء حمل الفاقة، أن يكون عند الطلب شرها، وعار الفقر أهون من عار الغنى، والحاجة مع المحبة أهون من الغنى مع البغضة.

الدنيا دول. فما كان لك منها أتاك على ضعفك وما كان عليك لم تدفعه بقوتك.

إذا جعل الكلام مثلا، كان ذلك أوضح.

(٥١) الجمام: مثل الاستجمام وتقدم معناه.

محمد بن الليث

محمد بن الليث الخطيب ويعرف بالفقيه، كان كاتبا ليحيى بن خالد، وله ولاء لبنى أمية، وكان بليغا مسترسلا فقيها متكلما، وكانت البرامكة تقدمه وتحسن إليه ويرمى بالزندقة وهو من أصل فارسى يقال إنه ابن اذرباذ بن فيروز وإن نسبه يتصل فى نهايته بدار الملك، وقد ذكر له ابن النديم عدداً من الكتب المؤلفة والرسائل.

من أقواله فى وصف أهل خراسان للخليفة المهدى:

أهل خراسان - أيها المهدى - قوم ذوو عزة ومَنَعة، وشياطين خَدَعة(١). زُرُع(٢) الحمية فيهم نابتة، وملابس الأنفة عليهم ظاهرة، فالرواية عنهم عازبة(٣)، والعجلة فيهم حاضرة، تسبق سيولهم مطَرهم، وسيوفهم عَذَلهم(٤)، لأنهم بين سفلة لا يعدو مبلغ عقولهم منظرَ عيونهم، وبين رؤساء لا يُلجمون إلا بشدة ولا يُفطمون إلا بالقهر، وإن ولّى المهدى عليهم وضيعا لم تَنْقَدْ لهم العظماء، وإن ولّى أمَرهم شريفا تحامل على الضعفاء. وإن أخّر المهدى أمرهم

(١) خدعة: جمع خادع.
(٢) زرع: بذور.
(٣) عازبة: بعيدة وغائبة.
(٤) عذلهم: ملامتهم.

ودافع مرتهم حتى يصيب لنفسه من حشمه ومواليه، أو بنى عمه أو بنى أبيه، ناصحا يتفق عليه أمرهم، وثقة تجتمع له أملاؤهم(٥) بلا أنفه تلزمهم، ولا حمية تدخلهم، ولا عصبية تنفرهم، تنفست الأيام بهم، وتراخت الحال بأمرهم، فدخل بذلك من الفساد الكبْر والضياع العظيم ما لايتلافاه صاحب هذه الصفة وإن جدّ. ولا يستصلحه وإن جهد، إلا بعد دهر طويل، وشر كبير.

وليس المهدى ـ وفقه الله ـ فاطما عاداتهم، ولا قارعا صَفاتهم(٦) يمثل أحد رجلين لا ثالث لهما، ولا عدل فى ذلك بهما: أحدهما لسان ناطق بسمعك، ويدٌ ممثّلة لعينك وصخرةٌ لا تزعزع. وبُهمة(٧) لا ينثنى، وبازل(٨) لا يُفزعه صوت الجُلجل(٩)، نقى العرض، نزيه النفس، جليل الخطر، قد اتضعت الدنيا عن قدره، سما نحو الآخرة بهمته، فجعل الغرض الأقصى لعينه نُصْبا، والغرض الأدنى لقدمه موطئا، فليس يغفل عملا، ولا يتعدى أملا وهو رأس مواليك، وانصح بنى أبيك. رجل قد غُذّى بلطفِ كرامتك، ونَبَت فى ظل دولتك، ونشأ على قويم أدبك، فإن قلّدته أمرهم، وحمّلته ثُقلهم، وأسندت إليه ثغرهم: كان قفلا فتحه أمرُك، وبابا أغلقه نَهْيُك، فجعل العدل عليه وعليهم أميرا، والإنصاف بينه وبينهم حاكما. وإذا حَكَم النصفة، وسلك المعدلة فأعطاهم، وأسكن لك فى السويداء داخل قلوبهم طاعة راسخة العروق، باسقة الفروع، متمثّلة فى حواشى عوامّهم، متمكّنة من قلوب خواصهم، فلا يبقى فيهم ريب إلا نَفَوه، ولا يلزمهم حق إلا أدوه، وهذا أحدهما.

---

(٥) أملاء: جمع ملأ وهم الجماعة من الناس.
(٦) صفاتهم: صخورهم والصفاة الصخرة الملساء.
(٧) البهمة: الصخرة الصلبة وتقال للشجاع.
(٨) البازل: الحمل التام فى السنة التاسعة.
(٩) الجلجل: جرس يعلق فى عنق الدابة.

والآخر عود من غَيْضَتك(١٠)، ونبعة(١١) من أرومتك، فتى السن، كهل الحلم(١٢)، راجح العقل، محمود الصرامة، مأمون الخلاف، يجرد فيهم سيفه، ويبسط عليهم خيره بقدر ما يستحقون، وعلى حسب ما يستوجبون، وهو فلان - أيها المهدى - فسلطه أعزك الله عليهم، ووجهه بالجيوش إليهم ولا تمنعك ضراعة سنه (١٣) وحداثة مولده، فإن الحلم والثقة مع الحداثة خير من الشك والجهل مع الكهولة.

وإنما أحداثكم أهل البيت فيما طبعكم الله عليه واختصكم به من مكارم الأخلاق ومحامد الفعال، ومحاسن الأمر، وصواب التدبير، وصرامة الأنفس، كفراخ عتاق الطير(١٤) المحكمة لأخذ الصيد بلا تدريب، والعارفة لوجوه النفع بلا تأديب، فالحلم والعلم والعزم والحزم والتؤدة والرفق ثابت فى صدوركم، مزروع فى قلوبكم، متحكم لكم، متكامل عندكم، بطبائع لازمة وغرائز ثابتة.

---

(١٠) الغيضة: الأجمة ومجتمع الشجر.
(١١) نبعة من أرومتك: أصل من أصولك.
(١٢) الحلم: العقل وضبط النفس.
(١٣) ضراعة سنه: حداثته وشبابه.
(١٤) عتاق الطير: كرامها.

واصل بن عطاء
(ت ١٨٠ هـ)

واصل بن عطاء المعتزلى، المعروف بالغزال أبوحذيفة ، مولى بنى ضبة، وقيل بنى مخزوم. ولد فى عام ٨٠ هـ، وتوفى فى سنة ١٨٠هـ، وكان واصل بن عطاء ألثغ. ولما كان داعية مقالة، ورئيس نحلة، وأنه يريد الاحتجاج على أرباب النحل وزعماء الملل، وأن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة، وإلى سهولة المخرج وجهارة النطق، رام إسقاط الراء من كلامه، وإخراجها من حروف منطقه، فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه، حتى انتظم له ما أراد، واتسق له ما آمل.

خطبة لواصل بن عطاء تجنب فيها الراء

الحمد لله القديم بلا غاية، والباقى بلا نهاية، الذى علا فى دُنُوّه، ودَنَا فى علوه، فلا يحويه زمان، ولا يحيط به مكان، ولا يؤوده حفظ من خلق ولم يخلقه على مثال سبق، بل أنشأه ابتداعا، وعدّ له اصطناعا، فأحسن كل شىء خلقه، وتمم مشيئته، وأوضح حكمته، فدل على ألوهيته، فسبحانه لا معقب لحكمه، ولا دافع لقضائه. تواضع كل شىء لعظمته، وذل كل شىء لسلطانه، ووسع كلّ شىء فضله، لا يعزب عنه مثقال حبّة، وهو السميع العليم. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، إلها تقدست أسماؤه، وعظمت آلاؤه، علا عن صفات كل مخلوق، وتنزه عن شبيه كل مصنوع، فلا تبلغه الأوهام، ولا تُحيط به العقول

ولا الأفهام، يعصَى فيَحلُم، ويُدعى فيسمع، ويقبل التوبة من عباده، يعفو عن السيئات، ويعلم ما يفعلون.

وأشهد شهادة حق وقولَ صدق بإخلاص بالبينة والهدى ودين الحق، فبلغ مألُكَهَ، ونصح لأمته، وجاهد فى سبيل الله، لا تأخذه فى الله لومة لائم، ولا يصده عنه زعم زاعم؛ ماضيا على سُنته، موفيا على قصده، حتى أتاه اليقين؛ فصلى الله على محمد وعلى آله محمد أفضل وأزكى، وأتم وأنمى، وأجل وأعلى صلاة صلاها على صفوة أنبيائه، وخالصة ملائكته، وأضعاف ذلك، إنه حميد مجيد.

أوصيكم عباد الله مع نفسى تقوى الله والعمل بطاعته، والمجانبة لمعصيته، وأحضكم على ما يُدنيكم منه، ويزلفكم لديه؛ فإن تقوى الله أفضل زاد، وأحسن عاقبة فى معاد. ولا تُلْهينكم الحياة الدنيا بزينتها وخَدْعها، وفواتن لذّاتها، وشهوات آمالها، فإنها متاع قليل، ومُدَّة إلى حين، وكل شيء منها يزول؛ فكم عانيتم من أعاجيبها، وكم نصبت لكم من حبائلها، وأهلكت ممن جنح إليها، واعتمد عليها. أذاقتهم حلوا ومزجت لهم سما. أين الملوك الذين بنوا المدائن، وشيدوا المصانع، وأوثقوا الأبواب، وكاثفوا الحجاب، وأعدوا الجياد، وملكوا البلاد، واستخدموا التلاد؛ قبَضتهم بمحملها، وطحنتهم بكلكها، وعضتهم بأنيابها، وعاضتهم من السعة ضيقا، ومن العزة ذلا، ومن الحياة فناء، فسكنوا اللحود، وأكلهم الدود، وأصبحوا لا تلقى إلا مساكنهم، ولا تجد إلا معالمهم، ولا تحس منهم من أحد، ولا تسمع لهم نبسا. فتزودوا عافاكم الله؛ فإن أفضل الزاد التقوي، واتقوا الله يا أولى الألباب لعلكم تفلحون. جعلنا الله وإياكم ممن ينتفع بمواعظه، ويعمل لحظّه وسعادته، وممن يستمع القول فيتبع أحسنه، أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولو الألباب. إن أحسن قصص المؤمنين، وأبلغ

مـواعظ المتقين، كتـاب الله، الزكـية آياتـه، الواضـحـة بيناتـه، فإذا تلى عليكم فأنصتوا له، واسمعوا لعلكم تفلحون. أعـوذ بالله القوى من الشيطان الغوى؛ إن الله هو السميع العليم. قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

نفـعنا الله وإياكم بالكتـاب الحكيم، والوحـى المبين، وأعـاذنا وإياكم من العذاب الأليم، وأدخلنا وإياكم جنات النعيم.

أبو جعفر المنصور
(ت ١٥٨ هـ)

ولد أبو جعفر المنصور فى أواخر خلافة عمر بن عبدالعزيز فى الحميمة فى أرض الشراة على مقربة من العقبة، وهو أخ أكبر لأبى العباس السفاح من غير أمه وقد تربى وسط كبار رجال الدولة من جلة بنى هاشم وصحب أباه محمد بن على بن عبد الله بن عباس وكذلك صحب جده فنشأ أديبا فصيحا، واستعان به أخوه أبو العباس السفاح.

وكان أبو جعفر المنصور شديد البأس، حاد اليقظة، صاحب حزم واهتمام بمصالح الرعية، وكان أسمر طويلا نحيفا خفيفا، وكان يوزع يومه على تبعات عمله، وكان مشهوراً بالجد ولم يعرف عنه الميل إلى اللهو أو العبث، وكان شديد الثبات عند الشدائد، ولم يكن يبعثر أموال الدولة بل كان يقتصد فى النفقة، ويقول عنه المسعودى: «كان يعطى الجزيل ما كان إعطاؤه حزما» وهو يعتبر بحق المؤسس الثانى للدولة العباسية، وهو من أعظم الخلفاء العباسيين، ومما يروى فى سبب وفاته أنه خرج مشيعا ابنه المهدى حين وجهه إلى الرقة. فَشجّ فيما بين حاجبيه وصرع من يومه، ويقال إنه مات بوجع بطنه لسوء هضمه وكثرة طعامه ليلة السبت لست خلون من ذى الحجة سنة ١٥٨هـ.

وصية له لابنه المهدى

قال المنصور لابنه المهدى: يا بُنَىّ لا تُبْرِم أمراً حتى تفكّر فيه، فإن فِكْرَةَ العاقل مِرآتُه، تُريه حَسَنَاتِه وسيئاته. واعلم أن الخليفةَ لا يُصلحه إلا التقوى، والسلطانَ لا يُصلحه إلا الطاعة، والرعيةَ لا يُصلحها إلا العدل، وأَوْلَى الناس بالعفو أقدرُهم على العقوبة، وأنقصُ الناس عقلاً من ظلَم مَنْ هو دونَه».

كتاب أبى جعفر إلى النفس الزكية

ولما بلغ أبا جعفر المنصور خروج النفس الزكية بالمدينة - وهو محمد بن عبدالله، بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب - كتب إليه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبدالله. أما بعد: فـ «إنّمَا جزَاءُ الّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ ورسولَهُ ويَسْعَوْنَ فى الأَرْض فَسَاداً أَنْ يُقَتّلُوا أَوْ يُصلّبُوا أَوْ تُقَطّعَ أَيْدِيهِمْ وأَرْجُلُهُمْ مِنْ خلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ، ذلكَ لَهُمْ خِزْىٌ فى الدُّنْيا ولَهُمْ فى الآخِرَةِ عَذَابٌ عظيمٌ. إلاّ الّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عليْهِم فَاعْلَمُوا أَنّ اللهَ غفورٌ رحيم». ولك علىّ عهدُ الله وميثاقُه وذمته وذِمّةُ رسوله صلى الله عليه وسلم إن تُبتَ ورَجَعتَ من قبل أن أقدرَ عليك أن أُؤمّنك وجميعَ ولدك وإخوتك، وأهل بيتك ومن اتبعكم، على دمائكم وأموالكم، وأُسوّغك ما أصبْتَ من دم أو مال، وأُعطيَك ألفَ ألفِ درهم، وما سألتَ من الحوائج، وأُنْزِلَك من البلاد حيث شئتَ، وأن أُطلِقَ مَن فى حبسى من أهل بيتك، وأن أؤمن كل من جاءك وبايعك واتّبعك، أو دخل معك فى شيء من أمرك، ثم لا أتْبَع أحداً منه بشيء كان منه أبدا، فإن أردتَ أن تتوثق لنفسك فوجّه إلىّ مَن أحببت أن يأْخُذَ لك من الأمان والعهد والميثاق ما تثِقُ به».

محمد النفس الزكية
(ت ١٤٥ هـ)

هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب، وكان أبوه عبدالله يقول للناس عنه «هذا هو المهدى الذى بشّر به، فلقب بالمهدى، ويقول الفخرى عنه «كان من سادات بنى هاشم ورجالهم فضلا وشرفا وعلما، وكان متحليا بالصفات الحميدة والخصال الكريمة فذاع صيته وعظم احترام الناس له ولم يكن يميل إلى سفك الدماء والظلم، وإنما اشتهر بحبه للعفو، وكان زاهدا وناسكا، ولذلك لقب بالنفس الزكية وبالمهدى».

وكان محمد النفس الزكية أول المتطلعين إلى الخلافة من العلويين، على الرغم مما بذله العباسيون فى استرضائهم من بين القول وجزيل العطايا، ولكن تطلع محمد النفس الزكية إلى الخلافة يرجع إلى أواخر أيام بنى أمية، وقد امتنع محمد عن مبايعة السفاح، ولما ولى المنصور الخلافة رأى فى بقاء محمد وأخيه إبراهيم خطراً يهدد كيان الدولة.

وقد طال الصراع بين محمد النفس الزكية وأسرته من جهة وأبى جعفر المنصور من جهة أخرى وقد تعقب المنصور أبناء الحسن بن على وفعل بهم الأفاعيل وخرج عليه محمد النفس الزكية بالمدينة وأخذ البيعة لنفسه وشدّ أزره الإمام مالك وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة وشد أزره الإمام أبو حنيفة وانتهى الأمر بقتل محمد النفس الزكية بالمدينة سنة ١٤٥هـ.

رد النفس الزكية على أبى جعفر

فكتب إليه محمد بن عبد الله:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله المهدىّ (١) محمد بن عبد الله أمير المؤمنين إلى عبد الله بن محمد:

«أما بعد: «طسمّ تلْكَ آيَاتُ الْكتَاب المُبين. نتْلُو علَيْكَ منْ نبأَ مُوسى وَفرْعَوْنَ بالْحَقّ لقَوْمٍ يُؤمنُون. إنّ فرْعَوْنَ علاَ فى الأَرْض وجعَلَ أَهْلَهَا شيَعاً يسْتَضْعفُ طَائفةً منْهمْ يذْبحُ أَبْنَاءهمْ ويسْتحيى نسَاءهمْ إنَّهُ كَانَ منَ المفْسدين. ونُريدُ أَنْ نمُنّ علَى الّذينَ استُضْعفُوا فى الأَرْض ونَجْعلَهمْ أئمّةً ونَجْعلَهم الوَارثين، ونُمكّن لهمْ فى الأَرْض ونُرى فرْعَوْنَ وهَامَانَ وجُنُودهمَا منْهمْ مَا كَانُوا يحْذَرُونَ»، وأنا أَعرضُ عليك من الأمان مثل الذى عَرَضْتَ علَىّ، فإن الحقّ حقُّنا، وإنما ادّعيتم هذا الأمرَ بنا، وخرجتم له بشيعتنا وحظيتم بفضلنا، وإن أبانا علياً كان الوَصِىّ، وكان الإمامَ، وكيف ورثتم ولايته وولَدُه أحياء؟ ثم قد علمتَ أنه لم يطلب هذا الأمر أحدٌ له مثلُ نسبنا وشرَفنا وحالنا، وشرَف آبائنا، لسنا من أبناء اللُّعناء ولا الطُّرَدَاء ولا الطلقاء، وليس يمُتُّ (٢) أحد من بنى هاشم بمثل الذى نمُتُّ به من القرابة والسابقة والفضل، وإنا بنو أمّ أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمرو(٣) فى الجاهلية، وبنو بنته فاطمة فى الإسلام دونكم، أن الله اختارنا واختار لنا، فوالدُنا من النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، ومن السّلف أولهم إسلاما علىّ، ومن الأزواج أفضلهن خديجة الطاهرة، أول من آمَن بالله وصلّى إلى القبْلَة، ومن البنات خيرهن

(١) كان أبوه عبد الله يقول للناس عنه: هذا هو المهدى الذى بشر به، فلقب بالمهدى.

(٢) أى يتوسل.

(٣) هى فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران مخزوم وهى أم أبى طالب وأم عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، ومن المولودين فى الإسلام: حَسَن وحُسَيْن سيّدا شَباب أهل الجنة، وأن هاشماً وَلَدَ عليًا مرتين(٤)، وأن عبد المطّلب ولَدَ حسَنا مرتين(٥)، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولَدنى مرتين من قِبَل حسن وحسين(٦)، وإنى أَوْسَط(٧) بنى هاشم نسَباً، وأَصْرَحُهم أبا، لم تُعْرِق فىَّ العَجَم، ولم تَنَازَعْ فىَّ أمهاتُ الأولاد(٨). فما زال الله يختار لى الآباءَ والأمهاتِ فى الجاهلية والإسلام، حتى اختار لى فى النار، فأنا ابنُ أرفع الناس درجةً فى الجنة، وأهونِهم عذابا فى النار(٩)، وأنا ابنُ خير الأخيار، وابنُ خير الأشرار، وابن خير أهل الجنة، وابن خير أهل النار.

ولك اللهُ على إن دخلتَ فى طاعتى، وأجبْتَ دعوتى، أو أُؤَمِّنَك على نفسك وولدك ومالك وعلى كل أمر أحدثته إلا حَدًّا من حدود الله، أو حقًا لِمُسْلم أو مُعاهَد. فقد علمتَ ما يلزمك فى ذلك، وأنا أَوْلَى بالأمر منك، وأوفى بالعهد، وأنت أحْرَى بقبول الأمان منى، فأما أمانُك الذى عرَضْتَ علىَّ فأىُّ الأمانات هو؟ أأمانُ ابنِ هُبَيرة(١٠)؟ أم أمانُ عمك عبد الله بن على(١١)؟ أم أمانُ أبى مُسْلِم(١٢)؟ والسلام».

(٤) يعنى على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم، وعليا زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب.

(٥) يعنى جده وأبا جده. فهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ابن عبد المطلب.

(٦) يعنى نفسه. ويعنى محمدا الباقر بن على زين العابدين بن الحسين.

(٧) أرفعهم وخيرهم.

(٨) يعرض بالمنصور، وكانت أم المنصور أم ولد يقال لها سلامة، بربرية. انظر مروج الذهب ٢: ٢٢٨ والعقد الفريد ٣: ٤٤.

(٩) يعنى جده أبا طالب، وأن الله سيخفف عنه العذاب لما كان منه من نصرة رسول الله وحمايته من أذى قريش.

(١٠) انظر ص ٢٤.

(١١) انظر ص ٣٠.

(١٢)، (١٣) لا يجهل أبو جعفر أن النفس الزكية فضلا عن قرابته برسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة النساء (إذ إن جده الحسن بن على هو ابن فاطمة بنت رسول الله) له به قرابة من جهة العمومة أيضاً

رد أبى جعفر على النفس الزكية

فكتب إليه أبو جعفر:

«بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله: عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد ابن عبد الله. أما بعدفقد أتانى كتابك، وبلغنى كلامك، فإذا جلُّ فخرك بقرابة النساء، لتُضلَّ به الجفاةَ والغوغاءَ، ولم يجعل الله النساء كالعمومة[١٣] والآباء ولا كالعصبةِ والأولياء، لأن الله جعل العم أبا وبدأ به فى كتابه على الوالد الأدنى، فقال جل ثناؤه عن نبيه يوسف عليه السلام: «واتَّبَعْتُ ملَّةَ آبائى إبَراهيمَ وإسْحَاقَ ويَعْقُوبَ»[١٤]، ولقد علمتَ أن الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم، وعمومته أربعة، فأنزل الله عز وجل «وأَنْذِرْ عَشيرَتَكَ الأقْرَبين» فأنْذرهم ودعاهم، فأجاب اثنان أحدهما أبى[١٥]، وكفَرَ اثنان أحدهما أبوك[١٦]، فقطع الله ولايتهما منه، ولم يجعل بينه وبينهما إلاَّ[١٧] ولا ذمَّةً، ولا ميراثاً. فأما ما ذكرت من النساء وقراباتهن، فلو أُعْطين على قرب الأنساب وحقِّ الأحساب، لكان الخير كلّه لآمنةَ بنت وَهْب[١٨]، ولكن الله يَختارُ لدينه من يشاء من خلْقه[١٩].

كأبى جعفر (إذ إن جده أبا طالب عم رسول الله، كما أن العباس جد المنصور عم رسول الله) غير أن العباسيين يرون أنهم أحق بالخلافة من الطوبيين، لأن رسول الله مات وعمه العباس موجود، فهو أولى بوراثته بعصبية العمومة من ابن عمه على، ومقدم عليه فى الميراث، وسنرى أبا جعفر يصرح فى أواخر هذه الرسالة بأن العباس هو وارث الرسول.

(١٤) أقول: ولا تنهض الآية دليلاً لأبى جعفر، فإن المذكورين فيها ليسوا بأعمام ليوسف، بل يعقوب أبوه، وإسحاق جده، وإبراهيم أبو جده، على أن البدء فيها بإبراهيم لغرض، فهو أبو الملة وأبناؤه تبع له فيها.

(١٥) يعنى جده العباس، وثانيهما سيدنا حمزة.

(١٦) يعنى جد النفس الزكية أبا طالب، وثانيهما أبو لهب.

(١٧) أى عهداً.

(١٨) هى آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، أم رسول الله.

(١٩) فى رواية الطبرى: «ولو كان اختيار الله لهن على قدر قرابتهن، كانت آمنة أقربهن رحما، وأعظمهن حقاً، وأول من يدخل الجنة غدا، ولكن اختيار الله لخلقه على علمه لما مضى منهم، واصطفائه لهم».

وأما ما ذكرت من فاطمة أم أبى طالب وولادتها، فإن الله لم يرزق أحداً من ولدها الإسلام ولا بنتاً ولا ولداً [٢٠]، ولو أن أحداً رُزق الإسلام بالقرابة رزقه عبدُ الله أولاهم بكل خير فى الدنيا والآخرة، ولكن الأمر لله يختار لدينه من يشاء[٢١]، قال الله عز وجل: «إنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ولَكِنَّ اللَّه يَهْدِى من يَشَاءُ وَهَوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِين». وأما ما ذكرتَ من فاطمة بنت أَسَد[٢٢] أم على بن أبى طالب، وفاطمة أم الحسن، وأن هاشماً وَلَدَ علياً مرتين، وأن عبد المطلب ولد الحسن مرتين، وأن النبى صلى الله عليه وسلم وَلَدَكَ مرتين، فخيرُ الأَوَّلين والآخرين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلِدْه هاشم إلا مرة واحدة ولم يلده عبد المطلب إلا مرة واحدة.

وَزَعَمتَ أنك أوسطُ بني هاشم نسباً وأَصرحهم أماً وأباً، وأنَّه لم تَلدْك العَجَمُ ولم تُعْرِق فيك أمهاتُ الأولاد، فقد رأيتُك فخرْتَ على بنى هاشم طُرّاً فانظر ويْحَكَ أين أنت من الله غدا؟ فإنك قد تعدّيت طَوْرك، وفَخَرْتَ على من هو خير منك نَفساً وأباً، وأولاً وآخرا، فَخَرتَ على إبراهيم[٢٣] ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى والدِ وَلَدِه، وما خيارُ بنى أبيك خاصةً، وأهلُ الفضل منهم إلا بنو أمّهات أولاد، وما ولد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من علىّ بن الحسين[٢٤] وَهو لأُمّ وَلَد، ولَهو خيرٌ من جدّك حسَن بن

(٢٠) روى الطبرى: «عبد الله أبو رسول الله. وأبو طالب، والزبير، وعبد الكعبة. وعاتكة، وبرة، وأميمة، ولد عبد المطلب أخوة، أم جميعهم فاطمة بنت عمرو ...».

(٢١) وفى رواية الكامل للمبرد: «فأما ما ذكرت من فاطمة أم أبى طالب، فإن الله لم يهد أحدا من ولدها للإسلام، ولو فعل لكان عبد الله بن عبد المطلب أولاهم بكل خير فى الآخرة والأولى، وأسعدهم بدخول الجنة غدا، ولكن الله أبى ذلك فقال».

(٢٢) هى فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، ولم يرد لها ذكر فى كتاب النفس الزكية السالف.

(٢٣) أمه مارية التى أهداها المقوقس العظيم إلى رسول الله فتسرى بها وجاء منها به.

(٢٤) هو على زين العابدين بن الحسين بن على، قال ابن خلكان فى ترجمته: «وذكر أبو القاسم الزمخشرى فى كتاب ربيع الأبرار أن الصحابة رضى الله عنهم لما أتوا المدينة بسبى فارس فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد، فباعوا السبايا، وأمر عمر ببيع بنات يزدجرد أيضاً، فقال له على بن أبى طالب رضى الله عنه: إن بنات الملوك لايعاملن معاملة غيرهن من بنات السوقة. فقال: كيف الطريق إلى العمل معهن؟ قال: يقومن، ومهما بلغ ثمنهن قام به من يختارهن،

الحسن، وما كان فيكم بعده مثل ابنه محمد[٢٥] بن علىّ، وجدّته أمُّ ولد، ولهو خير من أبيك، ولا مثلُ ابنه جعفر[٢٦]، وجدتّه أمّ ولد، ولهو خير منك.

وأما قولك: إنكم بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن الله عز وجل قد أبَى ذلك، فقال: «ما كان محمّدٌ أبَا أحدٍ منْ رجالكُمْ ولكنْ رسُولَ اللّه وخاتم النّبيين». ولكنكم بنو ابنته، وأنها لقرابة قريبة، غير أنها امرأة لا تحوز الميراث[٢٧]. ولا ترث الولاية، ولا تجوز لها الإمامة، فكيف تورث الإمامة من قبلها؟ ولقد ظلمها أبوك من كل وجه، فأخرجها تخاصم[٢٨]، ومرّضها سراً، ودفنها ليلا، فأبى الناس إلا تقديم الشيخين وتفضيلهما، ولقد جاءت السنة التى لا اختلاف فيها بين المسلمين أن الْجدَّ أبا الأم والخال والخالة لا يرثون.

وأما قولك: إن الله اختار لك فى الكفر، فجعل أباك أهون أهل النار عقابا، فليس من الشر خيار، ولا من عذاب الله هيّن، ولا ينبغى لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفخر بالنار، وسترد فتعلم، وسيعلمُ الّذين ظلَمُوا أيَّ مُنْقَلب يَنقَلبُون[٢٩].

فقومن، فأخذهن على بن أبى طالب، فدفع واحدة لعبد الله بن عمر، وأخرى لولده الحسين، وأخرى لمحمد بن أبى بكر الصديق،فأولد عبد الله أمته ولده سالما. وأولد الحسين زين العابدين، وأولد محمد ولده القاسم، فهؤلاء الثلاثة بنو خالة، وأمهاتهم بنات يزجرد»١هـ ثم قال: «وكان أهل المدينة يكرهون اتخاذ أمهات الأولاد، حتى نشأ فيهم على بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله ففاقوا أهل المدينة فقها وورعا، فرغب الناس فى السرارى.

(٢٥) هو محمد الملقب بالباقر وأمه هى أم عبد الله بنت الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب. انظر ترجمته فى وفيات الأعيان١ : ٤٥٠ . ولكن أخاه زيد بن على كانت أمه أمة، وقد قدمنا فى الجزء الثانى ص ٣٦٢ ما دار بينه وبين هشام بن عبد الملك من الحديث فى هذا الصدد.

(٢٦) هو جعفر الملقب بالصادق ابن محمد الباقر، وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر.

(٢٧) لأنها من أصحاب الفروض، فتأخذ فرضها فقط (نعم إنها تأخذ التركة كلها فرضا وردا أن لم يكن هناك عاصب).

(٢٨) يريد خروج فاطمة إلى أبى بكر رضى الله عنهما تطلب ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فدك. وقد هجرت أبا بكر فلم تكلمه حتى ماتت. بعد ستة أشهر من وفاة أبيها. فدفنها على ليلا، ولم يؤذن بها أبا بكر.

(٢٩) وفى رواية الطبرى: «وزعمت أنك ابن أخف أهل النار عذابا، وابن خير الأشرار، وليس فى الكفر بالله صغير، ولا فى عذاب الله خفيف ولا يسير وليس فى الشر خيار، ولا ينبغى ... إلخ».

وأما ما فَخَرتَ به من علىٍّ وسابقته، فقد حضَرَتْ رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاةَ، فأمرَ غيرَه[٣٠] بالصلاة، ثم أُخذ الناس رجلا بعد رجل[٣١] فلم يأخذوه ثم كان فى الشُورَى [٣٢] فتركوه كلُهم دَفْعاً له عنها، ولم يَرَوا له مَنْ حق فيها، أمّا عبد الرحمن فقدّمَ عليه عثمان، وقُتل عثمان وهو له متّهم، وقاتلَه طلحة والزبير، وأبى سعد بيعته[٣٣]، وأغلق دونه بابهُ، ثم بايع معاوية بعده .ثُمّ طلَبَهَا بكل وجه، وقَاتَلَ عليها، وتفرّق عنه أصحابهُ، وشكّ فيها شيعته قبل الحكومة، ثم حكّم حكَمينِ، وأعطاهما عهدَه وميثاقه على الرِّضا بما حكَمَا به، فاجتمَعا على خلْعه.

وأفضَى أمرُ جدّك إلى أبيك الحسن، فبايعها من معاوية بخرقٍ ودراهم، ولَحِقَ بالحجاز، وأسلَم شيعته بيد معاوية، ودفَعَ الأمرَ إلى غير أهله، وأخذ مالاً من غير ولائه ولا حلّه، فإن كان لكن فيها شيء فقد بعتموه وأخذتم ثمنه.

ثم خرج عمك الحسين بن علىّ على ابن مَرجانة[٣٤]، فكان الناس الذين معه عليه حتى قتلوه وأتوا برأسه إليه، وقتلوا رجالكم، وأسَروا الصّبْية والنساء، وحمَلوهم بلا وِطَاء[٣٥]، فى المَحَامِل، كالسّبْى المجلوب، إلى الشأم.

ثم خرج منكم غير واحد على بنى أمية، فقتّلوكم وصلّبوكم على جُذُور النخل[٣٦]، وأحرقوكم بالنيران، ونفَوْكم من البُلدان. حتى قُتل يحيى[٣٧] بن زيد بخُراسان.

---

(٣٠) لما مرض رسول الله المرض الذى مات فيه، أذن بالصلاة، فقال: مروا أبا بكر أن يصلي بالناس.

(٣١) أى لتولى الخلافة.

(٣٢) وهم: على وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف.

(٣١) أى لتولى الخلافة.

(٣٢) وهم: علي وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف.

(٣٣) وكان سعد ممن تربص ولم يبايع عليا ولى الخلافة.

(٣٤) هو عبيد الله بن زياد، ومرجانة: أمه.

(٣٥) الوطاء بالكسر والفتح: المهاد الوطئ، وجمعه أوطية، والمحمل كمجلس: شقان على البعير يحمل فيهما العديلان وجمعه محامل. وفى الكامل للمبرد وصبح الأعشى «ثم أتو بكم على الأقتاب من غير أوطية كالسبى المجلوب...» والأقتاب جمع قتب بالتحريك وهو إلا كاف (بالكسر) الصغير على قدر سنام البعير.

(٣٦) خرج زيد بن على على هشام بن عبد الملك سنة ١٢١هـ فقتل وصلب بالكناسة ثم أحرق.

حتى خرجنا عليهم، فأدركنا بثأركم إذ لم تُدْركوه، ورفعْنا أقداركم. وأورَثْناكم أرضهم وديارهم، بعد أن كانوا يلعنون أباك فى أدبار الصلاة المكتوبة، كما تُلْعَن الكَفَرَةُ، فعنفناهم وكفّرناهم، وبيّنا فضله، وأشدْنا بذكره، فاتخذتَ ذلك علينا حجة وظننتَ أنا - لما ذكرنا من فَضْل عليّ - قدّمناه على حمزة والعباس وجعفر[٣٨]، كلٌّ أولئك مضَوا سالمين مُسلّماً منهم، وابتُلِى أبوك بالدماء[٣٩].

ولقد علِمتَ أن مكْرُمَتنا فى الجاهلية سِقايةُ الحجيج الأعظم وولاية زَمْزَم، وكانت للعباس دون اخوته، فنازَعنا فيها أبوك[٤٠]، فقَضى لنا عليه عمر، فلم نزَلَ نَليها فى الجاهلية والإسلام، ولقد قَحط أهل المدينة[٤١]. فلم يتوسّل عمر إلى ربه، ولم يتقرب إليه إلا بأبينا [٤٢]، حتى نَعَشَهم الله، وسقاهم الغيثَ، وأبوك حاضر لم يتوسّلْ به.

---

(٣٧) هرب بعد مقتل أبيه إلى خراسان فى خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة ١٢٥هـ فقتل وصلب وأحرق وذرى فى الفرات.

(٣٨) هو جعفر بن أبى طالب، قتل فى غزوة مؤتة سنة ٨هـ - انظر الجزء الأول ص٣٩٥.

(٣٩) فى رواية الطبرى «حتى خرجنا عليهم، فطلبنا بثأركم، وأدركنا بدمائكم، وأورثناكم وديارهم، وأسنينا سلفكم (أى رفعناه) وفضلناه، فاتخذت ذلك علينا حجة وظننت أنا إنما ذكرنا إياك وفضلناه، للتقدمة منا له على حمزة والعباس وجعفر، وليس ذلك كما ظننت، ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالمين مسلما منهم، مجتمعا عليهم بالفضل، وابتلى أبوك بالقتال والحرب، وكانت بنو أمية تلعنه كما تلعن الكفرة فى الصلاة المكتوبة، فاحتججنا له، وذكرناهم فضله، وعنفناهم وظلمناهم بما نالوا منه».

(٤٠) وكانت السقايا فى الجاهلية بيد أبى طالب ثم سلمها إلى أخيه العباس.

(٤١) كان ذلك يوم الرمادة سنة ١٨هـ، أصابت الناس فيه مجاعة شديدة بالمدينة وما حولها، فكانت تسفى إذا ريحت ترابا كالرماد فسمى ذلك العام عام الرمادة.

(٤٢) خطب عمر عام الرمادة بالعباس، فكان فيما قال: «اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك وبقية أبائه وكبار رجاله، فإنك تقول (وقولك الحق): «وأما الجدار فكانا لغلامين يتيمين فى المدينة، وكان تحته كنز لهما، وكان أبوهما صالحا، فحفظتهما لصلاح أبيهما، فاحفظ اللهم نبيك فى عمه، فما برحوا حتى علقوا الحذاء وقلصوا المازر، وطفق الناس بالعباس يقولون: «هنيئا لك يا ساقى الحرمين».

ولقد علمتَ أنه لم يبقَ أحدٌ من بنى عبد المطلب بعد النبى صلى الله عليه وسلم غيره فكان وارثَه من عمومته[43] ، ثم طلب هذا الأمرَ غيرُ واحد من بنى هاشم فلم ينلْه إلا ولده، فالسِّقايةُ سقايته، وميراثُ النبيِّ له، والخلافة فى ولده، فلم يبق شرف ولا فضل، فى جاهلية ولا إسلام، فى دنيا ولا آخرة، إلا والعباسُ وارِثُه ومورِّثُه، ولقد جاء الإسلام[44] والعباس يمُون أبا طالب وعيالَه، وينفق عليهم للأزمة التى صابته[45]، ولولا أن العباس أُخْرج إلى بدْر كُرْهاً لمات عمَّاك طالب وعقيلٌ جوعا، للحَسا جفانَ عتْبة وشيْبة[46]، ولكنه كان من المطْعِمين، فأذهب عنكم العارَ والشَّنار[47]، وكفاكم النفقة! والمئونة ، ثم فدَى عَقِيلا يوم بدْر.

فكيف تفخَر علينا؟ وقد منّاكم فى الكفر، وفدَيْناكم من الأَسْر، وحُزْنا عليكم مكارمَ الآباء، وورِثْنا دونكم خاتَمَ الأنْبياء، وطلبنا بثأركم فأدركْنا منه ما عجزتم عنه، ووضعناكم بحيث لم تضَعُوا أنفسكم، والسلام عليك، ورحمة الله».

(43) فى الكامل للمبرد وصبح الأعشى «توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس من عمومته أحد حيا إلا العباس، فكان وارثه دون بنى عبد المطلب».

(44) وفيهما. «فاجتمع للعباس أنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء، وبنوه القادة الخلفاء، فقد ذهب بفضل القديم والحديث».

(45) جاء فى شرح ابن أبى الحديد م1: ص 5 «ذكروا زن قريشا أصابتها أزمة وقحط، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعميه حمزة والعباس: ألا نحمل ثقل أبى طالب فى هذا المحل (والمحل كالقحط وزنا ومعنى) فجاءوا إليه وسألوه أن يدفع إليهم ولده ليكفوه أمرهم، فقال: دعوا لى عقيلا وخذوا من شئتم، وكان شديد الحب لعقيل، فأخذ العباس طالبا، وأخذ حمزة جعفرا. وأخذ محمد صلى الله عليه وآله وسلم عليا».

(46) الجفان: جمع جفنة بالفتح وهى القصعة، وعتبة بن ربيعة بن عبد شمس أبو هند أم معاوية، وكان من المطعمين من قريش - انظر سيرة ابن هشام1 : 406، وشيبة أخو عتبة.

(47) الشنار: أقبح العيب.

أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم
(ت ١٨٢ هـ)

هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصارى الكوفى البغدادى، أبو يوسف، صاحب الإمام أبى حنيفة، وتلميذه وأول من نشر مذهبه، كان فقيها علامة، من حفاظ الحديث. ولد بالكوفة وتفقه بالحديث والرواية. ثم لزم أبا حنيفة، فغلب عليه الرأى، وولى القضاء ببغداد أيام المهدى والهادى والرشيد، ومات فى خلافته ببغداد وهو على القضاء، وهو أول من دعى قاضى القضاة، وكان يقال له: قاضى قضاه الدنيا! وأول من وضع الكتب فى أصول الفقه على مذهب أبى حنيفة، وكان واسع العلم بالتفسير والمغازى وأيام العرب، من كتبه «الخراج» و«الآثار» وهو مسند أبى حنيفة، و«النوادر» و«اختلاف الأمصار»، و«أدب القاضى»، و«الأمالى فى الفقه» وغيرها.

من أبى يوسف
إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد

يا أمير المؤمنين، إن الله - وله الحمد - قد قلدك أمراً عظيماً، ثوابه أعظم الثواب، وعقابه أشد العقاب. قلدك أمر هذه الأمة فأصبحت وأمسيت وأنت تبنى لخلق كثير. قد استرعاكم الله، وائتمنك عليهم، وابتلاك بهم وولاك أمرهم، وليس يلبث البنيان إذا أسس على غير التقوى أن يأتيه الله من القواعد

فيهدمه على من بناه وأعان عليه، فلا تضيعنّ ما قلدك الله من أمر هذه الأمة والرعية، فإن القوة فى العمل بإذن الله.

لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد فإنك إذا فعلت ذلك أضعت. إن الأجل دون الأمل، فبادر الأجل بالعمل، فإنه لا عمل بعد الأجل.

إن الرعاة مؤدون إلى ربهم ما يؤدى الراعى إلى ربه، فأقم الحق فيما ولاك الله وقلدك ولو ساعة من نهار، فإن أسعد الرعاة عند الله يوم القيامة راع سعدت به رعيته، ولا تزغ فتزيغ رعيتك، وإياك والأمر بالهوى والأخذ بالغضب.

وإذا نظرت إلى أمرين أحدهما للآخرة والآخر للدنيا فاختر أمر الآخرة على أمر الدنيا، فإن الآخرة تبقى والدنيا تفنى، وكن من خشية الله على حذر، واجعل الناس عندك فى أمر الله سواء، والقريب والبعيد، ولا تخف فى الله لومة لائم. واحذر فإن الحذر بالقلب وليس باللسان، واتق الله فإنما التقوى بالتوقى، ومن يتقّ الله يقه. واعمل لأجل مغضوض، وسبيل مسلوك، وطريق مأخوذ، وعمل محفوظ، ومنهل مورود، فإن ذلك المورد الحق والموقف الأعظم الذى تطير فيه القلوب، وتنقطع فيه الحجج لعزة ملك قهرهم جبروته والخلق بين يديه ينتظرون قضاءه ويخافون عقوبته وكأن ذلك قد كان، فكفى بالحسرة والندامة يومئذ فى ذلك الموقف العظيم لمن علم ولم يعمل، يوم تزل فيه الأقدام، وتتغير فيه الألوان ويطول فيه القيام ويشتد الحساب.

فالله الله فإن البقاء قليل، والخطب خطيروالدنيا هالكة، وهلك من فيها، والآخرة هى دار القرار.

فلا تلق الله غدا وأنت سالك سبيل المعتدين فإن ديان يوم الدين إنما يدين العباد بأعمالهم ولا يدينهم بمنازلهم، وقد حذرك الله فاحذر، فإنك لم تخلق

عبثا، ولن تترك سدى، وإن الله سائلك عما أنت فيه وعما به، فانظر ما الجواب.

وإنى أوصيك يا أمير المؤمنين بحفظ ما استحفظك الله ورعاية ما استرعاك الله، وأن لا تنظر فى ذلك إلا إليه وله، فإنك إن لم تفعل تتوعر عليك سهولة الهدى، وتعمى فى عينيك وتتعفى رسومه، ويضيق عليك رحبه، وتنكر منه ما تعرف وتعرف منه ما تنكر، فخاصم نفسك خصومة من يريد الفلج لها لا عليها، فإن الراعى المضيع يضمن ما هلك على يديه مما لو شاء رده عن أماكن الهلكة بإذن الله وأورده أماكن الحياة والنجاة، فإذا ترك ذلك أضاعه، وإن تشاغل بغيره كانت الهلكة عليه أسرع وبه أضر، وإذا أصلح كان أسعد من هنالك بذلك ووفاه الله أضعاف ما وفى له.

فاحذر أن تضيع رعيتك فيستوفى ربها منك ويضيعك ـ بما أضعت ـ وإنما يدعم البنيان قبل أن ينهدم. وإنما لك من عملك ما عملت فيمن ولاك الله أمره، وعليك ما ضيعت منه.

وجور الراعى هلاك للرعية، واستعانته بغير أهل الثقة والخير هلاك للعامة، فاستتم ما أتاك الله يا أمير المؤمنين من النعم بحسن مجاورتها، والتمس الزيادة فيها بالشكر عليها، فإن الله تبارك وتعالى يقول فى كتابه العزيز: «لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد».

وليس شىء أحب إلى الله من الإصلاح، ولا أبغض إليه من الفساد، والعمل بالمعاصى كفر النعم، وقل من كفر من قوم قط النعمة ثم لم يفزعوا إلى التوبة إلا سلبوا عزهم وسلط الله عليهم عدوهم، وإنى أسأل الله يا أمير المؤمنين الذى من عليك بمعرفته فيما أولاك أن لا يكلك فى شىء من أمرك إلى نفسك وأن يتولى منك ما تولى من أوليائه وأحبائه.

وقد كتبت لك ما أمرت به - من كتاب الخراج - فتفقهه وتدبره، وردد قراءته حتى تحفظه.. وإني لأرجو إن عملت بما فيه من البيان أن يوفر لك خراجك من غير ظلم مسلم ولا معاهد، ويصلح لك رعيتك، فإن صلاحهم بإقامة الحدود عليهم ورفع الظلم عنهم والتظالم فيما اشتبه من الحقوق عليهم، وكتبت لك أحاديث حسنة فيها ترغيب وتحضيض على ما سألت عنه، مما تريد العمل به إن شاء الله.

فوفقك الله لما يرضيه عنك، وأصلح بك وعلى يديك!

ابن السماك
(ت ١٨٣ هـ)

هو محمد بن صَبيح (أو: صُبيح) أبو العباس المذكر المعروف بابن السماك.

كان زاهداً عابداً حسن الكلام صاحب مواعظ، وهو كوفي قدم بغداد زمن الرشيد أقام بها مدة، ثم رجع إلى الكوفة وتوفي بها. وله مواعظ مشهورات في بلاط الرشيد.

كلمات حكيمة لابن السماك

«خيرُ الإخوان أقلُّهم مصانعةً في النصيحة، وخير الأعمال أحلاها عاقبةً، وخير الثناء ما كان على أفواه الأخيار، وأشرفُ السلطان مالم يخالطْه البَطَر، وأغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيراً، وخير الإخوان من لم يخاصِم، وخير الأخلاق أعونها على الورَع، وإنما يُختبَرُ ذلّ الرجال عند الفاقة والحاجة».

يحيى البرمكى
(ت ١٩٠ هـ)

يحيى بن خالد بن برمك أبو الفضل كان مؤدب الرشيد ومعلمه وقد لازمه بأمر المهدى وعمل كاتبا له ولما ولى هارون الخلافة صار يحيى وزيره حتى نكب الرشيد البرامكة فسجنه فى الرخة حتى مات سنة ١٩٠ هـ وكانت ولادته عام ١٢٠هـ .

كتب إلى الرشيد فى حبسه:

لأمير المؤمنين، وخليفة المهديين، وإمام المسلمين، وخليفة رب العالمين، من عبد أسلمته ذنوبه، وأوبقته[١]، عيوبه، وخذله شقيقه، ورفضه صديقه، ومال به الزمان، ونزل به الحدثان[٢] فحلّ فى الضيق بعد السعة، وعالج البؤس بعد الدُّعة[٣] وافترش السخط بعد الرضا، ، واكتمل السهاد بعد الهجود، ساعته شهر وليلته دهر، وقد عاين الموت وشارف الفَوْت[٤]، جزعا لموجدتك يا أمير المؤمنين، وأسفا على ما فات من قُرْبِك، لا على شىء من المواهب، لأن الأهل والمال إنما كان لك وبك، وكانا فى يدى عارية، والعارية مردودة،

---

(١) أوبقته: أهلكته.

(٢) الحدثان: مصائب الزمان.

(٣) الدعة: الرفاهية والنعمة.

(٤) الفوت: الهلاك.

وأما ما أُصبتَ به من ولدى(٥) فبذنبه. ولا أخشى عليك الخطأ فى أمره، ولا أن تكون تَجاوزتَ به فوق حدِّه.

تفكرّ فى أمرى، جعلنى الله فداك، وليمل هواك بالعفو عن ذنب إن كان فمن مثلى الزلل، ومن مثلك الإقالة(٦)، وإنما أعتذر إليك بإقرار ما يجب به الإقرار حتى ترضى، فإذا رضيت رجوت إن شاء الله أن يتبين لك من أمرى وبراءة ساحتى ما لا يتعاظمك بعده ذنب أن تغفره، مد الله فى عمرك، وجعل يومى قبل يومك.

---

(٥) يقصد قتل ابنه جعفر.

(٦) الإقالة: يعنى الأخذ بيده والعفو عنه.

من موجز أقوال الإمام الشافعي

● طبع ابن آدم اللؤم: فمن شأنه أن يتقرب ممن يتباعد عنه ويتباعد ممن يتقرب منه.

● سياسة الناس أشد من سياسة الدواب.

● إن للعقل حداً ينتهى إليه، كما أن للبصر حداً ينتهى إليه.

● جوهر المرء فى خلال ثلاث: كتمان الفقر حتى يظن الناس من عفتك أنك غنى، وكتمان الغضب حتى يظن الناس أنك راض، وكتمان الشدة حتى يظن الناس أنك متنعم.

● أظلم الظالمين لنفسه: من تواضع لمن لا يكرمه، ورغب فى مودة من لا ينفعه، وقبل مدح من لا يعرفه.

● إن الله خلقك حرا فكن كما خلقك.

● من سمع بأذنه صار حاكيا، ومن أصغى بقلبه كان واعيا، ومن وَعَظَ بفعله كان هاديا.

● الكيِّس العاقل هو الفطن المتغافل.

● لو أن رجلاً سوّى نفسه حتى صار مثل القدح، لكان له فى الناس من يعانده.

● الحرية: هى الكرم والتقوى، فإذا اجتمعا فى شخص فهو حر.

● لو أن رجلا تصوف من أول النهار لم يأت عليه الظهر إلا وجدته أحمق.

(★) سبقت ترجمته فى الجزء الخاص بالشعر.

● لا يكون الصوفى صوفيا حتى يكون فيه خصال أربع: كسول، أكول، نئوم، كثير الفضول.

● ما دخل قوم بلد قوم إلا أخذ كل واحد منهم سُنَّة صاحبه، حتى أن العراقى ليأخذ من سنة الشامى، والشامى من سنة العراقى.

ومما كتب الإمام الشافعى:

كَيْفَ البَيَانُ؟

قال الشافعى: والبيان اسم جامعٌ لِمَعَانى مجتمعةِ الأُصُولِ، مُتَشَعِّبَةِ الفروع.

فأَقَلُّ ما فى تلك المعانى المجتمعة المتشعبة: أنَّهَا بيانٌ لمن خُوطِبَ بِهَا ممَّنْ نَزَلَ القُرآنُ بلسانه، متقاربةُ الاستواءِ عِنْده، وإِنْ كان بعضُها أَشَدَّ تأكيد بيَانٍ من بعضٍ. ومُخْتَلِفَةٌ عِنْدَ مَنْ يَجهلُ لسان العرب.

قال الشافعى: فجماعُ ما أبانَ اللهُ لخلقه فى كتابه، مما تَعَبَّدَهُم به، لِمَا مَضَى من حُكْمِهِ جلَّ ثناؤه ـ: مِن وُجُوه.

فمنها: ما أبانه لخلقه نَصاً. مثلُ جُمَلَ فرائضه، فى أنَّ عليهم صلاةً وزكاةً وحجاً وصوماً، وإنه حرَّم الفواحشَ ما ظهر منها وما بطن، ونَصٌّ على الزنا والخمرِ وأكل الميتةِ والدمِ ولحم الخنزير، وبيَّنَ لهم كيفَ فرض الوضوء، مع غير ذلك مما بيَّنَ نَصاً.

ومنهُ: ما أحْكَمَ فَرْضَه بكتابه، وبيَّنَ كيفَ هُوَ على لسان نبيه، مثلُ عدد الصلاة والزكاة ووقتها، وغيرِ ذلك من فرائضه التى أَنْزَلَ من كتابه(١).

(١) يقصد بذلك الفرائض والأحكام التى جاءت فى القرآن الكريم مجملة النصوص، لم تذكر هيئاتها ولا تفاصيلها.

ومنه: ما سَنَّ رسُولُ الله [صلى الله عليه وسلم] ممَّا ليس لله فيه نَصُّ أحكم، وقد فرضَ الله في كتابه طاعةَ رسوله صلى الله عليه وسلم والانتهاءَ إلى حُكْمه. فمَنْ قَبِلَ رسول الله فَبِفَرْضِ الله قَبِلَ.

ومنه: ما فرضَ اللهُ على خلقه الاجتهادَ في طلبه، وابْتَلَى(٢) طاعتهم في الاجتهاد، كما ابتلى طاعتهم في غيره ممَّا فَرَضَ عليهم.

فإنه يقول تبارك وتعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حتّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ) (٣).

وقال: (وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ) (٤).

وقال: (عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) (٥).

قال الشافعي: فَوَجَّهَهُمْ بالقِبْلَة إلى المسجد الحرام، وقال لنبيه: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا، فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) (٦).

وقال: (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ، لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ) (٧).

فَدَلَّهُمْ جل ثناؤه إذا غابوا عن عَيْنِ المسجد الحرام على صواب الاجتهاد، ممَّا فَرَضَ عليهم منه، بالعقول التي رَكَّبَ فيهم، المُمَيِّزَةِ بين الأشياء

(٢) ابتلى طاعتهم: امتحن طاعتهم وامتثالهم لأوامره ونواهيه.

(٣) سورة محمد - الآية ٣١.

(٤) سورة آل عمران - الآية ١٥٤.

(٥) سورة الأعراف - الآية ١٢٩.

(٦) سورة البقرة - الآية ١٤٤.

(٧) سورة البقرة - الآية ١٥٠.

وأَضدادها، والعلامات التى نَصَبَ لهم دون عيْن المسجد الحرامِ الذى أمرهم بالتَّوجه شَطْرَهُ.

فقال: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)[8]. وقال: (وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ)[9].

فكانت العلاماتُ جبالاً وليلاً ونهاراً، وفيها أَرْوَاحٌ[10] معروفةُ الأسماء وإن كانتْ مُخْتَلِفَةَ المهَابِّ. وشمسٌ وقمرٌ ونجومٌ، معروفةُ المطَالِعِ والمغَارِبِ والمواضِعِ من الفلَكِ.

فَفَرض عليهم الاجتهادَ بالتوجُّه شَطْرِ المسجد الحرَامِ، ممَّا دلَّهُمْ عليه ممَّا وَصَفْتُ، فكانوا ما كانوا مجتهدين غيرَ مُزَايِلِين[11] أَمْرَهُ جلَّ ثناؤه. ولم يَجْعَلْ لهم إذا غاب عنهم عيْنُ المسجدِ الحرام أن يصلُّوا حيثُ شاءوا.

وكذلك أخْبَرَهم عن قَضَائه، فقال: (أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى)[12] والسُّدَى الذى لا يؤْمَرُ ولا يُنْهَى.

وهذا يدلُّ على أنه ليس لأحدٍ دُونَ رسول الله، أن يقولَ إلا بالاستدلال، بما وَصَفْتُ فى هذا وفى العدْلِ وفى جزاء الصيْد، ولا يقولُ بما استَحْسَنَ، فإنَّ القولَ بما استَحْسَنَ شيْءٌ يحْدِثُه لا عَلَى مثالٍ سبَقَ.

فأمَرَهُمْ أنْ يشْهِدُوا ذَوَى عدْلٍ. والعدْلُ أن يعملَ بطاعة الله، فكانَ لهم السبيلُ إلى علم العدْلِ والذى يخالفه.

وقد وُضِع هذا فى موضعه، وقد وَضَعْتُ جُمَلاً منه، رَجَوْتُ أن تدُلَّ على ما وراءَها، ممَّا فى مثل معناها.

(٨) سورة الأنعام ـ الآية ٩٧.

(٩) سورة النحل ـ الآية ـ ١٦.

(١٠) الأرواح: جمع ريح.

(١١) غير مزيلين: غير مفارقين.

(١٢) سورة القيامة ـ الآية ٣٦.

ابن الكلبى
(ت ٢٠٤أو ٢٠٦هـ)

هو هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبى، وكنيته أبو المنذر، واشتهر بابن الكلبى. وكان إليه المرجع بأيام العرب ومثالبها ووقائعها وتشعبها فى البلاد. وقد اعتمد كبار المؤرخين والكتاب فى نقولهم على ابن الكلبى، مثال ذلك: ابن سعد، والطبرى، والجاحظ، والمسعودى، وياقوت الحموى، وعبدالقادر البغدادى.

على أن هناك فريقاً من علماء الحديث لا يرضون عن ابن الكلبى ولا عمن نحا نحوه من التاريخيين والأخباريين، لأنهم تعرضوا لرواية الآثار دون أن تتوافر فيهم الشروط اللازمة فيمن يتصدر لإملاء الحديث.

لهذا قال السامعانى عن ابن الكلبى إنه: يروى الغرائب والعجائب والأخبار التى لا أصول لها، وسبقه ابن حنبل قال: «كان صاحب سير ونسب ما ظننت أن أحدا يُحدث عنه». وقال الدّارقطنّى: هشام متروك، وقال غيره: ليس بثقة.

لكن هذا لا ينفى الاعتراف بأنه كان حافظاً أخبارياً ومن جهابذة العلماء الذين تفخر بهم الحضارة العربية فى تقييد كثير من الشوارد والأوابد، وفى تدوين طائفة كبيرة من المعلومات التاريخية والجغرافية. وتأتى آثاره الباقية ذات أهمية كبيرة لعلماء الأنثروبولوجيا والأساطير والتراث الشعبى.

أتت وفاة ابن الكلبى فى سنة ٢٠٤هـ، وقيل ٢٠٦هـ.

أما تصانيفه فتبلغ ١٤١ كتاباً. وقد أوردها ابن النديم فى كتاب الفهرست، وياقوت فى معجم الأدباء، ولم يبق منها إلا النذر اليسير، منها الجمهرة فى النسب، نسب الخيل فى الجاهلية والإسلام، وكتاب الأصنام.

فى عبادة الأوثان والأصنام(*)

حدَّثنا أبى وغيرُه ـ وقد أثبتُّ حديثَهم جميعاً ـ أنّ إسماعيل بن إبراهيم (صلىّ اللّه عليهما) لمَّا سكن مكَّة ووُلِدَ له بها أوْلادٌ كثير حتّى ملأوا مكّة ونَفْوا مَن كان بها من العماليق، ضاقت عليهم مكّةُ ووقعتْ بينهم الحروبُ والعداواتُ وأخرج بعضُهم بعضاً، فتفسَّحوا فى البلاد والتماس المعاش. وكان الذى سَلَخَ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يَظْعَنُ من مكّةظاعنٌ إلا احتملَ معه حَجَراً من حجارة الحَرَم، تعظيماً للحَرَم وصَبابةً بمكّة، فحيثما حلّوا، وضعوه وطافُوا به كطوافهم بالكعبة، تيُّمناً منهم وصبابةً بالحَرَم وحباً له. وهم بعدُ يُعظِّمون الكعبة ومكّة، ويَحُجُّون ويعتمرون، على إرث إبراهيم واسماعيل (عليهما السلام). ثم سلخ ذلك بهم إلى أنْ عبدُوا ما استَحَبُّوا، ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره. فعبدوا الأوْثان، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قَبْلهم. وانْتَجَثوا ما كان يَعبُد قومُ نوح (عليه السلام) منها، على إرْث ما بقى فيهم من ذِكرها، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم وإسماعيل يتنسَّكون بها: من تعظيم البيت، والطواف به، والحجّ، والعُمْرة، والوُقوف على عَرَفَة ومُزْدَلَفَة، وإهداء البُدْن، والإهلال بالحجّ والعُمْرة ـ مع إدخالهم فيه ما ليس منه.

فكانت نِزارُ تقول إذا ما أهلّتْ:

(*) ابن الكلبى، الأصنام، تحقيق أحمد زكى باشا، دار الكتب المصرية، ١٩٢٤.

«لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ! لَبَّيْكَ!

لَبَّيْكَ لا شريكَ لَكْ! * إلا شريكٌ هو لكْ!

تَمْلِكُهُ وما مَلَكْ!»

ويُوحِّدونه بالتلبيةَ. ويُدخِلون معه آلهتهم ويجعلون ملْكَها بيده. يقول الله (عزّ وجلّ) لنبيِّه (صلّى الله عليه وسلم): (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِالله إلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ)، أى ما يُوَحِّدُوننى بمعرفة حقِّى، إلا جعلوا معى شريكاً من خلْقى.

وكانت تلبية عَكٍّ، إذا خرجوا حُجّاجاً، قدّموا أمامهم غُلاَمَيْن أسودَيْن من غلْمانهم، فكانا أمامَ رَكْبِهم،

فيقولان:

نحن غُرَابَا عَكّ!

فتقول عَكٌّ من بعدهما:

عَكٌّ إليك عانيةْ، عِبادُك اليَمانيةْ

كَيْمَا نَحُجَّ الثّانيَةْ!

وكانت ربيعةُ إذا حجّتْ فقَضتِ المناسك ووقفتْ فى المواقف نَفَرَتْ فى النَّفْر الأوّل ولم تُقِم إلى آخر التشريق.

فكانا أوّلَ مَنَ غير دين إسماعيل عليه السلام، فنَصَبَ الأوْثان وسيَّبَ السائبة، ووصلِ الوصيلة وبَحَّر البَحيرةَ وحمى الحامية عمرُو بن ربيعة، وهى: لحَىُّ بن حارثة بن عمرو بن عامر الأَزْدىّ. وهو أبو خُزَاعَةَ.

وكانت أُمُّ عمرو بن لُحَىٍّ فُهَيْرَةُ بنتُ عمرو بن الحارث. ويقال قَمْعَةُ بنت مُضَاضِ الجُرْهُمِىِّ.

وكان الحارث هو الذى يلى أمرَ الكعبة، فلما بلَغَ عَمْرُو بنُ لُحَيّ، نازعه في الولاية وقاتل جُرْهُما ببني إسماعيل. فظفر بهم وأجلاهم عن الكعبة، ونفاهم من بلاد مكّة. وتولّى حجابة البيت بعدهم.

ثم إنه مَرِضَ مرضاً شديداً، فقيل له: إنّ بالبلقاء من الشام حَمَّةً إنْ أتيتْها، بَرَأْتَ، فأتاها فاستحم بها، فبرأ. ووجد أهلَها يعبُدون الأصنام، فقال: ما هذه؟ فقالوا: نستسقى بها المطر ونستنصرُ بها على العدوّ. فسألهم أن يُعْطوه منها، ففعلوا. فقدِم بها مكّة ونصبها حوْلَ الكعبة.

طاهر بن الحسين
(ت ٢٠٧ هـ)

طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعى قائد من قواد المأمون، ولد سنة ١٥٩هـ فى بوشيخ من أعمال خراسان بغداد وسكن بغداد فاتصل بالمأمون فى صباه وكانت لأبيه منزلة عند الرشيد، وهو الذى حاصر جيوش الأمين وقضى عليه سنة ١٩٨هـ. وقد تولى فى عهد المأمون شرطة بغداد ثم أعطاه ولاية الموصل وبلاد الجزيرة والشام والغرب ثم خراسان، وقد قتل لقطعه خطبة المأمون فى يوم جمعة سنة ٢٠٧هـ،

يقول من وصية إلى ابنه عبد الله حين ولاه المأمون الرقة سنة ٢٠٦هـ:

اعلم أنك جُعلت بولايتك خازنا وحافظا وراعيا وإنما سُمّى أهل عملك رعيتك لأنك راعيهم وقيّمهم تأخذ منهم ما أعطوك من عقدهم ومقدرتهم، وتنفقه فى قوام أمرهم وصلاحهم وتقويم أودَهم(١). فاستعمل عليهم فى كُوَر عملك ذوى الرأى والتدبير والتجربة والخبرة بالعمل، والعلم بالرياسة والعفاف، ووسّع عليهم فى الرزق. فإن ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت وأسند إليك. ولا يشغلنّك عنه شاغل، ولا يصرفنّك عنه صارف فإنك متى أثرته وقمت فيه بالواجب استدعيتَ به النعمة من ربك، وحُسن الأُحدوثة فى عملك. واحترزتَ النَّصَحة من رعيتك وأعنتَ على الصلاح فى كُورِك. فكثر خراجك

(١) الأود: الميل الاعوجاج.

وتوفَّرت أمـوالك، وقَويتَ بذلك على ارتبـاط جندك وإرضـاء العـامـة بإفـاضـة العطاء فيهم عن نفسك. وكنت محمودَ السياسة مرضيَّ العدل.. واستعمل الحزم في كل ما أردت وباشر بعد عَوْن الله بالقوة، وأَكْثِر استخارةَ ربك في جميع أمورك، وأفرُغْ من عمل يومك ولا تؤخره لغدك، وأكثر مباشرته بنفسك، فإن أمـورا وحـوادث قـد تلهيك عن عـمل يومك الذي أخـرت، واعلم أن اليـوم إذا مضى ذهب بما فيه، فإذا أخَّرت عمله اجتمع عليك أمر يومين، فشغَلك ذلك حتى تُعرض عنه، فإذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت نفسك وبدَنك وأحكمت أمور سلطانك..

بشر بن المعتمر
(ت ٢١٠ هـ)

هو أبو السهل البغدادى، فقيه معتزلى مناظر من أهل الكوفة، يلى النظام وكان رئيسا للمعتزلة ببغداد تنسب إليه الطائفة البشرية وهى من طوائف المعتزلة له مصنفات فى الاعتزال وانفرد عن أصحابه بمسائل كلامية.

كلام بشر بن المعتمر

مرَّ بِشر بنُ المعتمر بإبراهيم بن جبلة بن مَخْرمَة السَّكونىَّ الخطيب، وهو يعلّم فتيانهم الخَطابة، فوقف بِشرٌ فظنّ إبراهيمُ أنّه إنّما وَقَفَ ليستفيد أو ليكونَ رجلاً من النَّظّارة، فقال بِشر: اضربُوا عمّا قالَ صَفْحا، واطوُوا عنه كَشْحا، ثمّ دَفَعَ إليهم صحيفةً من تحبيره وتنميقه، وكان أول ذلك الكلام:

«خُذْ من نفسك ساعةَ نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إياك، فإنّ قليل تلك الساعة أكرَمُ جوهراً، وأشرَفُ حسباً، وأحسن فى الأسماع، وأحلَى فى الصدور، وأسلَمُ من فاحش الخطأ، وأجْلَبُ لكلّ عين وغُرّة، من لفظ شريف ومعنىً بديع. واعلمْ أنْ ذلك أجدى عليك ممّا يُعطيك يومُك الأطولُ، بالكدّ والمطاولة والمجاهدة، وبالتكلّف والمعاودة. ومهما أخطأك لم يُخطئك أن يكون مقبولاً قَصْداً، وخفيفاً على اللّسان سهلاً، وكما خرج من ينبوعه ونَجم من معْدِنه. وإياك والتوعُّر فإنّ التوعّرُ يُسلِمُك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذى يستهلك

معانيكَ، ويَشين ألفاظك، ومن أراغَ معنىً كريماً فليلتمسْ له لفظاً كريماً، فإنَّ حقَّ المعنى الشريف اللفظُ الشّريف، ومن حقِّهما أن تصونهما عما يفسدُهما ويهجّنهما، وعمّا تعُود من أجله أن تكونَ أسوأ حالاً منك قبل أن تلتمس إظهارَهُما، وترتهن نفسَك بملابستهما وقضاءِ حقِّهما. فكُن فى ثلاثِ منازل، فإن أولَى الثلاث أن يكون لفظك رشيقاً عذْبا، وفخْماً سهلا، ويكون معناك ظاهراً مكشوفاً، وقريباً معروفاً، إمّا عند الخاصّة إنْ كنتَ للخاصّة قصَدت، وإمّا عند العامّة إن كنتَ للعامّة أردت. والمعنى ليس يشرُف بأن يكونَ من معانى الخاصّة، وكذلك ليس ينْصح بأن يكونَ من معانى العامّة. وإنّما مَدارُ الشَّرَف على الصواب وإحرازِ المنفعة، مع موافَقَة الحال، وما يجب لكل مَقامٍ من المقال، وكذلك اللفظ العاميّ والخاصّى. فإنْ أمكنْكَ أن تبلغ من بيان لسانك، وبلاغةِ قلمك، ولُطف مدَاخلك، واقتدارك على نفسك، إلى أن تُفْهم العامّة معانيَ الخاصّة، وتكسُوَها الألفاظَ الواسطة التى لا تلطُف عن الدَّهْماء، ولا تَجفُوا عن الأكْفاء، فأنت البليغ التامّ.

فإن كانت المنزلة الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسمح لك عند أوَّل نظرك وفى أول تكلّفك، وتجد اللّفْظةَ لم تقع موقعَها ولم تَصر إلى قرارها وإلى حقِّها من أماكنها المقسومة لها، والقافيةَ لم تحُلَّ فى مركزها وفى نصابها، ولم تتّصل بشكلها، وكانت قلقةً فى مكانها، نافرةً من موضعها، فلا تُكْرهْها على اغتصاب الأماكن، والنزول فى غير أوطانها، فإنّك إذا لم تَتَعاطَ قرضَ الشّعر الموزون، ولم تتكلّف اختيارَ الكلام المنثور، لم يَعبْك بترك ذلك أحد، فإنْ أنت تَكلفْتَهُما ولم تكن حاذقاً مطبوعاً، ولا مُحكماً لشأنك، بصيراً بما عليك وما لَكَ، عابَكَ مَن أنت أقلُّ عيباً منه، ورأى مَن هو دونَك أنّه فوقَك، فإن ابتُليت بأن تتكلّفَ القولَ، وتتعاطى الصّنعةَ، ولم تَسْمَح لك الطِّباعُ فى أوَل وَهلة، وتعاصَى عليك بعْدَ إجالة الفكرة، فلا تعجَلْ ولا تضْجَر، ودَعْهُ بياضَ يومِك وسوادَ

ليلتك، وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك، فإنك لا تَعدم الإجابة والمواتاة، إن كانت هناك طبيعة، أو جريْتَ من الصناعة على عرْق. فإن تمنّع عليك بعدَ ذلك من غير حادث شغلٍ عرَض، ومن غير طول إهمال، فالمنزلةُ الثّالثةُ أن تتحوّلَ من هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك، وأخفّها عليك، فإنك لم تشتهِه ولم تنازعْ إليه إلا وبينكما نسب؛ والشيء لا يحن إلا إلى ما يشاكله وإن كانت المشاكلة قد تكون في طبقات، لأن النفوسَ لا تجود بمكنونها معَ الرّغْبة، ولا تَسْمَح بمخزونها مع الرّهْبةِ، كما تجود به مع الشّهوةِ والمحبّة. فهذا هذا.

سهل بن هارون

(ت ٢١٥ هـ)

ولد سهل بن هارون - وهو من أصل فارسي - بدست ميسان. وقد ترك موطنه الأصلي ودخل البصرة، ثم اتصل بالمأمون فولاه خزانة الحكمة، وكان أديبا تبدو شخصيته فيما يؤلف ويدّبج ويحبّر. وكان شعوبي المذهب، شديد العصبية على العرب. وقد عني - مثل ابن المقفع - بالكتابة في شئون الحكم والسياسة. ولعل من أهم هذه الكتب جميعا كتاب ثعالة وعفراء الذي ألفه فصولاً في قصص الحيوان معارضة لكتاب كليلة ودمنة، ولم يصلنا هذا الكتاب، وصلتنا فقرة منه في كتاب زهر الآداب للحصري وله كذلك كتاب النمر والثعلب، وقد حققه وقدم له الدكتور منجي الكعبي[*] (١٩٨٠).

(★) كتاب النمر والثعلب لسهل بن هارون تحقيق وتقديم د. منجي الكعبي، تونس، الطبعة الأولى. ١٩٨٠.
القصة، تدور حوادثها بين نمر طاغية وثعلب حكيم وذئب كنود، وذلك أن ثعلبا رمت به الأقدار إلى جزيرة، تصادف بها ذئبا قد أصابه الهزل والخوف من نمر باطش كان يملك الجزيرة، فما كان من الثعلب المحتال لكسب الرزق إلا أن يتقدم إلى الذئب بأن يأتي النمر ويسأله ولاية على بعض نواحي الجزيرة، ويطعمه بنصف ما يحصل عليه من خيراتها، فوافقه النمر على ذلك، غير أن الذئب ما إن صلحت حال ولايته حتى خالف على النمر وناصبه العداء. وعبثا خوفه الثعلب من ذلك، فلم يزل النمر في حروب معه حتى بطش به، وكاد يوقع بالثعلب معه لولا ما لاحظه عليه من عجيب التخلص والحكمة، فاستبقاه حيا، واختبره، فأزاد إعجابه به، واتخذه وزيرا له لعله يدرأ به غوائل أمثال ذلك الذئب الكنود.
فأنت لا تكاد تشعر بنمر أو ثعلب أو ذئب على الحقيقة في هذه القصة الطريفة لسهل بن هارون. وإنما هي أشخاص الخليفة والوالي والوزير في ذلك العصر تتكلم بلسان الحيوان أو هي قصة الصراع على السلطة بصورة عامة مبسوطة في شكل أدبي طريف، مما استحدثه المولدون في القرن الثالث.

قال سهلٌ بن هارونَ الكاتب ـ رحمه الله ـ:

الحمد لله الذى فَطَرَ العِباد على معرفته، وأكَلَّ(١) الألسنَ عن صفتــه، وحَسَمَ(٢) الخلائق عن إدراك كيفيته، وخلَق الملأ خلقاً نُورانياً، وكوّن الآدميين ما شاء أطواراً وركّب البروج. وأدار الأفلاك، وخلق اللّيل والنّهار، فتبارك الذى بانَ فى ملكوته، والملك الحاكم فى بَرِيّته، وتعالى الحيُّ الدّائمُ الذى لا يموت، وسُبحـان المُهيْمن القدُّوس الذى لا يتوارى عنه مارقٌ من مـخلوقـاته فى ليل داج، ولا فى سمـاء ذات أبراج، ولا فى أرض ذات فِجـاج، ولا فى بحـورٍ ذات أمواج، ولا فى ظُلَم ذات أدعاج، يعلمُ الخفىَّ وفوق الخفىّ ودون الخفىّ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحـده شريك له، الذى لا تشـتبـه عليـه الأصـواتُ بضـروب اللّغات، والعالم بمكنون الخفيّات، وأشهد أنّ سيّدنا مـحمّداً عبدهُ ورسوله، نوراً فَلَقَ به الظُّلمـات، وأتمَ به الكُليـات وأوضح بـه الدّلالات، وأقـام به الرّسـالات، وختم به النُّبوات. وافتتح به الخيرات، أن بعثه نبيًا وهادياً ورسولاً داعياً إليه ودالاً عليه، وحُجَةً بين يديه، صلّى الله عليه وعلى آله وصَحبه وسلّم تسليماً.

أمَا بعد: أيّدك الله بتوفيقه، وعصَمك بتسديده، فإنّى رأيت أن أصنع لك كـتـاباً فى الأدب والبـلاغـة والتّرسـيل(٣) والحـروب والحيَل والأمـثـال والعـالمِ والجاهلِ، وأن أشْرب ذلك بشىء من المواعظ وضروبٍ من الحكم، وقد وضعت من ذلك كتاباً مختصراً موعباً (٤) شافياً، وجعلته أصلاً للعالم/ الأديب، والعاقل الأريب، مماَ أمكننى حـفظَه واطّرد لِى تأليـفـه؛ واللهَ نسـأله العـونَ والتّأييـدَ والتّوفيق والتّسديد، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلىّ العظيم.

---

(١) أكل الألسن: سيرها كليلة قاصرة.

(٢) حسم: قطع ومنع.

(٣) الترسيل: ترسل الكاتب أتى بكلام مرسل غير مقيد.

(٤) وعبه يعبه وتعبه: أخذه أجمع، ولم يدع منه شيئاً، وأوعب الشىء فى الشىء: أدخله فيه كله.

ذُكر أنّ ثعلباً يقال له مرزوق، ويُكنّى أبا الصّباح، أقام فى وادٍ لم يكن به غيرُه. فغبَرَ عليه زمانٌ وهو فى حُسْن الحال، آمنُ السِّرب رَخىُّ البال. فمرّ به صديق له منَ الثّعالبةِ يقال له طارقٌ، ويُكنّى أبا المُغلّس، فنزَل عليه، فأحسن ضيافته وأكرم مثواه، فقال له طارق: يا أبا الصباح. كلُّ أمرك جميل، وكل فعالك فَعَلى سبيل حزم وصوابِ تدبير، غير أنك احْتَفَرْتَ جُحْرك بمكان سوء، وأنّه لا حَقُّ منزلٍ بِتَرْكٍ (٥). فقال له مرزوق: يا أبا المُغلّس، وما الذى أنكرت علىَّ منه وغَمَصْتَ(٦) علىّ فيه؟ فأنت من لا أَتَهّم فى عقله ونصيحته لأهل مودته، وما عقالك لهم بأنشوطة(٧)، وإنّى لَعَلى حبْل ذراعك(٨) والمؤمن مرآةُ أخيه؟ وقد كان عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ قال: رحم الله من أهدى إلينا عيوبَنا. فقال له طارق: إنّ أخاك من صَدَقك، والشّفيقُ بسُوءِ الظنّ مُولَعٌ(٩). وإنّى أراك فى واد عظيم، وبه آثار السّيْل ما ترى: وما تدرى ما يحدث، ولستُ آمَنُ عليك أن يَدْهمك منه بالليل ما لا طاقة لك به، وهو أحد الأبْهَمَيْنِ، والسَّيلُ حَرْبٌ للمكان العالى(١٠)، فنَشَدْتُك اللهَ فى نفسك وأهلك ألا تحوّلتَ من هذا الموضع، واستبدلتَ به غيره .فقال له مزروق: فأنت من لا أتهم فى رأية ومَشُورته، وسأتقدّم إلى زوجتى فى التّحويل. وقام فدَخَل عليها فقال: يا هذه! قد كان فَرَط من خطئنا فى المقام بهذا الوادى ما كاد يُهلكنا حتّى أتاح الله لنا صديقاً، أبا المغلّس، فحذّرنا المُقام به. وخوّفنا السّيلَ ونحن بعَقْوَته(١١).

---

(٥) مجمع الأمثال: ٢/ ٢٨٧.

(٦) غمصت عليه: عبته.

(٧) يقال: «ما عقالك بأنشوطة، ما مودتك براهبة، والعقال: ما يعتقل به البعير. والأنشوطة: عقدة يسهل حلها، جمع أناشيط. وتقديره ما عقد عقالك بعقد أنشوطة، فحذف عقد. وهو مثل «مجمع الأمثال: ٢/ ٢٦٣».

(٨) هو على حبل ذراعك: ممكن لك مستطاع.

(٩) كظنون الوالدات بالأولاد (نهاية الأرب، للنويرى: ٣/ ١٥).

(١٠) لأبى تمام:

لا تنكرى عطل الكريم من الغنى   فالسيل حرب للمكان العالى

وإنّه كان يقال: التقدّم قبل التّندّم[١٢]، فأجمعي إليك متاعَك وانتقلي، فقالت له: صديقك بالنصيحة لك: ولكنّه رأى غَضَارة[١٣] عيشك بهذا الوادي، وقُرْبَ مَغَارك[١٤]، وبُعْدَ أعدائك، فَحَسَدَكَ إيّاهُ، ونحن به نزول منذ سنين فما رأينا من سيله ما يروعُنا، وجحرْنا / بالمعزل عن سننه[١٥]، فزُلْ عن هذا الرّأي ولا تحفل به. فخرج إلى طارق، فأعلمه بخلاف زوجته عليه، وما اعترضتْ عليه من خَفْض العيش، وطول السّلامة. فقال له طارق: يا أبا الصّباح! إن لم تَسْقُط معنا النّصيحةُ فنحن معك بخير، وإنّه كان يقال: العزيمة حزمٌ والاختلاط ضُعف، وليس للنّساء رأى، فلا تَحملْك زوجتك بلَجَاجها على أمر فيه عطبَك، واعرفْ ذلك ممّا يقول طُفيلٌ الغَنَويُّ، شعراً [١٦]. (بسيط)

إنّ النّسَاء كأشجارٍ نبتْنَ معاً
منهُنّ مُرٌّ وبعضُ المرّ مأكُولُ

إنّ النّساءَ متَى ينْهيْنَ عنْ خلُق
فإنّهُ واجبٌ لا بُدّ مفْعُولُ

ثم إنّ طارقاً ارتحل عنه، وأقام مرزوق بمكانه. فبينما هو على تلك من حاله. حتّى جاء السّيلُ، فنظر إليه مرزوقٌ، فقال لزوجته: خُذِ الأَمْرَ بقوابله[١٧]، فقد علمتِ ما قال القُطاميُّ[١٨] في شعر:

---

(١١) ونحن بعقوته: أى بساحة الوادى، عقو الدار مساحتها وحولها (لسان العرب: عقو).

(١٢) قوله: «التقدم قبل التندم» مثل يضرب فى لقائك من لا قوام لك به. «مجمع الأمثال: ١/١٣٦.

(١٣) غضارة: فى غضارة من العيش، فى سعة ونعمة.

(١٤) كغارك: المغار كل منخفض من الأرض.

(١٥) السنن: الطريقة.

(١٦) طفيل الغنوى: شاعر جاهلى توفى قبل الهجرة بثلاث عشرة سنة تقريبا، وهو أوصف العرب للخيل، وربما سمى طفيل الخيل لذلك، ويسمى المحبر لتحسين شعره. عاصر النابغة الجعدى وزهير بن أبى سلمى، له ديوان شعر مطبوع.

(١٧) قوابله: يقال: أخذت الأمر بقوابله، أى أوائله. «وخذ الأمر بقوابله» مثل يضرب للأمر فى استقبال الأمور، «مجمع الأمثال» ١/ ٢٣١.

(١٨) القطامى: هو عمرو بن شيم بن عمرو بن عباد. شاعر غزل عاش فى العصر الأموى، وتوفى سنة ١٣٠هـ.

وخـيـرُ الأَمْرِ مَا اسْـتَقْبَلت منه وليْـسَ بِأَنْ تَتَبَـعَـهُ اتِّبَـاعَا

وقال بعض الحكماء: شرُّ الرَّأيِ الدَّبريُّ(١٩). وقال متمثلاً:

قَبْلَ الـرَّمْي يُرَاشُ الـسَّهْمُ(٢٠). فالنَّجاة الآن وَلاَتَ حين مَنَاص. قالت له زوجته: ما كُلُّ أَزَبٍّ نَفور(٢١)، وقد يجيء مثل هذا في السّنة مرارا، فما يصل إلينا أوّله حتّى ينقطع آخره، فلا تخرجنا من وطننا، فإنّا به راضون.

وإنّهما لَعَلَى ذلك من مُرَاجَعَتِهما، إذْ دخل السَّيل عليهما، فخرج الثّعلب من جُحره ليهْرب فاحتمله السّيل فقصَد لبعض ما جاء به السَّيلُ من الخشب، فتعلّق به وأسلم نفسه، فما نَهْنَهَهُ(٢٢) إلى أن قذف به في البحر، فلمّا رأى البحر قال يخاطب نفسه، استمسكْ فإنّه مُقدَّر بك. فأجاب نفسه عن نفسه(٢٣).

وكَيْفَ تَوَقِّي ظَهْرَ ما أَنْتَ رَاكِبُهُ

ثمَ تمثّل بقول أميّةَ حين قال(٢٤): (منسرح)

يُوشِـكُ مَنْ فَـرَّ مِنْ مَنِيَّـتِـه فِي بَعْضِ غِرَّاتِهِ يُوَافِقُهَـا

مَا رَغْبَةُ الـنَّفْسِ فِي الحيَاةِ وَإِنْ عَـاشت طويلاً والموت لاحـقـهـا

يَقُودُهَا قَائِدٌ إِلَيْـهِ وَيَحْـدوها سَرِيعـاً إِلَيْهِ سَائِقُهَـا

مَنْ لَمْ يَمُتْ غَبْطَةً يَمُتْ هَرَمـاً الـمـوت كـأسٌ والمـرء ذائقـهـا

(١٩) يقال: «شر الرأى الدبرى». أى الذى يجيء آخرا بعد فوات الحاجة وهذا القول مثل.
(٢٠) قبل الرمي يراش السهم: يضرب به في الاستعداد للأمر قبل نزوله أو وقوعه ويراش: أى يركب على الريش، يعنى يجب أن يصلح قبل الرمي.
(٢١) فى المثل: «كل أزب نفور» «مجمع الأمثال: ٢/ ١٣٣»، وقال: «أنفر من بعير أزب» والأزب: الكثيف الشعر، وذلك أن البعير يرى طول الشعر على عينيه فيظنه شخصا، فينفر منه ولا يتخلص من لحاقه به فلا يزال ناشرا. «العقد الفريد: ٣/ ١١٩».
(٢٢) نهنه فلانا عن الشيء كفه عنه وزجره.
(٢٣) ما فى قوله «ما أنت راكبه» عبارة عن الدهر. أى كيف تحذر جماع الدهر وأنت منه فى حال الظهر يسير بك من مورد الحياة إلى منهل الموت؟. «مجمع الأمثال: ٢/ ١٤٠».
(٢٤) أمية بن أبى الصلت، شاعر جاهلى، توفى بعد الهجرة بخمس سنين.

ثُمَّ لم يزل يترامى به الموج، حتّى ألقاه إلى جزيرة من جزائر البحر، فلمّا استقرّت قوائمه على الأرض قال: من لم يفت لم يمت[٢٥]. ثمّ تمثّل بقول الأعشى[٢٦]، شعراً: (طويل)

شَبَابٌ وَشَيْبٌ وَافْتِقَارٌ وَثَرْوَةٌ فَلِلَّهِ هَذَا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا

فأقبل وأدبر يومه لا يسمع حَسيساً، ولا يرى أنيساً. وأوْحشه ذلك، وظنّ أنه هالكٌ، وبات ليلته طاوياً[٢٧] حتّى أصبح، فبينما هو في تردّد إذ استقبله ذئبٌ، فسلّم عليه وسأله عن اسمه وكُنيته. فقال له الذّئب: اسمي مكابرٌ وكنيتي أبو العداء، فما أوْقَعَكَ أيّها الثعلب بهذه الجزيرة، وليس لك فيها أكل؟ فقص عليه الثّعلب قصّته، وقال له: كيف أيأَسْتَني يا أبا العداء من الطّعْم[٢٨] بهذا الموضع؟ فقال له الذّئب: إنّه ليس فيها إلا الظباء وبقر الوحش. فقال له الثعْلب: وما منعكم أن تصيدوها فأصيب من رِسْلكم[٢٩]. فقال له الذّئب: نحن هاهنا جماعة ما يتجرأً واحدٌ منّا أن يخرج من بابه شبراً واحداً، وإنّا لمن الهُزْل[٣٠] والضُرّ في ما ليس فيه خلَق، قال له الثّعلب: وما دهاكم؟! فقال له الذّئب: هاهنا نمر يقال له المظفر بن منصور قد تملّك على هذه الجزيرة، وغلب عليها. وهو من شراسته وبُخله وضيق خلْقه على ما قد عرفتَ من صفة النّمور، وإنّي لأكَلِّمُكَ وما آمنّه فرَقا [٣١] أن يخْرُجَ فيرَانا، فتفرّقا وتواعدا موضعاً خفياً يلتقيان فيه من غدٍ.

---

(٢٥) مجمع الأمثال: ٢/ ١٨١.

(٢٦) الأعشى، أبو بصير، ميمون بن قيس، يعرف بأعشر قيس، ويقال له الأعشى الكبير، توفي سنة سبع للهجرة.

(٢٧) طاويا: الطوى، الجوع.

(٢٨) الطعم: الطعام.

(٢٩) الرسل: اللبن. والعرب تعد اللبن أقل ما تقدم للأضياف.

(٣٠) هزل: يهزل هزلا: ضعف.

(٣١) فرق: يفرق فرقا: جزع واشتد خوفه.

فانصرف الثّعلب حزيناً مُغْتَمّاً لما حذره من عداوة النمور وعدم الفوت. ثم فكر فقال: إنما يُعْرَف فضلُ عقلِ المرء في شدائد الأمور ونوازل الخطوب، فأمّا عند الرخاء فما أقرب الجاهل من العالم، والأحمق من العاقل، وحاجبه عن التّمييز بينه وبين اللّبيب. وليس لمثلى قوة على صيد الظباء وبقر الوحش وإنّما يصيد كلّ أمرئٍ قَدْرَه، وليس هاهنا إلا طلب الحيلة.

فلمّا أصبح الصُّبْح قصد إلى المكان الذى وعد الذّئب فيه. وألْتَقَيا هنالك عــن رقْبَة (٣٣) من النّمر. فقال له الثّعلب: يا أبا العداء كنت مهموماً بنفسى فزادنى اهتماماً ما أَبْثَثْتنى من حديثك وألقيتَ من سوء حالك، وهاهنا تدبير أن أعنتنى عليه بهمّة صادقة فلعلّه أن يعود إلى صلاح. فقال الذّئب: وما هو؟ قال الثّعلب: إئْت النّمر فسلْه إن يُولّيك ولايةً تردُّ عليك نفعاً، وتُودُّ(٣٤) لــك ذكْراً، وتُكْسبُك حمداً: قال الذّئب: فأين ما أخبرتُك عن بُخله وشراسة خلّقه، وإنّه لكما قال القائل: سَوَاءٌ هُوَ والعدْمُ(٣٥) قال الثّعلب: فاعمل إنّك لا تفيد شيئاً إلا بعثت إليه بشطره، فإنّ لك فيما يبقى مُنْتَفَعاً وصَلَاحاً، فإن أجاب؛ فلن تعدم(٣٦) منّى معونة حسنة، وقياماً بالّذى يجب، فكن كما قال الشاعر(٣٧).

وَلَيْسَ الـرِّزْقُ عَنْ طَلَبٍ حَثِيـث ... وَلَكِنْ أَلْقِ دَلْوَكَ فـــى الــدِّلَاءِ
تَجِئْـكَ بِمِلْئِهـــا طَوْراً وَطَوْراً ... تَجِئْ بِحَمْـــأَةٍ وَقَلِيلِ مَـــــاءِ

قال الذّئب: يا أبا الصباح! إنّه كان يقال: اتّق مقارنة الحريص الغادر، فإنّه إن رآك فى القوة رأى منك أخبث حالاتك، وإن رآك فى الفضول لم

(٣٢) حزر الشي قدره بالتخمين.

(٣٣) رقبة: أى فى حالة يكونان فيها مراقبين النمر لكي لا يباغتهم.

(٣٤) تود: تحب.

(٣٥) «سواء هو والعدم» أو والعدم، وهما لغتان بمعنى الفقر. أى إذا نزلت به فكأنك نازل بالقفار الممحلة «مجمع الأمثال: ١/ ٣٢٩».

(٣٦) عدم يعدم عدما: بمعطى فقد.

(٣٧) الشعر لأبى الأسود الدولى، وهو من أهل البصرة. وأول واضع لأسس النحو العربي توفى سنة تسع وستين للهجرة.

يدعك وفضولك، قال الثّعلب: يا أبا العداء! إنّه ليس الريُّ عن التّشَافِّ(٣٨). من عاش غير خامل الذّكر والمنزلة إذا أفضل على نفسه وأصحابه فهو وإن قلّ عمره طويل العمر. ومن كان عيشه في ضيق وقلّ خيره على نفسه وعلى النّاس، فهو وإن طال عمره قصير العمر. قال الذّئب: إنّه كان يقال: في أمور ثلاثة لا يجترئ عليها إلا أهوج، ولا يسلم منها إلا قليلٌ: صحبةُ السّلطان، وائتمان النّساء على الأسرار، وشرب السمّ على التّجربة، قال الثّعلب: قد يُبْلَغُ الخَضْمُ بالقَضْمِ، ويركب الصّعبَ من لا ذَلول(٣٩) له، وليس يُوَاظِبُ على باب السّلطان أحد فيلْقى عن نفسه الأُنفة، ويتحمّل الأذى، ويكظم الغيظ، ويرفق بالنّاس إلا خلّصَ إلى حاجته من السّلطان. قال الذّئب: إنه كان يقال: لا تغتبط بسلطان مع غير عدل، ولا بغنى من غير فضَل، ولا ببلاغة من غير صدق، ولا بجود من غير إصابة، ولا بحسن عمل من غير خشية، قال الثّعلب: إنّه ينبغي للعاقل أن يدارى الزّمان، مداراة الرّجل السّابح في الماء الجاري، وقال المتمثل: ارض من المركب بالتعلّيق، قال الذّئب: السّبب الذى يدْرك به العاجز حاجته، هو السّبب الذى يحول بين الحازم وطلْبته(٤٠). قال الثّعلب: المال زيادة في القوّة والرّأى، وليس الإخوان والأهل والأعوان إلا مع المال. ولا يُظهر المروءةَ إلا المال، لأن من لا مال له إذا أراد أن يتناول أمراً قَعَد به العُدم، فقصّر عنه. قال الذّئب: إنّ للسّلطان سكرات فمنها: الرّضا عن بعض من يستَوْجب السُّخط، والسّخط عمّن يستوجب الرّضا. ولذلك قيل: قد خاطر في لَجج(٤١) في البحر، وأشدّ منه مخاطرة مَنْ صاحب السّلطان. قال الثّعلب: من لم يركب الأهوال على صعوبتها لم ينل الرّغائب، ومن ترك الأمر الذى لعلّه

(٣٨) التشاف أن تشرب جميع ما في الإناء. يضرب هذا المثل في قناعة الرجل ببعض ما ينال من حاجته، أي ليس قضاؤك الحاجة أن لا تدع قليلا ولا كثيرا إلا تلته. «مجمع الأمثال: ٢/ ١٩٠».

(٣٩) دابة ذلول: سهلة الانقياد.

(٤٠) الطلبة: المطلوب.

(٤١) لجج في البحر: أي خاض لجة في البحر.

أن يبلغ فيه حاجته مخافةَ ما لعلّه يُوقّاة، فليس ينال جسيماً. وقد كان يقال: أعمالٌ ثلاثةٌ لا أحدَ يستطيعها إلا بمعونةِ ارتفاع همّةٍ وعظَم خَطَر: صُحبة الملوك، وتجارة البحر، ومُناجزة العدوّ. فأعجب الذّئب كلامُه، فأتى النّمَر فشكر له. وأقام بين يديه،، وكان لا يعرفه بمثل هذه الذِّلّة، فافتتح الكلام فقال: أيّها الملك! إنّي. لما عليه من المناصحة والموالاة، تأمّلتُ باب الملَك فوجدته خالياً من صالح الأعوان وثقات الخدم، ولمّا رأيت الملك كثيرَ الكُلَف، عظيم المؤّن، رَحْب الفناء، جزل العطاء، وليس له من عبيده من يُعينه على مُؤْنَة(٤٢). ويَكْفيه المهم من عمله، نَدبْتُ نفسي للّذى رأيتني أقوى عليه من حُسْن السّياسة. وضَبْط النّاحية التي أتولاها، وردّ المنفعة على الملك منها. فأعجبَ النّمَر كلامُه، وطمع فيما وعده. فقال له: صدقت وبرَرْت، وأنا مُسْتَكْفيك ومُقلّدك، فانظر كيف يكون ضبْطك وكفايتك وغناؤك ووفاؤك بما شَرَطْتَ على نفسك. اكتبْ له يا غلام على مناهل(٤٣) الظباء واجمع له أعمال ما هُنَالكَ. فخرج الذّئب إلى عمله، واستخلف الثّعلَب، وأحلّه محلّ الوزير الكاتب. فلمّا صار إلى تلك النّاحية كَمَن الذّئب على شريعة الطريق، ورَبَأ له الثّعلب، فأقبلا يُصيبان كلّ يوم حاجتهما حتّى صلُحت أحوالهما ورقّت أوْبارهما، وصفت ألوانهما، وتفتّقت سمِنًا جلودُهما. وخاسر الذّئب بعهده، وأخلف النّمرُ وعده، حتّى اشتدّ ذلك على النّمر، فأمر بالكتاب إليه، نسخُته:

«بسم الله الرحمن الرحيم. صلّى على سيدنا محمّد وعلى آله وسلّم. أمّا بعد: فإنّ امْرءاً لو صان ثوب نعمته، لمَا مسَّهُ من عرْى فاقته تمسُّكاً بحبلها لما ناله من انقطاعها، واحتمل عزّ الكرامة لما كان فيه من ذلّة الهوان، كان ذلك أحجى بك دون أكثر أهل زمانك للّذى كشف لك الدّهر من وجوه عبره،

(٤٢) المؤنة: القوت.

(٤٣) مناهل جمع منهل: وهو الموضع الذى فيه المشرب.

فأوضح لك عن مناهج سبله، وعرّفك من تصاريف نعمه ونقمه، لكنّك سمنْتَ وبطنْتَ، فاقْتَعَدْتَ(٤٤) الأشَر، وامتطيت البَطَر(٤٥). ونعقَ بك الشّيطان مستهوياً، فسمحتَ له برأسك، وطاع له حيْنُك، فأنت متَسَكّع في جهالتك، مُسادر في ضَلالتك، تظنّ أن لا يُتَصفّح أمرك، وأن لا يُتأمّل تدبيرُك. وقد عملتَ ما أكّدت شرطَك على نفسك، وأعطيتَ عليه عهدك وذمّتك فأُقْسمُ لئن لم تخلع(٤٦) ربق الشكّ من عنقك، وتكُفّ غرْبَ(٤٧) جماحَك وتَعظ نفسك بالأمثال الجارية والمواعيظ المتقدّمة، فسنقفك على ما إن وقفت عليه أبصرتَ خطأك. ووقفت عند رُشْدك، وتلافيْت ما فرط من زَلَلك، وعفّيت على سوء أثرك، لأطأنك وطأة تكون رَتيماً(٤٨) بعدها، وسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُون.

فلمّا ورد الكتاب على الذّئب، أمر الثّعلب بقراءته عليه. وأَعْظَمَه وأكبره، ودخلته منه وحشة شديدة، فقال: ما عندك من الرّأى يا أبا الصّباح، وما تظنّ أنّه أخرج الملك إلى هذا؟ قال الثّعلب: إنّ الملك استبطاك فيما كنت وُليتَ له، إذْ أخلفت له بوعدك، وأكذبت به حظّك، فحرّكك بهذ الكتاب ولئن لم تتدارك هذه الهفوة، وتتلافَ هذه الزلّة. ليحلُنّ الخطب وليَعْظُمَنّ الأمر، وإنّ الرّثيئة تَفْثأ الغضَبَ(٤٩). قال الذئب: أتراني أمحص(٥٠) أمراً أغتربُ فيه عن وطني، وأتعب فيه بدني وأتْبِعُ له ديني، حتّى إذا بلَغَ إناه(٥١) وانتهى مُنْتَهاه، آثرتُ بزبدته غيري، وأثقلُ بوزره ظهري، كلا، فاكتبْ له جوابَ كتابه، وبالغْ فيه،

(٤٤) اقتعد الدابة أو امتطاها ركبها.

(٤٥) الأشر والبطر: بمعنى، وهو المرح والزهو.

(٤٦) الربق: حبل فيه عدة عرى تشد به البهم. الواحدة من العرى: ربقة، وفي الحديث: «خلع ربقة الإسلام من عنقه».

(٤٧) غرب: صد.

(٤٨) الرتيم والرتيمة والرتم: خيط يشد في الأصبع أو الخاتم للعلامة أو التذكرة.

(٤٩) أن «الرثيئة تفثأ الغض» مثل. والرثيئة: اللبن الحامض يخلط بالحلو، فثئ الرجل، انكسر غضبه وسكن.

(٥٠) أمحص: يقال إمحصه النصيحة: صدقه.

(٥١) إناه أي نضجه.

قال الثّعلب: مَنْ يَنْكَح الحَسْنَاءَ يُعْطِ مَهْرَهَا(٥٢)! إنّ زخرفة الكلام لا تُثبّت زلل الأقدام. وللصدق آثار فى القلوب لا تَعْفُوها(٥٣) عواصفُ الرّياح الكروب. فإن ظننت أنه يكفيك فيما قد عتب فيه الملك عليك، حتّى تستحقّ به قبولَ معذرتك ببراءة ساحتك، أن أصوغ لك كلاماً إذا نشر على العاقل استراعه(٥٤). واستحسن نظمه، فلقد امتد بك البُهتان، وحظيت بما لم يحظ به إنسان. فقال له الذّئب: اكتب ولا تُراجعْنى. فكتب له كتاباً نسَخَته:

«بسم الله الرحمن الرحيم. صلّى على سيدنا محمّد النبىّ الكريم وعلى آله وسلّم. أمّا بعد: فقد وصل إلىّ كتاب الملك، بما عاتب فيه وأَوْعد عليه، وفهمته. فأمّا ما ذكره الملك. من ريَكَ(٥٥) عيش تناسيْتُه. وثوب ضُرّ لبسته، وظُفر من دهر خدشنى، وناب منه جرحنى، حتّى استنقذنى الملك من غَمرة(٥٦) العَطَب، وانْتَاشَنى(٥٧) من هُوّة الهلَكة، وما يرى لى بذلك من تصاريف وجوه الغدر، حتّى استحققتُ بذلك أن أكون لرشدى مُبْصراً، ولطريقه المثلى سالكاً، فإن الأيّام ـ بحمد الله ومنّه ـ لم تكشفْ منّى هيّاباً ورِعاً ولا هلَعاً وإنّى لكما قال الشّاعر(٥٨): (وافر)

أخُو خَمْسِينَ مُجتمِعٌ أشُدّى ... ونَجّدنِى مُدَاوَرَةُ الشُّؤون

على أنّ يد الملك عندى بيضاءُ مشكورة، ليست بمرفوعة ولا مكفورة، طَلْعُها فى قلبى نضيد، وظلُّها علىّ ممدودٌ، خصبة خضرة، أغْذُوها بماء الشّكر،

(٥٢) مثل: أى من طلب حاجة بذل ماله فيها.
(٥٣) تعفوها: عفت الريح الأثر: محته ودرسته.
(٥٤) استراعه: أى راعه، بمعنى أعجبه.
(٥٥) ريك عليه الأمر: اختلط.
(٥٦) الغمرة: الشدة والزحمة.
(٥٧) انتاش: انتاش شيئاً . استخرجه.
(٥٨) الشاعر هو سحيم بن وثيل الرياحى، شاعر مخضرم.

وأنَمَّيها بجميل الذكر، لا يَحْصُدُها تقادُمُ الأيّام، ولا يُقْدَحُ فيها بزَنْد المَلاَم، وأرتضع درّتَها[٥٩] فُوَاقاً [٦٠] عن فُواق، فأعترفُ منها بسَجْل[٦١] ذى عراق[٦٢]. فأين ذهب الملك فى ظنّه، وأنا ابن نعمته، والشارب فى بُلَهْنِيَته[٦٣]! ذرانى جناحه، وكنفنى جنابه، يعقلنى وزره، وينْجينى عصره، أفلا يربُّ الملك ـ أمتَعَ الله به ـ نعمةً أنشأ شَجَرَتها، وأظهر ثمرتها، بنوافله العظام ومننه الجسام، ونعمه التُؤام[٦٤]، فقد أسهرنى وعيده، وأقلقنى تهديده، وأجْزَعَنى تولّيه[٦٥]، وأرمضنى[٦٦] تَجَنّيه، على أنّ علْمى باتّباع حلْمه عنّى، يضمن لى العفو منه عن زلتى، فإن يطلق الملك أسرى[٦٧] من موْجدته[٦٨]، فذلك ظنّى برحمته، وإن تكن الأخرى ـ وأعوذ بالله منها ـ فما لها عثرة لم يُوقّ حاذرُها! ويا لها حسْرة يسْتَنْجِدُ عاثرها! وها هنا بين يدى الملك، صريعُ سطوته، وعتيق عفوه، إذ هو كما قال الشّاعر[٦٩]: (خفيف)

إنْ يُعاقبْ يَكُنْ غَرَاماً وإنْ يُعْـ ـطِ جَزِيلاً فإنّه لا يُبالى السّلام،

فلمّا ورد الكتاب على النّمر، سرّه ما وصف به الذّئب نفسه من الشكر، وما أشار بهما هذا فى كتابه من الاعتذار، وما أقرّ به من الذنب، ومسألته إقالة عثرته، ووَضَعَ ذلك منه على حُسْن انابته، ومراجعته عقلَه. وتعلّقت نفسه بورود

(٥٩) الدر، اللبن.
(٦٠) الفواق: الوقت بين الحلبتين، وهو أيضا ما يعود فتجمع من اللبن بعد ذهابه برضاع أو حلاب.
(٦١) السجل: الدلو العظيمة.
(٦٢) العراق من البحر والنهر: شاطئه طولا.
(٦٣) البلهنية: الرخاء وسعة العيش.
(٦٤) التؤام: من أتأمت المرأة إذا وضعت اثنين.
(٦٥) تولى: أدبر وأعرض عنه.
(٦٦) أرمضنى: يقال أرمضه الحر أى أحرقه.
(٦٧) الأسر: القيد.
(٦٨) الموجدة: الحزن، والفعل وجد يوجد.
(٦٩) الأعشى.

هداياه وتُحَفه، فكان لذلك منتظراً، وعن رُسُله سائلاً، حتّى مضت لذلك أيّام وشهور، لا يرى شيئاً، فوجد منه وجداً شديداً. وأمر بالكتابة إليه بتوبيخه ولائمته والإغلاظ عليه فى مخاطبته، نسختُه.

«بسم الله الرحمن الرحيم، صلّى الله على سيدنا محمد النبى الكريم، أمّا بعد: يا غدور! ومن استرعى الذّئب فقد ظلم(٧٠). فإنّ النّعم إذا امتدّ مَهَلُها(٧١) بالعبد مسامحة له برَغَد العَيْش وكفّة(٧٢) العُسْر استعذب موارد البَطَر، واستوطأ مركب الأشر. وأسلس قياداً لداعى شقائه، وجارى بلائه، فجرى فى كنف ليل داج على شَفَا جرف(٧٣) هار، يتورّط المهالك، يخْبط عشواء(٧٤)، قد ذَهَل عن شكر النّعم، ولَها عن ذلك الواجب، وانْستْه خيانة شكره خوالى حالاته وغوارب أزمنته، إذ هو غير مؤثّل طلباً(٧٥)، ولا مُسْتَبْق جُهْدا فى سدّ مخْمصته(٧٦) وستْر خصاصته، لا تتّسع حاله لرفع مذلّة الفقر، ولا يُفكُّ عن عُنُقه ربق وهوان الفاقة، وذلك أنت، حين نالتك من نعم من لم تَشكُرْه على بلائه. ولم تُجزْه بآلائه(٧٧) ما تقدّمت به أشباهَكَ ونظراءَك، ولولا ما أحببتُ من أنْ أكونَ بالغَ عذْر، ولا مرهق عُسر، ولا طالب اعتلال بترك مظاهر الحجج وتوكيدها، قابضاً يد العقاب قبل المداورة(٧٨). ومُلْبساً جناح الرّحمة قبل النقْمة، لامسكتُ

(٧٠) مثل يضرب لمن يولى غير الأمين، ومعناه ظلم الغنم ويجوز أن يراد ظلم الذئب حيث كلفه ما ليس فى طبعه. «مجمع الأمثال: ٢/ ٢٠٢».

(٧١) المهل: التؤدة والرفق.

(٧٢) الكفة: كل ما استطال.

(٧٣) جرف هار: الجرف شق الوادى إذا حفر الماء فى أسفله، وفى القرآن الكريم: «أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان أمن أسس بنيانه على شفى جرف هار».

(٧٤) العشواء: مؤنث الأعشى، يقال هو يخبط خبط عشواء أى يضرب فيه على غير بصيرة فيخطئ ويصيب.

(٧٥) أثل الشيء: أصله وثبته.

(٧٦) المخمصة: اسم بمعنى المجاعة.

(٧٧) الآلاء: جمع الألى، وهى النعمة.

(٧٨) المداورة كالمعالجة.

عن الكتاب إليك، والعلم لك، إلى أن تُبْسل(٧٩) بما كسبتْ يداك. وَمَا اللَّهُ بظلام للعباد، فأقْلِعْ عن صبابة غيِّك، وتنَكّبْ خطل رأيك، إذْ باب التّوبة لك مفتوحٌ، وبطانها بقبول أنابتك مشعوب، قبل أن تسقط بك يد الإفراط على النّوب. ولا يُبْعد اللّه إلا من ظلم. والسّلام».

فلمّا ورد الكتاب الذّئب، أخذه(٨٠) ما قدّم وما حدّث فقال: يا أبا الصّباح! أما تسمع إلى هذا الوعيد، فربّ صلَف تحت الرّاعدة(٨١). فقال له الثّعلب: أيّها الأمير! إنّ النّمر، وإن كان من الأَخلاق الضيِّقة على ما قد عرفتَ وعرفنا، فقد تَرَدَّى برداء الملْك ودْعى باسمه. وصار بمسيرة نظرائه، والملك صبيُّ الرّضا، كهْل الغضب، يأمر بالقتل وهو يضحك، ويَسْتأصل شأفَة القوم وهو يمزح، يَخْلطُ الهزْل بالجدّ، ويتجاوز فى العقوبة قدْر الذّنب. وربّما أحفَظه(٨٢) الأمر اليسير، وربّما أعرض صفحاً عن الخطْب الكبير، أسبابُ الموت والحياة معلّقةٌ بطرَف لسانه، ولا يعرف ألَم العقوبة فيبْقى(٨٣). ولا يؤنّب عن بادرة فينتهى، يُخْطئُ فيصوِّب، ويُصيبُ فيفرِّط، مفتون(٨٤) الهوى، فظ (٨٥) الخليقة. أخرقُ العقوبة، لا يمنعه من ذى الخاصة به ما يعلمه من حزْمه وعنايته وطول صيحته أنْ يقتلَه لخَطْرة من خَطَرَات موجدته، ولا ينفكّ أن يخطُب إليه مكانه، ويُنافس الرّجال موضعه، فلا الثّانى بالأوّل يعتبر، ولا الملَك على مثل ما فَرط منه يزدجر. وإن لم يبن ذلك لخطرات محمودة لو حصّلها ذو اللُّبِّ لم ير فى

(٧٩) بسل: يقال أبسلت فلانا، إذا أسلمته للهلكة.

(٨٠) أخذه ما قدم بمعن هاله الأمر.

(٨١) الصلف: صلف الشئ قل خيره، قل خيره، صلف السحاف: قل مطره وكثر رعده الراعدة: السحابة ذات الرعد، وهذا المثل يضرب بالبخيل مع السعة.

(٨٢) أحفظه: أغضبه.

(٨٣) بقى: يقال أبقى على فلان: أى رحمه وأشفق عليه.

(٨٤) المفتون: المجنون، وهو مصدر جاء على وزن مفعول، وهى التنزيل العزيز«بأبكم المفتون».

(٨٥) فظ: الفظ، الرجل الغليظ.

خيرها عوضاً من شرّها، ولا حُلْوها ما يقوم بمُرّها. فأرفق به واسلُك سبيل موافقته، فإنّك دائخٌ عليه فى ولايته ولا تأخذْ به فى طريق العجب فيأخذ بك فى طريق القهْر والغلَبة. قال الذّئب: قد علمتُ ما أردتَ من النّصيحة. وذلّلت عليه من الرّأى. وهديت له من الصّواب؛ ولكنّى امرؤ لم أرم الذلّ أنفى قطُّ. ولم أقم على خطَّة خسف[٨٦] وقد أظهر هذا الملك من غضبه ما فَسدتْ معه نيّتْه. ولا صلاح لها. قال الثّعلب: إنّ الموجدة إذا كانت عن علة كان الرّضا موجوداً، وإذا كانت عن غير علّة عدم الرّضا. لأنّ الباطل لمن طلبه موجودٌ على كلّ حال. قال الذّئب: الموت إذن لا محالة، ولئن أَمتْ عزيزاً أحبُّ إلىَّ من الْحياة ذليلاً. وكلّ شيء بقَدَر. قال الثّعلب: إنّ الأقدار وإن كانت نازلة. فليس يمنع الحازم من توقّى المَخُوف الاحتراس من المحْتَرَس منه؛ لكنّه يجمع تصديقاً بالقدر. وأخْذاً بالحذَّر. قال الذّئب: إنّ سريع الاسترسال لا يكاد يَسْتَقيل[٨٧] العثْرة. فاكتبْ جوابَ هذا الكتاب، بين الإلانة والإغلاظ. ولا تؤخّر ذلك. ففهم عنه الثّعلب ما يُريد من شَقّ العصا. وما يَهُمْ به من الخلاف. وما دَخَله من العُجْب بما أفاد. فكتب إليه كتاباً نسختُه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. صلّى الله على سيّدنا محمّد النبىّ الكريم. أما بعد: فإنّ كتاب الملك - أمتع اللّه به - وصل إلىّ بما حذَّر فيه وأنذر. وقدّم وأخّر. وفهمتُه. وقد كان الملك - حفظه/اللّه - أسْند إلىّ أمر هذا الثّغر المخوف: على حين انتشار من العدوّ به. وانقطاع من سلْه. واختلاف من الكلمة بين أهله. وتفرّق من الأهواء فيه. فرأَبْتُ صدْع الآفة. وجمعت شمل الطّاعة. وكشفت عن دجْمة[٨٨] الفتْنَة. وأسَغْتُ الرّيق بعد الشّجا[٨٩]، وقمَعْتُ أولى

(٨٦) خطة خسف: يقال فلان أقام على خطة خسف أى أقام على الذل ورضى به.

(٨٧) استقال عثرته: طلب أن يصفح عنه.

(٨٨) الدجمة: الظلمة.

(٨٩) الشجا: ما اعترض ونشب فى الحلق من عظم أو نحوه

العدواة والبغضاء. وأقمتُ حقاً كان مَعْلَمُهُ متروكاً، ودمغتُ ضلالة كان مُحَرَّمها مسلوكاً؛ ألتمس بذلك جزيلَ الثواب، وكريم المآب. ورضا الملك. والزُلْفَةَ عنده. فعاد ما عملْته هباءً. ولم أجد منه شيئاً مشكوراً. وما يُقَعْقَعُ لمثلى بالشَّنَان(٩٠) وإنّى لألْوى بعيد المسْتَمَرِّ(٩١) فإن يَسْتَتِمِّ الملك صنيعته. ويربُّ(٩٢) نعمته؛ فأنا بين العصا ولحائها(٩٣). وإلاّ فسَيجدْنى جذْلاً حكّاكاً(٩٤)، إذا نَكَأْتُ قُرحَةَ أَدْمَيْتُها. أحمو ضراباً بالسَّيف والسّلام».

فلما قرأ الملك الكتاب، علم أنّه قد أجْمَعَ على الخلاف عليه، والمحاربة له، فجمع وزراءه ، وكانوا ثلاثة، فاستشارهمْ فى أمْره، فقال أحدهم: أرى أن يَكْتُبَ إليه (الملك) كتاباً موجزاً، يعْرفُ به ذات نفسه، ويكشف ما فى صدره، حتّى يأتى الملك على ما يأتى من أمره على بيِّنَةٍ واستظْهار عليها بالحُجّة، قال الوزير الثانى: أرى أن يتلافاه الملك ويَصْفَحَ عن زلّته، ويتجافى له عن ما فى يده، فإنّه أن بودئ بالعداوة، احتيج إلى محاربته، وإلى جمع الرِّجال، وإنفاق الأموال بالأضعاف لما كان يَنْجلُبُ بالخراج بناحيته، ثمّ لا يدرى كيف تكون العاقبة إذْ هى الحرب، والحرب سجال، فإن تكن الحُسْنَى، فبعدَ نفاد المال، وسفك الدّماء وإن تكن الأخرى، جلّ الخطب وتفاقم الأمر.

(٩٠) أى لا يخدع ولا يروع. وقعقع الشئ حركه مع الصوت. والشن والشنة: القربة الخلق، والجمع شنان.
(٩١) مثل يعنى شديد الخصومة، واستمر: استحكم: يعنى أنه قوى فى الخصومة. لا يسأم المراس.
(٩٢) حفظها ونماها.
(٩٣) مثل يضرب لمن يريد الدخول بين المتحابين.
(٩٤) الجذل: أصل الشجرة. والمحك: الذى تتحكك به الإبل الجربى.

محمد بن سلام الجمحى
(ت ٢٣١ هـ)

هو أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم الجمحى البصرى، مولى قدامة بن مظعون الجمحى، مولده بالبصرة فى سنة ١٣٩هـ. ووفاته فى ٢٣١، أو سنة ٢٣٢ ببغداد، وابيضت لحيته ورأسه وله سبع وعشرون سنة، وعمر نحوا من ثلاث وتسعين سنة. وسمع منه شيوخ العلم والحديث والأدب، وكان ابن سلام من أهل بيت لهم فى العلم باع طويل، فأبوه وأخوه من رواة الأخبار والأحاديث وكان ابن سلام يفهم الفارسية وله مؤلفات عديدة، أهمها كتاب «طبقات فحول الشعراء».

صفة الشعر

وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم، كسائر أصناف العلم والصناعات: منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللسان.

من ذلك اللؤلؤ والياقوت، لا تعرفه بصفة ولا وزن، دون المعاينة ممن يبصره. ومن ذلك الجهبذة[1] بالدينار والدرهم، لا تعرف جودتهما بلون ولا مس، ولا طراز ولا وسم ولا صفة ، ويعرفه الناقد عند المعاينة، فيعرف

(١) الجهبذة: نقد الزيوف والصحاح من الدنانير والدراهم.

بهرجها وزائفها وستوقها، ومفرغها[٢]. ومنه البصر بغريب النخل، والبصر بأنواع المتاع وضروبه واختلاف بلاده، مع تشابه لونه ومسه وذرعه، حتى يضاف كل صنف إلى بلده الذى خرج منه.

وكذلك بصر الرقيق، فتوصف الجارية فيقال: ناصعة اللون، جيدة الشطب[٣] نقية الثغر، حسنة العين والأنف، جيدة النهود، ظريفة اللسان، واردة الشعر، فتكون فى هذه الصفة بمائة دينار وبمائتى دينار، وتكون أخرى بألف دينار وأكثر، ولا يجد واصفها مزيدا على هذه الصفة. وتوصف الدابة فيقال خفيف العنان، لين الظهر، شديد الحافر، فتى السن، نقى من العيوب، فيكون بخمسين دينارا أو نحوها، وتكون أخرى بمائتى دينار وأكثر، وتكون هذه صفتها.

ويقال للرجل والمرأة، فى القراءة والغناء: إنه لندى الحلق طل الصوت[٤]، طويل النفس، مصيب للحن، ويوصف الآخر بهذه الصفة، وبينهما بون بعيد، يعرف ذلك العلماء عند المعاينة والاستماع له، بلا صفة لا ينتهى إليها، ولا علم يوقف عليه. وإن كثرة المدارسة لتعدى على العلم به.

فكذلك الشعر يعلمه أهل العلم به.

(٢) البهرج: الردئ، الفضة، والستوق إذا كان من ثلاث طبقات يرد ويطرح، والمفرغ، المصمت المصبوب فى

(٣) الشطب: القد، وجارية شطبة: طويلة حسنة القد غضة.

(٤) طل الصوت: حسنه عذبه ناعمه، بهيج النغمة.

الأحوص بين عمرو يزيد

عن الزهرى قال: كان الأحوص الشاعر يشبب بنساء أهل المدينة، فتأذوا به، وكان معبد وغيره من المغنين يغنون فى شعره، فشكاه قومه، فبلغ ذلك سليمان بن عبد الملك: فكتب إلى عامله بالمدينة أن يضربه مائة سوط، ويقيمه على البلّس(٥) للناس، ويسيره إلى دهلك(٦)، ففعل به، فثوى بها سلطان سليمان، وعمر بن عبد العزيز: فأتى رجال من أنصار عمر بن عبد العزيزفسألوه أن يرده وقالوا: قد عرفت نسبه وموضعه من قومه، وقد أخرج إلى أرض الشرك، فنطلب إليك أن ترده إلى حرم رسول الله صلى الله عليه. ودار قومه، فقال عمر: من الذى يقول:

فما هو إلا أن أراها فجاءة

فأبهت حتى ما أكاد أجيب

قالوا: الأحوص. قال: فمن الذى يقول:

أدور ولولا أن أرى أم جعفر

بأبياتكم مادرت حيث أدور

(٥) أقامه على البلس: جعله على غرائر كبار من مسوح مليئة بالتبن، ويشهر عليها من ينكل به وينادى عليه.

(٦) دهلك: جزيرة فى بحر اليمن، وهى ضيقة حرجة حارة استعملها الأمويون منفى.

قالوا: الأحوص، قال: فمن الذى يقول:

سيلقى لها فى القلب، فى مضمر الحشا

سـريرة حب حين تبلى السـرائر

قالوا: الأحوص. قال إنه يومئذ عنها لمشغول. والله لا أرده ما كان لى سلطان. فمكث هناك بقية ولاية عمر.ثم استخلف يزيد بن عبد الملك، فبينا يزيد على سطح، وحبابة جاريته تغنيه بشعر الأحوص، إذ قال يزيد: من يقول هذا الشعر؟ قالت: لا وعيشك ما أدرى! قال: وقد كان ذهب من الليل شطره، قال: ابعثوا إلى الزهرى، فعسى أن يكون عنده علم من ذلك. فأتى ابن شهاب الزهرى، فقرع بابه، فخرج فزعا، حتى أتى يزيد، فلما صعد إليه قال: لا بأس عليك، لم ندعك إلا لخير، اجلس، فجلس، فقال: من الذى يقول هذا الشعر؟ قال: الأحوص يا أمير المؤمنين. قال: فما فعل؟ قال: لقد طال حبسه بدهلك. قال: عجبت لعمر بن عبد العزيز كيف أغفله! فأمر بالكتاب بتخلية سبيله، وأمر له بأربعمائة دينار. فأقبل الزهرى من ليلته إلى ناس من الأنصار، فبشرهم بتخلية سبيل الأحوص، ثم قدم عليه، فأجازه وأحسن إليه.

وقال ابن ميادة يشبب
فى زينب بنت مالك
(ت بين ١٣٦هـ و١٤٦هـ)

وهو الرماح بن أبرد بن ثوبان بن سراقة بن قيس من مخضرمى الدولتين، وقد توفى على أرجح الأقوال فى خلافة أبى جعفر المنصور فيما بين سنة ١٣٦هـ وسنة ١٤٦هـ. وكان فيما يروى القدماء، عريضا للشر طالبا مهاجاة الشعراء ومسابة الناس. وكان وضيع النسب من جهة أمه وفقيرا، مما أثر فى وضعه الاجتماعى وحط من منزلته بين قومه وعشيرته، وحمل القبائل على الإحجام عن تزويجه إذا ما تقدم لخطبة واحدة من نسائها.

وقد أكثر بن ميادة من الغزل فى امرأة من قوم هى أم جحدر، أحبته وفضلته على غيره ممن لهجوا بذكرها من الشعراء، وذلك لجماله وحسن هيئته، وتدل أخباره معها على أن أباها زوجها رجلا رحل بها إلى نجد، مما ترك فى نفس ابن ميادة حزنا باقيا ترجمه إلى قصائد غزل تنم عن شدة وجده بها وحرقته على فراقها. وعلى الرغم من كثرة أشعاره فيها فإن أخبار علاقته بها غامضة. ولا تخلو أشعاره الغزلية من ذكر أسماء نساء أخريات غيرها، مثل: سعدى ومى وزينب وليلى وسلمى..الخ. ولم يلق ابن ميادة عناية من الرواة القدماء مثل تلك التى لقيها غيره من الشعراء ولعل ذلك يعود إلى سلاطة لسانه، ومعاصرته لكثير من الأحداث السياسية التى انقسم الناس حولها، كما يعود إلى كثرة السقط فى شعره.

نَظَرنْا فهاجَتنا على الشّوق والهوى

لزينبَ نارٌ أوقِدَتْ بجُبارِ

كأنّ سَناها لاحَ لى من خَصاصةٍ

على غيرِ قَصدٍ والمَطِيُّ سَوارى

حُمَيسِيّةٌ بالرملتين مَحلُّها

تمُدّ بحلفٍ بيننا وجِوارِ

تُجاورِ من سهم بن مُرّة نسوة

بمُجْتَمع النقَبين غيرَ عوارى

نواعمَ أبكاراً كأنّ عيونَها

عيونُ ظباء أو عيونُ صُوارِ[1]

كأنّا نراها وهى منّا قريبةٌ

على متْن عصْماء[2] اليدَين نوارِ[3]

تَتَبّعُ من حجرٍ ذُرا مُتَمَنّعٍ

لها معْقلٌ فى رأس كلّ طَمارِ[4]

يدُور بها ذو أسهم لا ينالُها

وذو كَلَباتٍ كالقِسِيّ ضَوارى[5]

كأنّ على المتْنَيْن منها وَدِيّةً

سَقَتْها السواقى من وَدِىّ دَوارِ[6]

(١) الصوار هنا: القطيع من البقر، ويقال أيضاً على وعاء المسك.

(٢) العصماء: ما يكون فى ذراعها بياض من الظباء والوعول.

(٣) نوار: نفور.

(٤) الطمار: اسم المكان المرتفع، يقال: أنصب عليهم فلان من طمار.

(٥) الضوارى جمع ضارية، أى التى عودت على الصيد، يقال: ضرى الكلب بالصيد، أى تعود، وأضراه صاحبه، أى عوده وأغراه به.

(٦) الودية: واحد الودى، وهو فسيل النخل وصغاره، وهى هنا كناية عن الضفيرة من الشعر.

يَظَلّ سـحـيقُ المسك يقطُر حَوْلَها
إذا الماشطاتُ احـتـفنه بمدارى

وما رَوْضةٌ خضراءُ يضربها الندى
بهـا قُنَّةٌ مـن حَنْوَةٍ وعَرارِ[7]

بأطيبَ من ريح القَرَنفُل ساطعاً
بما التفَّ من دِرعٍ لهـا وخـمـارِ

وما ظبـيـةٌ ساقتْ لها الريحُ نَغْمَةً
على غـفلةٍ فاسـتـسـمعت لخُوارِ[8]

بأحسنَ منها يومَ قامت فأَتلعت
على شَرَكٍ من رَوْعـةٍ ونِفـارِ[9]

فليـتَكِ يا حـسناءُ يابنةَ مـالكٍ
يَبـيـع لنا منكِ المودَّةَ شـارىْ[10]

٢ ـ وقال ابن ميادة وقد بلغه نبأ زواج صاحبته ورحيلها إلى الشام: (الطويل)

أَجَارتَنا إنّ الخُطـوبَ تَنوبُ
علينا وبَعْضَ الآمنين تُصـيبُ

أجَارتـنا لَسْتُ الـغَدَاةَ بـبـارِحٍ
ولكنْ مُقيمٌ ما أقَـام عَسيبُ[11]

---

(٧) القنة: الجبل الصغير. والحنوة: نبات سهلى طيب الريح. والعرار: بهار ناعم أصفر، طيب الريح.
(٨) الخوار: صوت البقر.
(٩) أتلعت: مدت عنقها متطاولة. الشرك: حبال الصائد.
(١٠) شارى: أى بائع يقال: شراه إذا باعه!
(١١) عسيب: جبل لهذيل معروف بعالية نجد.

فإنْ تسألينى هلْ صبَرتُ فإنّنى
صبُورٌ على رَيْبِ الزّمان صَليبُ
جَرَى بانبتاتِ الحبْلِ من أمِّ جَحْدَرٍ
ظباءٌ وطَيرٌ بالفِراقِ نَعُوبُ
نَظرتُ فلم أعْتفَ وعافتْ فبيّنَتْ
لها الطّيْرُ قبْلى واللبيبُ لَبيبُ(١٢)
فقالتْ حرَامٌ أنْ نُرَى بعْدَ هذه
جميعَيْنِ إلا أنْ يُلمَّ غريبُ
أجارتنا صبْرا فيَا رُبَّ هالكٍ
تَقَطَّعُ منْ وَجْدٍ عليه قُلوبُ

٣ ـ وقال ابن ميادة:

أهَاجَكَ رَبْعٌ بالمُحيطِ مُحيلُ
عفَتْهُ دَروجٌ بالتُّرابِ حَقُولُ(١٣)
فَمُنْتَصِبٌ منْهُ يثُورُ عَجَاجُهُ
وآخَرُ دانٍ للبِلادِ سحيلُ(١٤)
ومَنْزِلَةٌ أخْرى تقادم عَهْدُهَا
بذى العُشِّ تَعْفُوها صباً وشَمولُ(١٥)
تُراوِحُها الأرْواحُ والقَطْرُ والبلَا
يُلاقينَ ما لَمْ يَلْقَ قَطُّ طُلولُ(١٦)

(١٢) لم أعتف : من العيافة، وهى زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها.
(١٣) المحيل الذى أتت عليه أحوال غيرته، فتغير لونه. والدروج: الرياح السريعة.
(١٤) السحيل: القوى المفتول، يشبه به عمل الرياح فى الأرض حين تقشطها من شدة هبوبها.
(١٥) الصبا: ريح. الشمول: ريح الشمال.
(١٦) الأرواح: جمع ريح. والقطر: المطر الدائم.

دِيارُ التى من يقــصــهــا يُقْصِ وِدُّهُ
ومَنْ يُدْنِهـــا تُعْرِضْ فكيفَ تُنيلُ؟
خَلِيلَىَّ ســـيـــرا واذْكَرا اللّهَ ترشُدا
وسيـلا ببطْنِ النّسْعِ حيْث يسيلُ(١٧)
فــانْ أنتـمــا كلّمْتمـاها سـقــتْكُمــا
يمَانيـــةٌ ريـا الغَمَـــام هَطـــولُ
وقُولا لهـــا: مـــا تأمـــرين بوامقٍ
لهُ بعْدَ نـومات العُيـــونِ أليلُ(١٨)
تبَدَّلْتِ والابـــدالُ وافٍ ونــــاقصٌ
ومــــالك عنْدى قـــد علِمْتِ بـــديلُ
يذكـــرنيـــهـــا إنْ تَغَنّتْ حمَـــائمٌ
لهُنَّ علَى غـصن العـضـاه عَويلُ(١٩)
تجـــاوبْنَ فـى حدّ النّهـــار بعَوْلَةٍ
وأُخْرى تُوافـى الشَّمْسَ كُلَّ أصـــيلِ
تلومُكَ فـيـهـا بعْدَ مـا استَحْكَم الهَوى
نســـاءٌ سـفـاها مـا لَهُـــنَّ عقُـــولُ
وسَهْمٍ إذا مـــا خـــالَطَ القَلبَ لَمْ يَكُنْ
لَهُ منْ سَواقى الأَبهرَيْن نصـــولُ(٢٠)
وكَمْ مِنْ خَلِيلٍ قـــالَ لـى: لَوْ سألتَهـــا
فقُلْـــت لـــهُ أنّى إذاً لَســــــؤولُ

(١٧) النسع: هو صدر الوادى العقيق بالمدينة، وكان الرسول والخلفاء من بعده قد حموه!
(١٨) الوامق: العاشق. أليل: بكاء وعويل.
(١٩) العضاة : شجر من أشجار الشوك معروف.
(٢٠) الأبهران: مثنى الأبهر وهو عرق فى الظهر.

أســـائلهـــا مـــا لايحلُّ، ولم يكنْ
ليـســأل شَيْئـــاً لا يَحِـــلُّ، خَليـــل
فَيـــــــاليْتَ حَظّى مِنْ نـوالك أنَّهُ
يُبَلِّغُ حـــاجـــاتى إليْكِ رَســـــول
لِكَىْ تَعْلَمى أنَّ الذى قُلْتُ صـــادقـــاً
وَأنَّك مخْلافُ الــعِداتِ. مَطــول
أنلْتِ قَلـيــــــــلاً ثُمَّ أَسْرَعْت مِنَّةَ
ونيْلُكِ مَمْنُـــــونٌ كَــــذاكَ قَليـــلُ
وإنّى لأخْشى أنْ ألاقـــى مِنَ الهوى
ومِنْ زَفَراتِ الحُبِّ حـــينَ تـــزَولُ
كما كانَ لاقى فى العُصورِ التى مَضَتْ
عُرُيَّةُ مِنْ شَحْطِ النَّوى وجَمـــيلُ(٢١)
وإنّى لأَهْوى والحيـــــــــاةُ شَهِيَّةٌ
وفـــائى إذْ قــيــلَ الحَبــيبُ يــزولُ
وتَخْتَصُ مِنْ دونـى بِهِ غُربـةُ الـنَّوى
ويُضْمِرُهُ بَعْـدَ الدُّنُــوِّ رَحـــيـــلُ
فَانْ سَبَقَتْ قَبْلَ الـبِعـــــادِ مَنِيَّتـى
فَإنّى وأَرْبــاب الغـرامِ نَبـــيـــلُ
ودَاويـةِ قَفْرٍ يَكـادُ يَهـــــابُهـــــا
مِنَ القَومِ مـصْلاتُ الرَّحـيلِ دَليلُ(٢٢)

(٢١) عرية يريد به عروة بن حزام.
(٢٢) الداوية: الفلاة الواسعة.

يُعـافُ بِهـا المعَبْوطُ مِنْ بُعْدِ مـائِهـا
وإنْ جـاعَ مـقرامُ السِّباعِ نسـولُ(٢٣)

قطعتُ بمِصــلالِ الخِشــاشِ يَرُدُّها
على الكرة منها ضانة وجديل(٢٤)

ورَأسٌ شَديدُ الأخـــدعينِ ومَخْرَمٌ
ورجلٌ كـمخـراقِ الولَيـدِ رَحولُ(٢٥)

.. ..

ومـا هَجْرُ لَيْلى أنْ تكونَ تَبـاعَدَتْ
علَيْكَ ولا أنْ أحْصَرَتْكَ شُغـولُ(٢٦)

ولا أنْ تكونَ النَّفْسُ عنْهـا نَجِـيحَةً
بِشَيءٍ ولا أنْ تَرْتَضــى بِبَديــلِ

٤ ـ وقال يتغزل ويهجو رهط الحكم الخضرى: (الطويل)

لَقَدَ سبقَتْكَ اليَوْمَ عـيـنـاك سَبْقَةً
وأبْكاكَ من عَهْدِ الشَّبابِ ملاعِبُهْ (٢٧)

وتَذْكـارُ عَيْشٍ قَدْ مَضى ليسَ راجِعاً
لَنَــا أبَداً أو يَرْجِـعَ الــدَّرَّ حَالِبُهْ

.. ..

---

(٢٣) المعبوط: الذى ذبح قصدا من غير داء به، مقرام السباع: أشدها ضراوة.

(٢٤) الخشاش: العود الذى يوضع فى أنف البعير. وهو أيضاً كل ما كان صغير الرأس من الدواب، والضانة: البرة التى يبر بها البعير. الجديل: الزمام المجدول من أدم أو شعر.

(٢٥) الأضرعان: عرقان من جانبى العنق، والمخرم: منقطع أنف الجمل، والمقصود هنا أنف البعير، والزخرم أيضا: المثقوب.

(٢٦) أحصرتك: أى حبستك وشغلتك.   (٢٧) ملاعب: جمع ملعب.

وبالزُّوْرِ زَوْرِ الرَّقْمــتين لنَا شَجــاً

إذا نديَتْ قيــعانُه ومذَاهِبُــهْ (٢٨)

بِلادٌ مــتى تُشْرِفْ طَوِيلُ جِبــالِهــا

على طرَفٍ يَجْلِبْ لكَ الشَّوقَ جالِبُهْ (٢٩)

كأنَّ فُؤادِي فـي يَدٍ ضَبَـــثَتْ بـه

مُحاذِرَةً أن يقْضب الحبْلَ قاضِبُـهْ (٣٠)

وأُشْــفقُ مِنْ وَشْكِ الـفراقِ وإنَّنـي

أَظُنُّ لَمَحْمُـــولٌ علَيْـــهِ فرَاكِبُـــهْ

نَظَرْتُ ودونى السُّحْقُ من نَخْلِ بارِقٍ

بنظْرَةِ سامى الطَّرْفِ جُحْنٌ مَخالِبُهْ(٣١)

لأُبْصـــــرَ نـاراً بالْجَواءِ ودُونَهَا

مَسِيـــرَةُ شَهْرٍ لا يُعَرِّس راكِبُهْ (٣٢)

أُحِبُكُمُ يَا مَيُّ حُبَّين مِنْهُمـــــا

قَديمٌ وحُبٌّ حـــينَ شبَّتْ شَبَائِبُهْ

إذا اجْتَمَعَا قَــــالَ الـقَديمُ غَلَبْتُهُ

وقـــالَ الـذى مِنْ بعْدِهِ أنـا غَالِبُهْ

ألا لــيـتَ شِعْرِى هَلْ تَغَيَّرَ بَعْدَنَــا

صَــرَائِمُ جَنْبَىْ مخَيْطٍ وَجَنَائِبُهْ (٣٣)

---

(٢٨) زور الرقمين: موضع.

(٢٩) الطرف: نواحي الأرض.

(٣٠) ضبثت: أمسكت.

(٣١) السحق: جمع سحوق وهو الطويل. وهو هنا: ماء بالعراق، ويقال جبل بتهامة. والجحن: المعقوفة.

(٣٢) الجواء: جبل.

(٣٣) الصرائم: جمع صريمة. ،هي كل قطعة ضخمة من الرمل، مخيط: اسم جبل.

وهَلْ ترَكَ الحَوْمـــانُ بَعْدِى مكانَهُ

وهَلْ زالَ مـن بَطْنِ الجُوَىٰ تنَاضبُهُ(٣٤)

فــوالله مـــا أدْرِى أيَغْلِبنِى الهوَى

إذا جَدَّ جدُّ البيْنِ أمْ أنا غـــالِبُهُ

فإنْ أستطعْ أَغْلِبْ وإنْ يَغْلِبِ الهوى

فمِثْلُ الذى لاقيتُ يُغْلَبُ صاحبُهُ

....

لقَدْ طالَ حَبْسُ الوَفْدِ وَفْدِ مُحارِبِ

عن المَجْدِ لَمْ يأذَنْ لَهُمْ بَعْدُ حاجِبُهُ (٣٥)

وقــــال لَهُمْ كُرُّوا فلَسْتُ بآذنٍ

لكمْ أبَدَاً أوْ يُحْصِىَ التُّرْبَ حاسِبُهُ

٥ ـ **قال ابن ميادة يمدح الوليد بن يزيد:** **(البسيط)**

هَلْ يَنْطِقُ الربْعُ بالعَلْيــاء غيَّره

ما فى الرياح ومُسْتَنٌّ لـه طُنُبُ (٣٦)

جَرَتْ بـه ذاتُ أذْيالٍ مُزْعــزِعـــة

لهـا نفِىٌ وذَيْلٌ عارِمٌ حَصِبُ (٣٧)

تَكْســـو معَارِفَه حِبْراً تُجَدِّده

مِن التُّرابِ وأُخْرى بعْدُ تَسْتَلِبُ (٣٨)

---

(٣٤) الحومان: موضع فى طريق اليمامة من البصرة، والجوى: موضع.

(٣٥) يريد محارب بن خفصه بن قيس عيلان من مضر.

(٣٦) العلياء: كل أرض مرتفعة.

(٣٧) مزعزعة: شديدة. العارم: الشديد البرودة. ونفى الريح: ما نفى من التراب فى أصول الحيطان ونحوه.

(٣٨) الحبر: الوشى.

دَارٌ لبَيْضَاءَ مُسْودٌّ مسَائِحُهَا
كَأنَّهَا ظَبْيَةٌ تَرْعى وتَنْتَصِبُ (٣٩)
تَحْنُو لأكْحَلَ ألْقَتْهُ بمَضْيَعَةٍ
فَقَلْبُهَا شَفَقَاً مِنْ حَوْلِه يَجِبُ (٤٠)
جَاوَرْتُهَا رَجَبَاً أيامَ ذِى سَلَمٍ
ثمَّ اسْتَمَرَّتْ ولاقى دُونَهَا رَجَبُ (٤١)
يا أطْيَبَ الناسِ ريقَاً بَعْدَ هَجْعَتِهَا
وأمْلَحَ النَّاسِ عَيْنَاً حِينَ تَنْتَقِبُ
لَيْسَتْ تَجُودُ بنَيْلٍ حين أسألُهَا
ولَسْتُ عندَ خَلاءِ اللهوِ أغْتَصِبُ
كَأنَّ فى ثَوْبِهَا زِفْزافَ حَرْمَلَةٍ
مِن أزمَلِ الحلْيِ وَهْنَاً حِينَ تَنْقَلِبُ (٤٢)
فى مِرْفَقَيْهَا إذا مَا عُونِقَتْ جَمَمٌ
على الضَجِيجِ وفى أنْيابِها شَنَبُ (٤٣)
كَأنَّ بَرْدِيَّةً جَاشَتْ بِهَا خُلُجٌ
خُضْرُ الشَّرائِعِ فى حَافَاتِهَا العُبَبُ (٤٤)
دَعْ ذَا وَعَدِّ عَفَرْنَاةً مُذَكَّرَةً
بِمِثْلِهَا يُطْلَبُ الحَاجَاتِ مُطَّلِبُ (٤٥)

---

(٣٩) المسائح: ما بين الأذن إلى الحاجب من الشعر، تنتصب: تقف.

(٤٠) المضيعة: الأرض الموحشة.

(٤١) ذو سلم: واد بنجد على الذنائب، والسلم فى الأصل، شجر ورق القرظ الذى يدبغ به.

(٤٢) الزفزاف: الصوت الشديد، ويريد به الريح الشديدة. الحرمل: نوع من الشجر لا يأكل ورقه إلا المغرى. الأزمل: كل صوت مختلط.

(٤٣) الجمم: كثرة اللحم.

(٤٤) البردية: واحدة البردى. وهو نبت معروف يشبه الشعراء به سوق النساء والشرائع: المواضع التى ينحدر منها الماء. العبب: ضرب من النبات.

(٤٥) العفرناة: الناقة أو البعير. المذكرة: التى تشبه الجمل فى قوة خلقها وصلابتها.

وليلةٍ ذاتِ أهْـوالٍ كـــــواكِبُهـــــا
مثلُ القناديلِ فيها الزَّيْتُ والعُطُبُ(٤٦)
قد جُبْتُها جوبَ ذى المقراضِ ممْطُرةً
إذا استوى مُغْفَلاتُ البيدِ والحَدَبُ(٤٧)
بعَنْتَريسٍ كـــأنَّ الدَّبْرَ يلْسَعُهـــا
إذا ترَنَّم حادٍ خلْفَها طَرِبُ (٤٨)
وانسـبـت بالدلو أمـشى نحـو آجنة
من دون أرجائها العُلاّمِ والقطب (٤٩)
إلى الولـيـد أبى العـبـاس مـا عـجلت
ودونـه المعط من نيّانَ والكُثُبُ (٥٠)
لما أتيـــتك من نجـــد وســـاكنه
نفحت لى نفحة طارت بها العرب
أعطيتنى مائة صفرا مدامعها
كـالنخل زيِّن على نبـته الشـرب
وذا ســـبـــيـب صُهَيْبيّاً له عُرُفٌ
وهامةً ذات فرْقٍ ما بها صَخَبُ (٥١)
يسـوقـهـا يافع جـعـد مـفـارقـه
مـثل الغـراب غـذاه الصـر والحلبى
وذا سـبـيـب صـهـيب له عـرف
وهامـة ذات فـرق مـا بهـا صـخب

(٤٦) العطب: القطن. وأراد ذبالة الصباح التى تتخذ من القطن.
(٤٧) المقراض: المقص. والحدب: الغليظ من الأرض.
(٤٨) العنتريس: الناقة القوية، الكثيرة اللحم. الدبر: الزنابير. وقيل النحل!
(٤٩) أجنة: أراد الماء المتغير لونه وطعمه. العلام: الحانء. القطن: ضرب من النبات يشق على الناس السير عليه لشدة شوكه.
(٥٠) أبو العباس، كنية الولدين يزيد. والمعط: جمع معطاء. وهى كل أرض كثيرة الوحش لا نبت فيها، وقيل هى موضع بالشام.
(٥١) السبب هنا: شعر الذنب والناصية. والأصيب من الإبل: الذى ليس شديد البياض. عرف الفرس: منبت الشعر عن عنقها. والفرق: موضع المفرق من الرأس.

أن أخصبت تركت ما حول مبركها

زيناً وتجدب أحياناً فتحتطب

إني امرؤ أعتفي الحاجات أطلبها

كما اعتفى سنق يُلقى له العشب (٥٢)

ولا ألح على الخلان أسألهم

كما يلح بعظم الغارب القتب (٥٣)

ولا أُخادعُ نَدْمانِي لأخْدَعهمْ

عن مالِهمْ حينَ يَسْتَرْخى بهم لَبَبُ

وأنتَ وابْنَاكَ لمْ يُوجَدْ لَكُمْ مَثَلٌ

ثَلاثَةٌ كلُّهم بالتاجِ مُعْتَصِبُ

الطيبونَ إذا طابتْ نُفوسهمُ

شُوسُ الحواجبِ والأبصارِ إنْ غَضبوا(٥٤)

قِسْنِى إلى شُعَراء الناسِ كلِّهم

وادعُ الرُّواةَ إذا ما غبَّ ما اجتَلبُوا

إني وإنْ قالَ أقْوامٌ مَديحهمُ

فأحْسَنوه وما حَابُوا وما كَذَبوا

أجْرى أمامَهمُ جَرْىَ امرىءٍ فَلَجٍ

عِنانُه حينَ يَجْرى لَيْسَ يَضْطَرِبُ(٥٥)

يا أيُّها الناس خَافوا اللّهَ واحْتَرِسوا

منَ الوليدِ ولا يَغْرُرْكم الأَرَبُ

---

(٥٢) أعتفى: أطلب. السنق: المتخم.

(٥٣) الغارب: أعلى مقدم السنام. والقتب: الاكاف. وهو للجمل مثله من الدواب.

(٥٤) شوس: جمع أشوس، وهو النظر بمؤخر العين تكبرا وتغلظا.

(٥٥) الفلج: الظفر والفوز. وقد حركه للضرورة.

صالح بن عبد القدوس[1]
(ت ١٦٦ هـ)

هو صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس، بصرى من موالى الأزد، وكنيته أبو الفضل، ويرجع فى أصله غالبا إلى الفرس، مال إلى علم الكلام واعتنق فيما يبدو مذهب الثنوية الذى يذهب إلى وجود إلهين: إله للنور وآخر للظلمة، وكان يشارك فى المجادلات الدينية مع المعتزلة وخاصة واصل بن عطاء، وقيل إنه كان يعظ الناس بالبصرة ويقص عليهم دون أن يجهر بسوء معتقده، فلما اجترأ الزنادقة، شاركهم صالح جرأتهم، فكان يناظر أبا الهزيل العلاف فى طبيعة النور والظلمة.

وقد عرف صالح بن عبد القدوس بأنه حكيم الشعر، وأنه لايكاد يخرج فى شعره عن المواعظ والحكم والآداب والحث على الزهادة، وهذا الاتجاه معروف عند المانوية. وقد عمى صالح بن عبد القدوس فى آخر حياته وله أشعار جيدة يرثى بها عينيه، كما أن له أشعارا صور فيها حياة السجن عندما وضع فى سجن الزنادقة وقد نقله الخليفة المهدى منه ١٦٦ للهجرة على أرجح الآراء. وقد خدعت أشعاره فى الزهد والحكم بعض الباحثين حتى من القدماء فنجد ابن المعتز يعلق على هذه الأشعار بقوله (فيا عجبا كيف يمكن أن يقول

(١) انظر فى ترجمته وأخباره: طبقات الشعراء المحدثين لابن المعتز ـ أمالى المرتضى ـ تاريخ بغداد ـ معجم الأدباء لياقوت ـ تاريخ دمشق لابن عساكر ـ نكت الهميان للصفدى ـ لسان الميزان لابن حجر ـ فوات الوفيات ـ ميزان الاعتدال.

زنديق مثل هذا القول؟ وكيف يمكن أن يكون قائله زنديقاً؟ بينما نجد أن ابن النديم فى الفهرست يجعله من رؤساء المانوية وينسب إليها كتباً مصنفة فى نصرة عقيدة الثنوية ومذاهب أهلها.

ولم يصل إلينا ديوان صالح بن عبد القدوس ولكن أحد الباحثين كتب عن حياته وجمع شعره (٢).

وقال فى رثاء عينيه بعد أن أصابه العمى فى آخر عمره:

١ - عــزاءك أيهــا العين السَّكوبُ
ودمــــعك أنهـــا نُوَبٌ تنوبُ(٣)

٢ - وكنت كريمتى وسراج وجهى
وكـــانت لى بك الدنيـــا تطيب

٣ - فإن أك قد ثكلتك فى حياتى
وفـــارقنى بك الإلف الحـــبيب

٤ - فكل قـــرينة لابد يومـــا
سيشعَبُ إلفَها عنها شَعوب(٤)

٥ - على الدنيا السلام فما لشيخ
ضـــرير العين فى الدنيا نصيب

٦ - يموت المرء وهو يعدُّ حـــياً
ويُخلف ظنَّه الأملُ الكذوب

٧ - يُمَنِّينى الطبيب شفاء عينى
ومـــا غـــير الإله لها طبيب

(٢) انظر: صالح بن عبد القدوس، حياته وشعره جمع وتحقيق عبد الله الخطيب - بغداد - دار منشورات البصرى ١٩٧٦م.

(٣) النوب: المصائب تنوب: تنزل بالنسان.

(٤) يشعب: يصدع ويفرق، الشعوب: المنية.

٨ ـ إذا مامات بعضك فابْكِ بعضا
فإن البعض من بعض قريب

وقال يصف مشاعره فى سجن الزنادقة بعد أن حبس فيه قبل إعدامه:

١ ـ خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها
فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى

٢ ـ إذا دخل السجان يوما لحاجة
عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

٣ ـ ونفرح بالرؤيا فجل حديثنا
إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا

٤ ـ فإن حسنت لم تأت عجلى وأبطأت
وإن قبحت لم تحتبس وأتت عَجلى

٥ ـ طوى دوننا الأخبار سجن ممنّعٌ
له حارس تهدا العيون ولا يهدا

٦ ـ قبرنا ولم ندفن ونحن بمعزل
عن الناس لا نخشى فنُغشى ولا نَغشى(٦)

٧ ـ ألا أحد يأوى لأهل محلة
مقيمين فى الدنيا وقد فارقوا الدنيا(٧)

(٦) نُغشى: نزار يأتى الزائرون إلينا ولكننا غير قادرين على القيام بزيارة أحد.
(٧) أوى لفلان: رثى له.

أبان بن عبد الحميد اللاحقى

شاعر أديب. وعالم ظريف، كما يقول عنه ابن المعتز. ينشيء الرسائل ويرتجل الخطب. وهو صاحب البرامكة وشاعرهم، وكان مخصوصا من بينهم بجعفر بن يحيى لا يكاد يفارقه.

وهو الذى نقل «كليلة ودمنة» شعراً بناء على طلب من يحيى بن خالد بن برمك، وقد جاء فيما يقرب من خمسة آلاف بيت وقد أثابه «يحيى» على ذلك بجائزة شهية أحفظت عليه «أبا نواس»، وكان هذا سبب العداوة بينهما، ويتميز شعر «أبان بن عبد الحميد» بالطواعية والسهولة، وأغلبه فى مقطعات قصار تصلح للغناء، ومن ثم عرفت به كما عرفت بها، ولهذا اجتزأنا منه بتلك المقطوعة التى لا تختلف بقية شعره عنهما اختلافا يذكر.

من شعر أَبَان بن عبد الحميد اللّا حقى:

قال يتغزل:

مـــا تَزَالُ الدِّيار فى بُرْقــــة

النَّجْدِ لسُعْدَى بقَرْقَرَى تُبْكِينـى (١).

(١) البرقة: مكان غليظ من الأرض، فيه حجارة ورمل وطين مختلطة. النجد: ما ارتفع عن الأرض.
قرقرى: اسم موضع.

قـد تَخـيَّلْتُ كـى أرى وَجْه سُعـدى

فـــإذا كُلّ حـــيلة تُعِيـــينى (٢)

قلتُ لَمّا وَقـــفْتُ فى سُدّة البـــا

ب لـــسُعْدَى مَقَالـــة المـــســكـــين

افْعلَى بِى يا ربَّة الخِدْر خــــيـــرا

ومِنَ الماء شَرْبةً فـــاســـقـــينى

قـالت الماءُ فـــى الرُّكِىِّ كـــثـــيـــر

قلتُ مـــــاءُ الرُّكِىِّ لا يُروِيـنـى (٣)

طَرَحتْ دونِى السُّتـــور وقـــالت

كُلّ يـــوم بعِـــــلّة تأتـيـنــــــــى

(٢) تحيل: كان حاذقا جيد النظر قادرا على التصرف في الأمور. تعييني: تعجزني.

(٣) الركي: جمع رَكِية. وهي البئر. لا يرويني: لا يجعلني أرتوي حتى الشبع.

أبو عيينة بن محمد
ابن أبى عيينة

هو أبو عيينة بن محمد بن أبى عيينة المهلبى من ولد المهلب بن أبى صفرة، ويزعم آل المهلب أن أبا عيينة اسم له. وهو واحد من ثلاثة إخوة شعراء من ولد محمد بن أبى عيينة، وثانيهم عبد الله وثالثهم داود.

يقول النسابون إن أصلهم من عجم عُمان وأنهم تولوا الأزد، فلما سار المهلب وشرف وعلا ذكره استلحقوه.

وأبو عيينة شاعر مطبوع غَزِل هجّاء من شعراء الدولة العباسية، كان يسكن البصرة واشتهر حبه لفاطمة بنت عمر بن حفص وكانت امرأة نبيلة شريفة، وكان يخاف أهلها أن يذكرها تصريحا، ويرهب زوجها عيسى بن سليمان، فكان يقول الشعر فى جارية لها يقال لها «دنيا» كناية عنها، ويبدو أنه مات بعد خلافة المأمون بقليل.

وقد أجمع أصحاب المصادر الأدبية على رقة شعر أبى عيينة ويقول أحدهم إنه كان من أطبع الناس وأقربهم مأخذا من غير أدب موصوف ولا رواية كثيرة، وكان يقرب البعيد ويحذف الفضول ويُقل التكلف.

وكثير من أشعاره، وهى معظمها فى الغزل، كانت تغنى، كما اشتهرت أشعاره فى هجاء ابن عمه خالد بن يزيد بن حاتم وكان من الولاة المشهورين.

قال أبو عيينة متغزلا فى فاطمة ومكنيا عنها بدنيا:

١ ـ ألم تَنْهَ قلبكَ أن يعشقا
ومالَكَ والعشق لولا الشقا

٢ ـ أمِن بَعْدِ شُرْبِك كأس النُّهى
وشَمِّك ريحانَ أهل التُّقى

٣ ـ عشِقْتَ فأصبحتَ فى العالمين
أشْهَرَ من فَرَسٍ أبلقا

٤ ـ أدنيايَ من غَمْرِ بحر الهوى
خُذِى بيدى قبل أن أغرقا

٥ ـ أنا ابن المُهَلَّبِ ما مثله
لو أنَّ إلى الخُلْد لى مُرْتقى

٦ ـ أنا لكِ عبدٌ فكونى كمن
إذا سَرَّهُ عبدُهُ أعتقا

٧ ـ ألم أخدع الناس عن وصلها
وقد يخدعُ العاقلُ الأحمقا

٨ ـ بلى فسبقتهمُ إننى
أحب إلى الخير أن أسبقا

٩ ـ ويوم الجَنازة إذ أرسلتْ
على رقعة أن جُزِ الخندقا

١٠ ـ وعُجْ ثَمَّ فانظر لنا مجلسا
برفقٍ وإياك أَن يَخْرَقَا

١١ ـ فجئنا كغصنين من بانةٍ
قرينينْ خِدْنَينْ قد أَورقا

١٢ ـ فقالت لأخت لها استنشديه
من شـعـره المُحْكَمِ المُنْتَقى
١٣ ـ فقلتُ أمرتِ بكتمانه
وحذَّرْتِ إن شاع أن يُسرقا
١٤ ـ فقالت بعيْشك قولى له
تمنَّعْ لعلك أن تُنفقا

وقال أبو عيينة متغزلا فى فاطمة أيضاً:

أنا الفارغُ المشغولُ والشوقِ آفتى
فلا تسألونى عن فراغى وعن شُغْلى
عَجِبْتُ لتركِ الحُبِّ دنيا خليَّةً
وإعراضه عنها وإقباله قُبْلى (١)
وما بالها لما كتبتُ تهاونت
بكُتْبى وقد أرسلتُ فانتهرت رُسْلَى
وقد حلفَت ألا تخطَّ بكفِّها
إلى قابلٍ خطًّا إلىَّ ولا تُملى
أبُخْلا علينا كلُّ ذا وقطيعةً
قضيت لدنيا بالقطيعة والبُخل
سلوا قلبَ دنيا كيف أطلقه الهوى
فقد كان فى غُلِّ وثيقٍ وفى كبَلْ (٢)
فإن جحدَتْ فاذكرْ لها قصرَ معبد
بمَنْصَفِ ما بين الأُبلّة والحبل (٣)

---

(١) إقباله قبلى: قصده نحوى.
(٢) الغل والكبل: القيد.
(٣) المنصف المنتصف، الأبلة: بلدة على شاطئ دجلة فى زاوية الخليج الذى يدخل إلى مدينة البصرة، الحبل: موضع بالبصرة.

وملعـــبنا فى النهـــر والماء زاخرٌ

قـرينين كـالغُصْنَيْن فَرْعَيْن فى أصل

ومن حـولنا الريحـانُ غَضاً وفـوقنا

ظلالٌ مـن الـكَرْمِ المُعَرَّش والـنـخـل

إذا شِئتُ مــالت بى إليــهــا كــأننى

إلى غُصْنِ بان بين دغـصيَن من رمل

ليالـى ألقانى الهوى فاسـتضـفتُها

فكـانـت ثـنـاياها بـلا حِشْمَةَ نُزْلـى

وكم لـذة لـى فـى هواها وشـــهـــوةٍ

وركـضى إليـهـا راكـبـا وعلـى رجل

وفى مــأتم المهـدىِّ زاحـمتُ رُكنَهـا

برُكنى وقـد وطّنْتُ نفسى علَى القتل

وبـتنـا علـى خوْفٍ أُسَكِّنُ قَلبهَـــــا

بيُســراى واليُمنى علـى قــائم النَّصلْ

فيـا طَيب طعم العيش إذ هـى جـارةٌ

وإذ نفـسـهـا نفـسى وإذ أهلـهـا أهلى

وإذ هـى لا تـعــــــتلُّ عـنـى برِقْبَةٍ

ولا خَوْفِ عينِ من وشـــاةٍ ولا بعْلْ

فـــقـــد عفَتِ الآثارُ بينى وبينهـــا

وقـد أوحـشت منى إلى دارها مُبْلى

ولما بلوتُ الحُبَّ بعـــد فـــراقـــهـــا

قـضـيْتُ على أم المحـــبين بالثُكْلْ

وأصـبـحتُ مـعـزولا وقـد كنتُ واليـا

وشـــتـــان مــــا بين الـولاية والعزَلْ

١ - وقال بشار يمدح
مروان بن محمد (*)

وهو بشار بن برد بن بهمن بن أذركند، من مخضرمي الدولتين، وكان مولى لبني عقيل بن كعب من بني عامر، ويقال: إنه كان مولى لامرأة من بني سدوس يقال لها: أم ظباء. وكان بشار يكنى أبا معاذ، ويلقب بالمرعث لوقوع هذه الكلمة في بعض أشعاره من مثل قوله:

قـــــــــال ريمٌ مُرَعَّث ســـــاحـــر الطرف والنظرْ
لســـــتَ والـلـه نـائـــلـــي قلت: أو يغلب القـــــدر!

والرعث (بالتحريك): الاسترسال والتساقط.

وكان مولد بشار بالبصرة سنة ست وتسعين تقريبا، ونشأ بها واشتهر شعره فيها. وتوفي في بغداد، وقيل بالبصرة، سنة سبع، وقيل ثمان وستين ومائة على أرجح الأقوال.

وعرف بشار بين معاصريه بسوء الخلق، وسرعة الغضب، وكثرة الهجاء والمجاهرة بعشق النساء، وشرب الخمر، وهذه صفات كان لها أثر عميق على موقف معاصريه من عقيدته وسلوكه وشعره: فقد تواترت الأخبار والقصص التي تشكك في صحة دينه، فذهبت روايات إلى تأكيد كفره وزندقته، ونسبته

(*) والقصيدة في مديح مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وكان يلقب بمروان الحمار! وكان ذا رأى ومكيدة وبسالة في الحروب، وأخذ الخلافة الأموية غصبا، ورام ضبط الدولة حين رآها أشرفت على الانحلال، فغلبته الأحوال، وآل أمره إلى الاضمحلال.

إلى المجوسية والثنوية والبرهمية.. وذهبت أخرى إلى القول بإسلامه ونسبته فيه إلى الرفض والشعوبية، والرجعة القائلة بعودة على بن أبى طالب وتكفير من عدلوا عن بيعته بعد وفاة الرسول. وأما أثرها فى شعره، فيتمثل فى أمرين: الأول، أخذ معانيه على ظاهرها وحملها على ما يدينه فى سلوكه وعقيدته، والثانى، حمل أشعار موضوعة عليه، صريحة فى الإقرار بشعوبيته وزندقته.

وعلى الرغم من إلحاح الرواة فى الطعن فى دين بشار وخلقه وسلوكه، فإن قارئ أشعاره يلاحظ خلوها مما يؤخذ عليه، وأكثرها فى النسيب الذى يتجه فيه اتجاها تقليديا، وأقلها فى المديح والهجاء.

وديوانه الذى بين أيدينا ناقص، فهو يقف عند قافية الدال.

ويتفق الرواة على أن بشارا مات مقتولا من ضرب ضُربه على التهمة بالزندقة فى زمن المهدى.

جَفَا وده فَأَزْوَرَّ أَوْ مَلَّ صَاحِبُهْ
وَأَزْرَى به أن لاَ يَزَالَ يُعَاتِبُه[1]
خَلِيلَـــــــىَّ لاَ تَسْتَنْكِرَا لَوْعَةَ الْهَوَى
وَلاَ سَلْوَةَ المَحْزُونِ شَطَّتْ حَبَائِبُهْ
شَفَى النَّفْسَ مَــــــا تَلْقَى بِعَبْدَةَ عينُهُ
ومَا كَـــــــــانَ يَلْقَى قَلْبُهُ وطَبَائِبُهْ[2]
فَــــــأَقْصَرَ عِرْزَامُ الْفُؤَادِ وَإنَّمَـــــــا
يَمِـــــيلُ بِـه مَسُّ الهَوَى فَيُطَالِبُهْ[3]

(١) جفا: بعد. أزورّ: انحرف وتباعد.

(٢) الطبائب: جمع طبيبة. وهي الحبيبة المواصلة المواسية.

(٣) العرزام ـ بكسر العين ـ القوى الشديد من كل شئ. وأراد: أقصر الفؤاد الشد ونفد عزمه.

إذَا كـــانَ ذوَّاقــاً أخُوكَ منَ الـهوَى

مُوَجَّهةً فـى كـلِّ أوْبٍ رَكـــائبُهْ (٤)

فَخَلِّ لَهُ وَجْهَ الْفِرَاقِ ولا تكُنْ

مَطِيَّةَ رَحَّالٍ كـــثيـــرٍ مَذَاهِبُهْ(٥)

أَخُوكَ الـذِى إنْ رِبْتَهُ قَالَ وإنَّمـــا

أريْبُ وإنْ عاتَبْتَهُ لأنَ جـــانبُه(٦)

إذَا كُنْتَ فـى كل الـذُّنُوبِ مُعاتِبـــاً

صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ الذى لا تـعـــاتبه

فَعِشْ واحِداً أوْ صِلْ أخَاكَ فـــإنـه

مُفَارِقُ ذَنْبٍ مَرَّةً ومُجَانِبُهْ(٧)

إذَا أنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَاراً عَلَى الْقَذَى

ظَمِئْتَ، وأىُّ الـنَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ؟(٨)

ولَـــيـــلٍ دَجُوجِىٍّ تَنَامُ بـــنـــاتُه

وأبْنَاؤه مِنْ هَوْلِه وَرَبَائبُهْ(٩)

حَمَيْتُ بـــــهِ عيْنِى وعَيْنَ مَطِيَّتِى

لَذِيذَ الكَرَى حَتَّى تَجلَّتْ عَصَائبُهْ (١٠)

(٤) ذواق: متقلب فى حبه، متلون.

(٥) كثير مذاهبه: أراد كثير التقلب.

(٦) يريد: أخوك الذي إن رأى منك ما يريبه، وعلم منك الريبة لم يفضحك ولم يقطعك، بل ينسب الريبة إلى نفسه،.وإن عاتبته لان جانبه.

(٧) مجانبه: اسم فاعل من جانبه، إذا كان منه بجانب أى بجهة أخرى، أى بعيداً عنه.

(٨) القذى: يطلق على ما يقع فى الشراب وفى العين.

(٩) الدجوجى (بفتح الدال). منسوب إلى «الدجج»، بضم الدال شدة الظلمة وهو نسب على غير قياس. وبنات الليل وأبناؤه: الذين اعتادوا مواصلة السهر في الليالى.

(١٠) حميت: منعت، والعصائب: الجماعات. أراد بها ظلماته، فهو بطوله كأنه مجتمع ليال كثيرة.

وَمَـــــاءٍ تـرى رِيشَ الْغَطَاطِ بِجَوِّهِ

خَفِّيِ الْحَيَـا مَـا إنْ تَلِينُ نَصَائِبُهْ(١١)

قَرِيـبٍ مِنَ الـتَّغْرِيـرِ نَاءٍ عَنِ الـقُرَى

سَقَانِي بِهِ مُسْتَعْمَلُ اللَّيْلِ دَائِبُهْ (١٢)

حَلِيـــفُ الــسُّرَى لاَ يَلْتَوِي بِمَفَازَةٍ

نَسَاهُ وَلاَ تَعْتَلُّ مِنْهَــــا حَوَالِبُهْ(١٣)

أَمَـقُّ غُرَيْرِيٌّ كَـــــــأَنَّ قُتُودَهُ

عَلَى مُثْلَثٍ يَدْمَى مِنَ الحُقْبِ حَاجِـبُهْ(١٤)

غَيُورٍ عَلَى أَصْحَابِهِ لاَ يَرُومُهُ

خَلِيـــطٌ وَلاَ يَرْجُو سِوَاهُ صَوَاحِبُهْ(١٥)

إذَا مَـــا رَعَى سِنَّيْنِ حَاوَلَ مِسْحَـــلاً

يَجِدُّ بِهِ تَعْذَامُهُ وَيُلاَعِبُهْ(١٦)

أَقَبُّ نَفَى أَبْنَاءَهُ عَنْ بَنَاتِهِ

بِذِي الرَّضْمِ حَتَّى مَا تُحَسُّ ثَوَالِبُهْ(١٧)

---

(١١) الغطاط (بفتح الغين): جمع غطاطة. وهي القطاة، وقيل أنه ضرب من القطا طوال الأرجل، بيض البطون، غبر الظهور، واسعة العيون. والحيا: الخصب. والنصائب: جمع نصيبة وهي حجارة تنصب حول الحوض. ويسد ما بينها من الفروج بالمدرة المعجونة.

(١٢) مستعمل الليل: أي الجمل الذي يسير بالليل.

(١٣) النسا (بفتح النون): عرق من الورك إلى الكتف. والجوالب: عرقان يكتنفان السرة إلى البطن.

(١٤) الأمق: الطويل. يقال: فرس أمق وجمل أمق. والغريري: منسوب إلى فحل مشهور والقتود: جمع قتد (بكسر القاف). والمثلث: الذي له ثلاث أتن. وأراد: كأن قتود هذا البعير موضوعة علي حمار وحش.

(١٥) يصف حمار الوحش بالغيرة على إنائه. فهو لا يفارق زوجه ولا يتركها لغيره.

(١٦) السن (بفتح السين): حسن المرعى. والمسحل: حمار الوحش والتعذام (بفتح التاء): العض، وأراد: أنه عضه مرة عن غضب أو ملاعبة!

(١٧) أقب: صفة للحمار الوحشي، وأراد أنه ضامر البطن. «نفى أبناءه عن بناته»: أراد أنه لما كبرت أبناؤه، نفى أبناءه غيرة على بناته واستصفاء لها. الثوالب: جمع ثالبة، وهي الخصلة التي تعيب صاحبها، وذو الرضم: موضع.

رَعَى ورَعَيْنَ الـرُّطْبَ تِسْعِـينَ لَيْلَةً

عَلَى أبَقٍ والـرَّوْضُ تَجْرِي مَذَانِبُهْ[18]

فَلَمَّا تَوَلَّى الحَرُّ واعْتَصَرَ الـثَّرَى

لَظَى الـصَّيْفِ مِنْ نَجْمٍ تَوَقَّدَ لاَهِبُهْ [19]

وَطَارَتْ عَصَافِيـرُ الشَّقَائِقِ وَاكْتَسَى

مِنَ الآلِ أمـثَالَ المُلاءِ مَسَارِبُهْ[20]

وَصَدَّ عَنِ الـشَّوْلِ الـقَرِيـعُ وأَقْفَرَتْ

ذُرَى الـصَّمْدِ مِمَّا اسْتَوْدَعَتْهُ مَوَاهِبُهْ[21]

وَلاذَ المَهَا بِـالـظِّلِّ واسْتَوْفَضَ الـسَّفَا

مِنَ الـصَّيْفِ نَئَّاجٌ تَخُبُّ مَوَاكِبُهْ[22]

غَدَتْ عَانَةٌ تَشْكُو بِـأَبْصَارِهَا الـصَّدَى

إلَى الْجَأْبِ إلاَّ أنَّهَـا لاَ تُخَاطِبُهْ[23]

وَظَلَّ عَلَى عَلْيَاءَ يَقْسِمُ أَمْرَهُ

أيَمْضِي لِوِرْدٍ بَاكِرٍ أمْ يوا (تـ) بهْ[24]

(١٨) تسعين ليلة: مدة الربيع. والأبق (بالتحريك) نبت يتخذ من ليفه الحبال. المذانب: جمع المذنب (كالمنبر): وهو الجدول يسيل عن الروضة بمائها إلى غيرها!

(١٩) اعتصر: زال، أراد أن الحر أزال رطوبة الثرى.

(٢٠) «عصافير الشقائق»: لعله يريد بها نوعا من العصافير يقال له الشقائق! الملاء: جمع ملاءة (بضم الميم). وهي ثياب.

(٢١) الشول: جمع شائل وشائلة. وهي الناقة التى تشول بذنبها، أى ترفعه للقاح. والقريع: الفحل، سمى بذلك لأنه يقرع بالعصا لشدته والصمد: موضع.

(٢٢) استوفض: طلب الوفض وهو السرعة. والنئاج: الريح السريعة ذات الصوت! وتخب: تسير الخبب. والكواكب، وهو الجماعة مشاة أو ركباً.

(٢٣) العانة: جماعة حمر الوحش (اسم جمع لا مفرد له). «تشكو بأبصارها الصدى»: أراد أن العطش أغار أحداقها وأذبلها.

(٢٤) «يقسم أمره»: أى يفكر فيه وهو لا يدرى ما يصنع، يصفه بالتردد والحيرة.

فَلَمَّا بدا وَجْهُ الزِّماعِ وَرَاعَهُ

مِنَ اللَّيْلِ وَجْهٌ يَمَّمَ الماءَ قَارِبُهْ(٢٥)

فَبَاتَ وَقَدْ أَخْفَى الظَّلَامَ شُخُوصَهَا

يُنَاهِبُهَا أُمَّ الْهُدَى وَتُنَاهِبُهْ(٢٦)

إِذَا رَفَضَتْ فِى مَهْمَهِ اللَّيْلِ ضَمَّهَا

إِلَى نَهَجٍ مِثْلُ الْمَجَرَّةِ لَاحِبُهْ(٢٧)

إِلَى أَنْ أَصَابَتْ فِى الْغَطَاطِ شَرِيعَةً

مِنَ الْمَاءَ بِالأَهْوَالِ حُفَّتْ جَوَانِبُهْ(٢٨)

لَهَا صَخَبُ الْمُسْتَوْفِضَاتِ عَلَى الْوَلَى

كما صَخِبَتْ فِى يَوْمِ قَيْظٍ جَنَادِبُهْ(٢٩)

فَأَقْبَلَهَا عُرْضَ السَّرِىِّ وَعَيْنُهُ

تَرُودُ وَفِى النَّامُوسِ مَنْ هُوَ رَاقِبُهْ(٣٠)

أَخُو صِيغَةٍ زُرْقٍ وَصَفْرَاء سَمْحَةٍ

يُجَاذِبُهَا مُسْتَحْصِدٌ وَتُجَاوِبُهْ(٣١)

إِذَا رَزَمَتْ أَنَّتْ وَأَنَّ لَهَا الصَّدَى

أَنِينَ الْمَرِيضِ لِلْمَرِيضِ يُجَاوِبُهْ(٣٢)

---

(٢٥) «تدلى فى السرى»: أراد إذا نزل الحمار إلى جدول الماء. والغليل: العطش الشديد. «وغره الحشا من قانص»: أى أن العطش الشديد قد حمله على أمر يضره من جهة الصائد الكامن.

(٢٦) «أم الهدى»: المجحة الواضحة. والنهب: سرعة السير كأنه ينهب الأرض.

(٢٧) رفضت: أراد تفرقت وتبددت.

(٢٨) الغطاط: القطا. الشريعة: الماء الكثير.

(٢٩) المستوفضات : القطا لأن كل شبح يستوفضها. أى يحملها على الإسراع بالفرار.

(٣٠) «فأقبلها..»: أراد أقبل الحمار بالأتن على السرى. وهو الوادي. الناموس: حفرة يحفرها الصائد ليتخفى فيها.

(٣١) الصيغة: عمل عامل واحد على قدر واحد. والسمحة: القوس المواتية للرمى، والمستحصد: المحكم الشديد القوى، وأراد به الوتر، يجاذبها: أراد أنها لفترة عودها تمتنع عن الوتر حين يجذبها.

(٣٢) رزمت: صوتت.

كــــــــأنَّ الْغِنَى آلَى يَمِينـاً غَلِيظَةً
عَلَيْه خلاَ مَا قَرَّبَتْ لاَ يُقَارِبُهْ(٣٣)

يؤولُ إلَى أُمِّ ابْنَتَيْنِ يؤودُهُ
إذَا مَا أَتَاهَا مُخْفِقَــــاً أَوْ تُصَاخِبُه(٣٤)

فَلَمَّاتدلَّى فــــى الـــسَّرِيِّ وغَرّهُ
غَلِيلُ الحَشَا مِنْ قَانـصٍ لاَ يُوَاثِبُه(٣٥)

رَمـــــى فَأَمرَّ الـــسَّهْمَ يَمْسَحُ بطْنَهُ
ولَبَّاته فَانْصَاعَ وَالْمَوْتُ كَارِبُهْ(٣٦)

(ووَافَقَ) أَحْجــــــاَراً رَدَعْنَ نَضيَّهُ
فَأَصْبَحَ مِنْهَا عَامِداه وَشَاخِبُهْ(٣٧)

يَخَافُ المَنَايَا إنْ تَرَحَّلْتُ صَاحِبـــى
كــــأَنَّ المَنَايَا فى الْمُقَامِ تُنَاسِبُهْ(٣٨)

فَقُلْتُ لَهُ: إنَّ الْعِرَاقَ مُقَامُهُ
وَخِيـــــمٌ إذَا هبَّتْ عَلَيْكَ جَنَائِبُهْ(٣٩)

لَعَلَّكَ تَسْتَدْنِى بِسَيْرِكَ فـــى الــدُّجَا
أَخَا ثِقَةٍ تُجْدِى عَلَيْكَ مَنَاقِبُهْ

مِنَ الحَىِّ قَيْسِ قَيْسِ عَيْلاَنَ إنَّهُمْ
عيونُ الـــنَّدَى مِنْهمْ تُرَوِّى سَحَائِبُهْ

(٣٣) أراد أن رزقه منوط بما تقربه إليه قوسه من الصيد.

(٣٤) يئول: يأوى ويرجع. ويؤوده: يثقل عليه أن يأتيها مخفقا، أى خاليا. وتصاخبه: تخاصمه وتصيح به.

(٣٥) تدلى: نزل. الغليل: العطش الشديد. والقانص. ويواثبه: يبادره وينقض عليه.

(٣٦) اللبات: وسط الصدر والمنحر. انصاع: رجع مسرعاً. والموت كاربه: أراد أن أسباب الموت قد وقعت به واشتدت عليه.

(٣٧) ردعن: رددن وأوقفن. والنضى: ما بين العاتق إلى الأذن. وعامداه: أراد حجرين اعتمد عليهما حين غلبه الموت، وهو مأخوذ من عمدت المريض إذا جعلت بجانبيه وسادتين يعتمد عليهما لأنه لا يستطيع الجلوس. الشاخب: الحجر الذى صادف عنقه فجرحه فى وريده.

(٣٨) تناسبه: تكون له ذات نسب فهى لا تضره. (٣٩) الجنائب: جمع جنوب، بمعنى رابح الجنوب.

إذَا الْمُجْدُ الْمَحْرُومُ ضَمَّتْ حِبَالُــــهُ
حَبَائِلَهُمْ سِيقَتْ إِلَيْهِ رَغَائِبُهْ(٤٠)
وَيَوْمٍ عَــــبُـــورِى طَغَا أَوْ طَغَا بِهِ
لَظَاهُ فَمَا يَرْوَى مِنَ الْمَــاءِ شَارِبُهْ(٤١)
رَفَعْتُ بِهِ رَحْلِى عَلَى مُتَخَطْرِفٍ
يَزِفُ وَقَدْ أَوْفَى عَلَى الْجِذْلِ رَاكِبُهْ(٤٢)
وَأَغْبَرَ رَقَّاصِ الـــــشُّخُوصِ مَضَلَّةٍ
مَوَارِدُهُ مَجْهُولَةٌ وَسَبَاسِبُهْ(٤٣)
لأَلْقَى بَنِى عَيْلَانَ، إِنَّ فَعَالَهُمْ
تَزِيدُ عَلَى كُلِّ الْفَعَالِ مَرَاكِـــبُهْ(٤٤)
أُلاكَ الأُلَى شَــقُّوا الْعَمَى بِسُيُوفِـــهِمْ
عَنِ الْغَىِّ حَتَّى أَبْصَرَ الْحَقَّ طَالِبُهْ(٤٥)
إِذَا رَكِبُوا بِالْمَشْرَفِيَّةِ وَالْقَنَا
وَأَصْبَحَ مَرْوَانٌ تُعَدُّ مَوَاكِبُهْ(٤٦)
فَأَىُّ امْرِئٍ عَاصٍ وَأَىُّ قَبِيــــــلَةٍ
وَأَرْعَنَ لاتَبْكِى عَلَيْهِ قَرَائِبُهْ(٤٧)

---

(٤٠) المجحد: اسم فاعل من أجحد الرجل، إذا ذهب ماله.

(٤١) العبوري: الطويل. نسبة إلى العبور، وهو الرجل، ولعله أراد بقوله: «يوم عبوري»: أنه شديد الحر وصفه بقوله: «طغا به لظاه»!

(٤٢) المتخطرف: الواسع الخطوات (يعنى الجمل) ويزف: يسير سيراً كسير النعام فى السرعة. والجذل: الجبل، أى أن راكبه كالجبل فى ارتفاعه.

(٤٣) أغبر أى مكان كثير التراب والغبار، «ورقاص الشخوص»: أراد السراب لأن الناظر إليه يتخيل أن الشخوص ترقص فيه! والمضلة: ما يضل فيه السائر!

(٤٤) الفعال: الفعل الحسن خاصة. والمراكب: عظائم الأمور. يقال يركب المركب الصعب.

(٤٥) «أولاك»: لغة فى أولئك. (٤٦) المشرفية: السيوف. والقنا: الرماح.

(٤٧) الأرعن الجيش العظيم، وهو هنا يعنى الأحمق الذى دفعته حماقته إلى حرب الممدوح.

وَسَامٍ لِمَرْوَانٍ وَمِنْ دونه الشـــجـــا

وهول كلُجِّ البحـر جاشت غواربه(٤٨)

أحلّت بـه أُمُّ المنـايا بنَاتِهـــــــا

بأسيـافنا، إنا ردَى من نحـاربه(٤٩)

وَمَازَالَ منّا مُمْسِكٌ بمَدينة

يُرَاقِبُ أَوْ ثَغْرٍ تُخَافُ مَرَازِبُهْ(٥٠)

إذا الْمَلكُ الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ

مَشَيْنَا إلَيْهِ بالــــــسُّيوفِ تُعَاتِبُهْ(٥١)

وَكُنَّا إذَا دَبَّ الْعَدُوُّ لسُخْطنَا

وَرَاقَبَنَا فـــــى ظَاهِرٍ لا نُرَاقِبُهْ(٥٢)

رَكِبْنَا لَهُ جَهْراً بِكُلّ مُثقّفٍ

وَأَبْيَضَ تَسْتَسْقِى الـدِّمَاءَ مَضَارِبُهْ(٥٣)

وَجَيْشٍ كَجُنْحِ اللَّيْلِ يَرْجُفُ بـالْحَصَى

وَبِالـــــشَّوْلِ وَالْخَطِّىِّ حُمْرٌ ثَعَالِبُهْ(٥٤)

غَدَوْنَا لَهُ وَالــــشَّمْسُ فـــى خِدْرِ أُمِّهَا

تُطَالِعُنَا وَالــــــطَّلُّ لَمْ يَجْرِ ذَائِبُهْ(٥٥)

---

(٤٨) السامى: القاصد بعداوة، كأنه يرتفع لينال ما يطلبه. والشجا: ما يعترض فى الحلق من عظم. شبه به الصعاب التى تعترض من يعادى ممدوحه.

(٤٩) جعل للمنايا أما وجعل لها بنات.

(٥٠) المرازب: جمع مرزبان وهو الرئيس.

(٥١) «صعر خده»: أماله عن وجهة الناس تهاوناً واستكبارا.

(٥٢) دب: مشى مستخفيا. راقبنا: حاذرنا.

(٥٣) المثقف الرمح المقوم. والأبيض: السيف.

(٥٤) الرجيف: صوت الرعد. يزحف يهجم. الحصى: العدد الكثير. والخطى: الرمح. والثعالب وهو طرف الرمح الداخل فى حديدة السنان.

(٥٥) قوله: «والطل لم يجر ذائبه» يريد به أنهم غدوا إليهم مبكرين.

بِضَرْبٍ يَذُوقُ الْمَوْتَ مَنْ ذَاقَ طَعْمَهُ
وَتُدْرِكُ مَنْ نَجَّى الْفِرَارُ مَثَالِبُهْ

كَـــأَنَّ مُثَارَ الـنَّقْعِ فَوْقَ رُؤُسِهِمْ
وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهْ(٥٦)

بَعَثْنَا لَهُمْ مَوْتَ الْفُجَاءَةِ إِنَّنَا
بَـــنُو الْمُلْكِ خَفَّاقٌ عَلَيْنَا سَبَائِبُهْ(٥٧)

فَرَاحُوا: فَرِيـــقاً فِـــي الإِسَارِ وَمِثْلُهُ
قَتِيــلٌ وَمِثْلٌ لاذَ بِـــالْبَحْرِ هَارِبُهْ(٥٨)

وَأَرْعَنَ يَغْشَى الـــشَّمْسَ لَوْنَ حَدِيـــدِهِ
وَتَخْلَسُ أَبْصَارَ الْكُمَاةِ كَتَائِبُهْ(٥٩)

تَغَصُّ بِهِ الأَرْضُ الــــفَضَاءُ إِذَا غَدَا
تُزَاحِمُ أَرْكَانَ الْجِـــبَالِ مَنَاكِبُهْ(٦٠)

كَـــأَنَّ جَنَابَاوَيْهِ مِنْ خَمَسِ الْوَغَا
شَمَـــامٌ وَسَلْمَى أَوْ أَجَىً وَكَوَاكِبُهْ(٦١)

تَرَكْنَا بِهِ كَلْبـــــاً وَقَحْطَانَ تَبْتَغِي
مُجِيـــراً مِنَ الْقَتْلِ الْمُطِلِّ مَقَانِبُهْ(٦٢)

أَبَاحَتْ دِمَشْقـــاً خَيْلُنَا حِينَ أُلْجِمَتْ
وَآبَتْ بِهَـــا مَغْرُورَ حِمْصٍ نَوَائِبُهْ(٦٣)

---

(٥٦) النقع: غبار الحرب.
(٥٧) السبائب: جمع سبية وهى الشقة من الثوب وأراد بها الرايات.
(٥٨) المراد بالبحر: نهر الفرات.
(٥٩) الأرعن: الجيش الكثير العدد.
(٦٠) المناكب: النواحي.
(٦١) الجناباوان: ثنية جنابي (بالقصر) وهي ناحية الوادي والطريق، ويريد بها هنا ميمنة الجيش وميسرته، الخميس يتكون من خمس فرق، وقد خففه للضرورة بحذف يائه وشمام: اسم جبل.
(٦٢) المقانب: جماعات من الخيل تجتمع للغارة. المقانب: مخالب الأسد.
(٦٣) دمشق: قاعدة بلاد الشام المعروفة. «مغرور حمص»: أراد به ثابت بن نعيم الجذامي.

وَنَالَتْ فِلَسْطِيـــــنــــاً فَعَرَّدَ جَمْعُهَا

عَنِ العَارِضِ المُسْتَنِّ بالمَوْتِ حَاصِبُهْ(٦٤)

وقَدْ نَزَلَتْ مِنَّا بِتَدْمُرَ نَوْبَةٌ

كَذَاكَ عُرُوضُ الـشَّرِّ تَعْرُو نَوَائِبُه(٦٥)

تَعُودُ بِنَفْسٍ لاَ تَزِلُّ عَنِ الـــــهُدَى

كـــمـــا زَاغَ عَنْهُ ثَابِتٌ وأَقَارِبُهْ(٦٦)

دعَا ابْنَ سِمَاكٍ لِلْغَوايـــــــةِ ثَابِتٌ

جِهَاراً وَلَمْ تُرْشِدْ بَنِيـــــهِ تَجَارِبُهْ(٦٧)

وَنَادَى سَعِيـــــداً فَاسْتَصَبَّ مِنَ الشَّقَا

ذَنُوباً كـــمـــا صُبَّتْ عَلَيْهِ ذَنَائِبُهْ(٦٨)

وَمِنْ عَجَبٍ سَعْيُ ابْنِ أَغْنَمَ فِيـــهِمُو

وَعُثْمَانَ، إِنَّ الـــدَّهْرَ جَمٌّ عَجَائِبُهْ(٦٩)

وَمَا مِنْهُمـــــــا إلا وَطَارَ بِشَخْصِه

نَجِيـــبٌ وَطَارَتْ لِلْكِلاَبِ رَوَاجِبُهْ(٧٠)

أَمَرْنَا بِهِمْ صَدْرَ الـنَّهـــــارِ فَصُلِّبُوا

وَأَمْسَى حَمِيـدٌ يَنْحِتُ الْجِذْعَ صَالِبُهْ(٧١)

وَنَاطَ ابْنَ رَوْحٍ لِلْجَمَاعَةِ إِنَّهُ

زَأَرْنَــا إِلَيْهِ فـــاقْشَعَرتْ ذَوَائِـبُهْ(٧٢)

---

(٦٤) عرد: هرب.

(٦٥) تدمر: مدينة قديمة بناها أذينة ملك النبط.

(٦٦) تعود:: تنتاب.

(٦٧) ثابت: هو ابن نعيم الجذامي. وهو أحد من صلبهم مروان على باب دمشق.

(٦٨) الذنوب: الدلو.

(٦٩) عثمان: هو عثمان بن سعيد بن هشام.

(٧٠) الرواجب: جمع راجبة، وهى المفاصل.

(٧١) «ينحت الجذع صالبة»: أراد أن صلبه قريب.

(٧٢) الذوائب: شعر الرأس.

وبِالْكُوفَةِ الْحُبْلَى جَلَبْنَا بِـــخَيْلِـــنَا
عَلَيْهِمْ رَعِيـــلَ الْمَوْتِ إنّا جوَالِبُهْ(٧٣)
أَقَمْنَا عَلَى هـــذَا وَذَاكَ نِسَـــاءَهُ
مآتـــمَ تَدْعُـــو لِلْبُكَـــا فتُجَـــاوبُهْ(٧٤)
أيَامَى وَزَوْجَاتٍ كَـــــــأَنّ نِهاءَهَا
عَلَى الْحُزنِ أَرْءَامُ الْمَلا وَرَبَارِبُهْ(٧٥)
بَكَيْنَ عَلَى مِثْلِ الـــسِّنَانِ أصَـــابَهُ
حِمَـــامٌ بِأَيْدِيـــنَا فَهُـــنَّ نَـــوَادِبُـــهُ
فَلَمَا اشْتَفَيْنَا بِالْخَلِيـــــــفَةِ مِنْهُمُـــو
وصَـــالَ بِنَا حَتّـــى تَقَضّـــتْ مَآرِبُـــهُ
دَلَفْنَا إلَى الـضّحّاكِ تَصْرِفُ بِالـرّدَى
ومَرْوَانَ تَدْمَى مِنْ جُذَامٍ مَخَالِبُهْ(٧٦)
مُعِدِّينَ ضِرْغَامـــاً وَأَسْوَدَ سَالِخـــاً
حُتُوفـــاً لِمَنْ دَبّتْ إلَيْنَا عَقَارِبُهْ(٧٧)
ومَا أَصْبَـــحَ الـضّحّـــاكُ إلا كَثَابِـــتٍ
عَصَانَـــا فَـــأَرْسَلْنَا الْمَنِيَّةَ تَادِبُـــهْ(٧٨)

(٧٣) «وبالكوفة الحبلى..»: لعله يريد أنها مسكونة بأهل الفتن والشقاق.
(٧٣)المآتم: جمع مأتم، وهو مجمع النساء مطلقاً فى الخير والشر.
(٧٥) النهاء: جمع نهية. وهى الناقة السمينة: ويريد بها هنا حسان النساء.
(٧٦) دلفنا: تقدمنا.
(٧٧) الضرغام: الأسود، والأسود: الثعبان.
(٧٨) تادبه: أى تدعوه إلى المأدبة، يتهكم به.

٢ ـ وقال أيضاً(*)

يَا مَنْظَــــرَاً حَسَنَــــاً رَأَيْتُــــه مِــنْ وَجْــهِ جَــارِيَةٍ فَدَيْتُــهْ(١)
لمعَــــتْ إِلَــــيَّ تَسُــــومُنِي لَعِــبَ الــشَّبَابِ وَقَدْ طَوَيْتُهْ(٢)
وَتَقُــــولُ: إِنَّــــكَ قَدْ جَفَــــوْ تَ وَكُنْتَ لِي شَجَنَــاً حَوَيْتَــهْ
فَــــأُرِيدُ صَرْمَــكَ تَــارَةً وَإِذَا ارْعَــوَى قَلْبِــي نَهَيْتُــهْ
وَأَرَى عَلَيْــــكَ مَهَــــابَــةً وَيَحِـــلُّ ذَنْبُــكَ لَوْ بَغَيْتُـــهْ
ثُـــمَّ اعْتَذَرْتَ مِنَ الــصُّدُو دِ فَمَا سَخِطْتُ وَمَــا ارْتَضَيْتُــهْ
يَا سَــلْمُ طَــابَ لَكِ الْفُـــؤَا دُ وَعَزَّ سُخْطُكِ فَــاحْتَمَيْتُــهْ
وَالــلَّهِ رَبِّ مُـــحَـــمَّـــدٍ مَــا إِنْ غَــدَرْتُ وَلاَ نَوَيْتُــهْ(٣)
أَمْسَكْتُ عَنْــكِ وَرُبَّمَـــــا عَــرَضَ الْبَــلاَءُ وَمَا بَغَيْتُــهْ(٤)
إِنَّ الْخَلِيـــــفَةَ قَــدْ بَغَـــا وَإِذَا أَبَـــى شَــيْئَاً أَبَيْــتُهْ(٥)
وَمُخَضَّـــبٍ رَخْـــصِ الْبَنَـــا نِ بَكَـــى عَلَـــيَّ وَمَا بَكَيْتُــهْ(٦)
وَدَعَـــانِي الرَّشَــأُ الْغَـــرِ يرُ إِلَـى اللِّعَـــابِ فَمَـا أَتَيْتُــهْ(٧)
وَلَقَــــدْ أَخَـــذْتُ مِنَ الــصَّفَا مَا فِــي الضَّمِيـــرِ وَقَدْ لَوَيْتُــهْ(٨)

(*) كان المهدى نهى بشارا عن الغزل والتشبيب. فقال هذه القصيدة.
(١) النداء هنا للتعجب.
(٢) لمعت: ظهرت، وتسومني: تعرض على. من قوله سام السلعة، إذا عرض على بائعها ثمناً لعب الشباب: لهوه وهزله، طويته: تركته وألغيته.
(٣) «ولانويته»: أراد أظهرت عدم ذكرك.
(٤) «أمسكت عنك»: أراد أظهرت عدم ذكرك.
(٥) بغا: ابتغى.
(٦) مخضب: ذو خضاب. رخص البنان: أى أصابعه لينة ناعمة.
(٧) الرشأ: ولد الظبى إذا قوى ومشى، الغرير: الحسن الأبيض ذو الغرة، أو هو الناشئ الذى لا تجربة له. واللعاب: الملاعبة.
(٨) يريد أنه على الرغم من صدق حبه لصاحبته فهو يمطله كما يمطل المدين الدائن، طاعة للخليفة.

وبشوقني بيتُ الحبيب إذا غدوتُ ، وأين بيتُه؟
قام الخليفة دونه فصبرت عنه وما قليته(٩)
ونهاني الملكُ الهُمَا م عن النساء وما عصيته(١٠)
لا بل وفيت ولم أضع عهداً ولا وأياً وأيته(١١)
وأنا المطلُّ على العدى وإذا غلا علق شريته(١٢)
أصفي الخليل إذا دنا وإذا نأى عنى رأيته(١٣)
وأميل في أنس النديم من الحياء وما اشتهيته(١٤)
حال الصفاء على الصفا ء ولم يكن عوداً بريته(١٥)
فالأمر غير مقصر لو خفت صاحبي اتقيته

٢ ـ وقال أيضاً

ألا يا خاتم الملك الذي أملك لو نلته(١٦)
فؤادي بك مجنون ولو أسطيع سلسلته(١٧)
وقد أمسكت معرو فك عندي حين أملته(١٨)
لقد نحيتني عنك بداء منك حملته(١٩)

(٩) «قام الخلفة دونه»: حال الخليفة دون حبه.
(١٠) يشير إلى تحذير الخليفة له بعدم الغزل في النساء.
(١١) الوأي: الوعد.
(١٢) شرينه: اشتريته.
(١٣) أي رأيته في الحلم: اصفى الخليل: أي أخصه بالمودة وأخلصها له.
(١٤) يريد: أجاري نديمي وإن كنت غير مشته للمنادمة.
(١٥) «ولم يكن عودا بريته» : أراد أن الصفاء ليس أمراً هيناً على نفس صاحبه يسهل عليه التحول عنه.
(١٦) «الذي أملك لونلته»: يشبه صاحبته في حسنها ونفاستها بخاتم الملك الذي يتبوأ صاحبه أعلى مراتب الحياة.
(١٧) سلسلته: قيدته.
(١٨) عندي: عني.
(١٩) الداء: أراد به الهوى.

وَمَا بَاتَ شَجِيُّ الْقَلْبِ مُشْتَاقٌ كَمَا بِتُّهْ
أُقَــاسِي بِكِ تَسْهِيــداً وَلَوْ أَسْطِيــعُ حوَّلْتُه(٢٠)
وَلا والــلَّه لَوْ حَمَّلْتَنِي سِرَّك مَا خُنْتُهْ
رَأَيْتُ الـصَّبْرَ عَنْ وَجْهِك لا يَكْفِي وَقَدْ رُمْتُهْ
وَإِنِّي لَرَقِــيقُ الْقَلْبِ لِلْمَشْغُوفِ إِذْ كُنْتُهْ
أُحَيِّيــــه وَأُدْنِيـــــه وَإِن لامَ وَإِنْ لُمْتُهْ
بَرَانِي حُبُّكِ الْمَكْنُو نُ فِي الأَحْشَاءِ إِذْ صُنْتُهْ
وَمَا ذِكْرُك إِلا الـــسِّحْرُ كَالـــــسِّحْرِ عَلِقْتُهْ
وَأَنْتِ الْحَجَرُ الأَسْوَ دُ لَوْ يَخْلُو لَقَبَّلْتُهْ
أَمَا يَنْفَعُنِي عِنْدَ كِ قَوْلٌ مُعْجِبٌ قُلْتُهْ
وَصَوْمِي لَكِ عَنْهُـــنَّ وَلَوْلاَ أَنْتِ مَا صُمْتُهْ
فَــــإِنِّي كُلَّمَا اشْتَقْتُ إِلَى وَجْهِك صَوَّرْتُهْ
أُنَاجِي شَبَهــاً مِنْك عَلَى التُّرْبِ إِذَا اشــتَقْتُهْ
فَيَا وَاهــاً لَهُ والــلَّه وَجْهــاً حِينَ شَبَّهْتُه!
حَبِيـــبٌ خُطَّ فِي الـــتُّرْابِ وَمَا زَارَ وَمَا زُرْتُهْ
لَقَدْ فَدَّيْتُهُ أَلْفــــاً وَلَو كَلَّمَنـــي زِدْتُهْ

---

(٢٠) التسهيد: من قولهم سهده . أي أرقه .

٤ ـ وقال أيضاً

بِأَبــــــي وأُمِّي مَنْ يُقَارِبُنــــــي
فيمَــــــــــــا أَقُولُ وَمَنْ أُقَارِبُهُ(١)

عَجِلُ المَلاَمــــــةِ حــــــينَ أُغْضِبُهُ
فـــــــــــــإذَا غَضِبْتُ يَلِينُ جَانِبُهُ

دَلاٌّ عَلَـــــــــــــــيَّ وَعَادَةٌ سَبَقَتْ
أَنْ سَوْفَ إِنْ أَغْضَى أُعَاتِبُهُ(٢)

فَيَبِيـــــــــــــتُ يَشْعَبُ صَدْعَ أُلْفَتِنَا
فَأَبِيـــــتُ بــــــالـــــعُتْبَى أُشَاعِبُهُ(٣)

إِنَّ المُحِبَّ تَلِينُ شَوْكَتُهُ
يَوْمــــــــــــاً إِذَا مَا عَزَّ صَاحِبُهُ(٤)

فَلَهُ عَلَيَّ وَإِنْ تَجَنَّبَنِي
مَا عِشْتُ أَنِّي لاَ أُجَانِبُهُ(٥)

رِيمٌ أَغَنُّ مُطَوَّقــــــــاً ذَهَبــــــاً
صِفْرُ الحَشَا بِيضٌ تَرَائِبُهُ(٦)

---

(١) يقاربني: يوافقني.

(٢) دلا: دلالا.

(٣) يشعب: يصلح. وصدع: شق أشاعبه: من المشاعبه: من المشاعبة. أى المشاركة فى رأب الصدع واصلاح ذات البين.

(٤) عقد فى البيت المثل القائل: «إذا عز أخوك فهن». يدعوها إلى الملاينة.

(٥) لا أجانبه: لا أباعده.

(٦) الريم: الظبى الخالص اللون حتى يصير إلى البياض والجمع أرءام. والأغن الذى يخرج صوته من خيشومه، وهو صوت الظبى، والصفر: الخالى. وأراد فراغ البطن من السمن، وهو من محاسن النساء، تشبيها لهن بالظباء.

آلَيْتُ لاَ أَسْلَى مودَّتَهُ

(لـــــو) مَا تَسلَّى الماءَ شَارِبُهُ(٧)

أُخْفِي لَهُ - الـــرَّحْمـــنُ يَعْلَمُهُ ـــ

حبّاً يؤرِّقُنـــــــــي غَوَارِبُهُ(٨)

مِنْ كـلِّ شَاغـــــــفَةٍ إذَا طَرَقَتْ

طَرَقَ المُحِبُّ لَهَا طَبائِبُهُ(٩)

نَقْضِي سَوَادَ الـلَّيْلِ مُرْتَفِقـــــــاً

مَا تَنْقَضِي مِنْهـــا عَجَائِبُـــهُ(١٠)

يـــــــــأَيُّهَا الآسِي كُلُّومِ هَوىً

بالـــــــنَّأْيِ إذْ دَلَفَتْ كَتَائِبُهُ(١١)

أَنَّى نَوَالُكَ مِنْ تَذَكُّرِهَا

والحُبُّ قَدْ نَشِبَتْ مَخَالِبُهُ(١٢)

أَلْمِمْ «بِعَبْدَةَ» قَبْلَ حَادِثَةٍ

فَهِيَ الـشِّفَــــــــاءُ وأَنْتَ طَالِبُهُ

تَمْشِي الـــــــهُوَيْنَى بَيْنَ نِسْوَتِهَا

مَشْيَ الـــنَّزِيـــفِ صَفَتْ مَشَارِبُهُ(١٣)

---

(٧) أسلى (بفتح اللام): لغة فى أسلو.

(٨) الغوارب: جمع غارب وهو الكاهل، وأراد شدته.

(٩) الشاغفة: النظرة التي تقع فى فى شغاف القلب.

(١٠) مرتفقا: ثابتا أو ممتلئا، وأراد أنه ليل طويل شديد السواد.

(١١) الآسي: المداوى. كلوم: جمع كلم. وهو الجرح. والنأى: البعد. ودلفت: تقدمت. كتائبة: جماعاته.

(١٢) يريد أين يقع نوالك من تذكيرى.

(١٣) النزيف: المنزوف، أى الذى نزف ماء بئره، وهو أيضاً السكران الذى نزف عقله فلا يقوى على السير لكثرة ما شربه يشبه مشى المرأة بمشيه.

حـــــــــــــارَبْتَ صَبْراً إنَّ رُؤْيَتَهَا

عَلَقٌ بِقَلْبِكَ لاَ تُحَارِبُهُ(١٤)

جَلَبَتْ عَلَيْكَ وَأَنْتَ مُعْتَرَكٌ

والْحينُ تَجْلُبُه جوَالبُهُ(١٥)

فـكـأن لـيـلـك مـن تـذكّرِهـا

ليل السليم سـرت عـقـاربه(١٦)

فـتـركنهُ يُغـشى أخـاجدَثِ

تبكى لفـرقـتـه قـرائبـهُ(١٧)

رجل تُصـاحـبـه صـبـابتـهُ

وأرى الجـلادة لا تصـاحـبُه

«أعـبـيـد» قـد أثبـتّه بهـوىً

فى مُضـمـر الأحـشـاء لاهبُه(١٨)

والبـخل فى اللقـيـان قـاتلُه

والشـوق فى الهـجـران كـاربُه(١٩)

مـيلى إليـه فـقـد صـفـا لكُم

يا «عـبـدَ» شـاهدُهُ وغـائبُهُ(٢٠)

---

(١٤) العلق (بفتح العين): مصدر علق الشئ بالشئ. إذا نشب به ولزمه.
(١٥) المعترك: محل الحرب، شبه به نفسه.
(١٦) السليم اللديغ.
(١٧) فتركنه: أى العقارب. والجدث: القبر.
(١٨) أثبته: قيدته فى الثبات (على وزن كتاب)، وهو سير الجلد يشد به الأسير والمسجون.
(١٩) اللقيان: اللقاء. (٢٠) صفا: مال.

٥ ـ وقال أيضاً فى صاحبته «حبى» الملقبة بخاتم الملك:

عَدِمْتُكَ عاجلاً يا قَلْبُ قَلْبَا
أتَجْعَلُ مَنْ هَوِيتَ عَلَيْكَ رَبّا؟(١)

بِأَيِّ مَشُورَةٍ وَبِأَيِّ رَأْيٍ
تُمَلِّكُهَا وَلاَ تَسْقِيكَ عَذْبا؟

تَحِنُّ صَبَابَةً فى كُلِّ يَوْمٍ
إلَى «حُبِّى» وَقَدْ كَرَبَتْكَ كَرْبا

وَتَهْتَجِرُ النِّسَاءَ إلَى هَوَاهَا
كَأَنَّكَ ضَامِنٌ مِنْهُنَّ نَحْبَا(٢)

أَمِنْ رَيْحَانَةٍ حَسُنَتْ وَطَابَتْ
تَبِيتُ مُرَوَّعاً وَتَظَلُّ صَبّا؟

تَرُوعُ مِنَ الصِّحَابِ وَتَبْتَغِيهَا
مَعَ الوَسْوَاسِ مُنْفَرِداً مُكِبَّا(٣)

كَأَنَّكَ لاَ تَرَى حَسَناً سِوَاهَا
وَلاَ تَلْقَى لَهَا فِى النَّاسِ ضَرْبَا(٤)

وَكَمْ مِنْ غَمْرَةٍ وَجَوَازِ فَيْنٍ
خَلَوْتَ بِهِ فَهَلْ تَزْدَادُ قُرْبا؟(٥)

(١) عدمتك: دعاء على قلبه.
(٢) النحب: الموت.
(٣) تروع: من الروع والارتياع بمعنى الفزع.
(٤) الضرب: المثل والشبيه، وهو أيضاً: الشكل فى القد والخلق.
(٥) الجواز: صك المسافر ليمر به في البلاد، والفين: المجئ، وأراد إذنها له بالزيارة.

بكَيْتَ مِنْ الـــــــهوَى وَهَوَاكَ طِفْلٌ

فَوَيْلَكَ ثُمَّ وَيْلَكَ حِنَ شَبّاً!

إذَا أصْبَحْتَ صَبَّحَــــكَ الـــتّصَابِى

وأطْرَابٌ تُصَبُّ عَلَيْكَ صَبّاً

وتَمْسِى وَالمَسَاءُ عَلَيْكَ مُرٌّ

يُـقَلِّبُـكَ الـهـوَى جَنْبـــاً فَجَنْـبَـاً

أَظُنُّكَ مِنْ حِذَارِ الـبَيْنِ يَـوْمـــــــاً

بِدَاءِ الحُبِّ سَوْفَ تَمُوتُ رُعْبَاَ

أَتُظْهِرُ رَهْــبَةً وَتُـسِرُّ رَغْبـــــــاً

لَقَـدْ عَذَّبَتَنِـي رَغْبـاً وَرَهْبَاً(٦)

فَمَا لَكَ فِى مَوَدّتِهَا نَصِيـــــــبٌ

سِوَى عِدَةٍ فَخُذْ بِيَدَيْكَ تُرْبَاَ

إذَ وُدٌّ جَفَا وَأَرَبٌ وُدٌّ

فَجَانِبْ مَنْ جَفَاكَ لِمَنْ أَرَبَّا(٧)

وَدَعْ شَغْبَ الـــبَخِيـــلِ إذَا تَمَادَى

فَإنَّ لَهُ مَعَ المَعْرُوفِ شَغْبَاَ

وَقَالَتْ: لاَ تَزَالُ عَلَىَّ عَيْنٌ

أُرَاقِــبُ قَيِّمـاً وَأَخَافُ كَـلْبَـاَ

---

(٦) رغبا: حبا وميلا إليها.

(٧) أرب: لزم وقرب والود فى البيت: بمعنى المحب.

لَقَدْ خَبَّتْ عَلَيْكَ وَأَنْتَ ساهٍ
فَكُــنْ خَبّــا إِذَا لاقَيْتَ خَبَّــا[8]
وَلاَ تَـغْـرُرْكَ مَـوْعِـــدَةٌ لِحُـبِّـى
فَإِنَّ عِدَاتِهَا أَنْزَلْنَ جَدْبَا
أَلا يَاقَلْبُ هَلْ لَكَ فِي الــــتَّعَزِّى؟
فَقَــدْ عَذَّبْتَنِى وَلَقِيــتُ حَسْــبَا
وَمَا أَصْبَحْتَ تَأْمُلُ مِنْ صَدِيـــــقٍ
يَعُدُّ عَلَيْكَ طَوْلَ الحُبِّ ذَنْبَا؟
كَأنَـكَ قَـدْ قَتَلْتَ لَـهُ قَتِيــــلاً
بِحُبِّكَ أَوْ جَنَيْتَ عَلَيْهِ حَرْبَا!
رَأَيْتُ القَلْبَ لاَ يَأْتِى بِغَــــيْــــضاً
وَيُؤْثِــرُ بِالزِّيــارَةِ مَنْ أَحَبَّــــا

٦ ـ وقال أيضاً يرْثِى ابناً له أُصِيبَ به

أَجَارَتَنَا لاَ تَجْزَعِي وَأَنـــــــسِيبِى
أَتَانِـى مِـنَ المَوْتِ المُطِلِّ نَصِيــــبِى
عَلَى قَلْبِى وَعَيْنِى كَـــــــــــــأَنَّهُ
نَوَى رَهْنَ أَحْجَارٍ وَجَارَ قَلِيــــبِ[9]

(٨) الخب: المخادع الكثير الخداع.
(٩) القليب: القبر العميق.

كـــــأَنى غَريـبٌ بَعْدَ مَوْتِ «مُحَمَّدٍ»

وماَ المَوْتُ فِيــــنا بَعْدَهُ بِغَرِيــــب

صَبَرتُ عَلَى خَيْرِ الـــــفَتَو رُزِئْتُهُ

وَلَوْلا اتّقـــــاء اللّهِ طَاَلَ نَحِيـــــبى

لَعَمْرِى لَقَدْ دَافَعْتُ مَوْتَ «مُحَمَّدٍ»

لَوَ انَّ المَنَاَياَ تَرْعَوِى لِطـــــبِيــــب

وَمـــــــا جزَعِى مِن زَائلٍ عَمَّ فَجْعُهُ

ومِنْ وِرْدِ آبارى وقَصْدِ شَعِيبى؟ (١٠)

فَأَصْبَحْتُ أُبْدِى لِلْعُيُونِ تَجَلُّـــــــداً

وَيـــــاَلَكَ مِنْ قَلْبٍ عَلَيْهِ كَئِيــــب!

يُذَكّرنــــــــــــى نَوْحُ الحَمَامِ فِرَاقَهُ

وإرْنَانُ أَبْكَارِ الـــــنِّسَاءِ وثِيــــب(١١)

وَلِى كلَّ يَوْمٍ عَبْرَةٌ لاَ أُفِيـــــضُهـــــا

لأَحْظَى بِصَبْرٍ أَوْ بِحَطِّ ذُنُوب

إلَى اللّهِ أَشْكُو حَاَجَةً قَدْ تَقَادَمَتْ

عَـلَى حَدَثٍ فِى الـقَلْبِ غَيْرِ مُرِيـب

دَعَتْهُ المَنَايــــــا فَاسْتَجَابَ لِصَوْتِهَا

فَلِلّهِ مِن دَاعٍ دَعَا ومُجِيـــــــــب

(١٠) ما: استفهام انكارى، أراد: كيف أجزع من الموت وهو غايتى، والشعيب: مزادة الماء.

(١١) الإرنان: الصياح.

أَظَلُّ لأَحْدَاثِ المَنُونِ مُرَوَّعـــــــاً
كــــــأَنَّ فُؤادِى فـى جنَاحِ طَلُوبِ
عَجِبْتُ لإِسْرَاعِ المنيـــة نحـــوه
ومــا كــان لو مُلِّيتَه بعـجـيب[١٢]
رُزِئْتُ بُنَيـــــىَّ حينَ أَوْرَقَ عُودُه
وأَلْقَى علَىَّ الهـــمُّ كـــلُّ قَريـــب
وقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَكُونَ «مُحَمَّدٌ»
لَنَا كَافِيــــــاً مِنْ فَارِسٍ وَخَطِيـبِ
وكَانَ كَرَيْحَانِ الــــــعَرُوس بقَاؤُهُ
ذَوَى بعْدَ إِشْرَاقِ الغُصُونِ وَطِيبِ[١٣]
أَغَــرُّ طَويــلُ الــسَّاعِدَيْنِ سَــمَيْذَعٌ
كَسَيْفِ المُحَامِى هُزَّ غَيْرَ كَذُوبِ[١٤]
غَدَا سَلَفٌ مِنَّا وَهَجَّرَ رائــــــــحٌ
عَلَى أَثَرِ الــغَادِيــنَ قَوْدَ جَنِيــبِ[١٥]
ومَا نَحْنُ إلا كَالْخَلِيـــطِ الَّذِى مَضَى
فَرَائـس دَهْرٍ مُخْطِىءٍ ومُصِيـبِ[١٦]

(١٢) مليته، بضم الميم: منعت به.
(١٣) بعد إشراف الغصون: أى ارتفاعها.
(١٤) السميذع: السيد الكريم.
(١٥) الغدو: السير فى الصباح، والتهجير: السير فى وقت الهاجرة، وقوله: «قود جنيب»: أراد يقادون متقاربين كما يقاد الفرس الجنيب، وهو الذى يسير بجنب فرس آخر.
(١٦) الفرائس: جمع فريسة. الخليط: المخالط أو المخالطون.

نُؤَمِّلُ عيْشـــاً فِي حيَاةٍ ذَميـــمَةٍ

أَضرَّتْ بـــأَبْدَانٍ لـــنَا وقلُوبِ

ومَا خَيْرُ عيْش لاَ يزَالُ مُفَجعاً

بِـمـوْتِ نَعِيمٍ أَوْ فِـــرَاقِ حبـيـبِ؟

إذَا شئْتُ رَاعتْنِي مُقِيــمـــاً وظَاعِناً

مَـــصَـــارِعُ شبَّانٍ لـــدَىَّ وشِيــب

٧ ـ قال بشار يهجو أبا جعفر المنصور(*) :

أبا جعَـــفـــرٍ مـــا طُولُ عـــيش بدائم

وَلاَ سَالِمٌ عمَّا قَليـلٍ بِســــــــــالِمِ

علـى الملك الجـــبّارِ يقَـــتحمُ الرّدى

ويَصـــرعـــهُ فـى المأزق المُتَلاَحِمِ[17]

كأَنَكَ لـم تـســـــــمع بـقَتْلِ مُتَوّجٍ

عظيم ولم تسـمع بفـتك الأَعـاجِمِ[18]

تقَسَّمَ كـــســـرى رَهطُهُ بســـيـوفـــهـم

وأمـــسى أبو الـعـبـاس أحـلامَ نَائم[19]

(*) فى عام ١٤٥هـ ثار العلويون بزعامة ابراهيم بن عبد الله. ولما كان بشار ناقما على العباسيين، صورت له نفسه نجاح الثورة العلوية فمدحه بهذه القصيدة التى يهجو فيها أبا جعفر المنصور، فلما فشلت الثورة ونجح أبو جعفر فى القضاء على أصحابه أحدث بشار تحريفا فى مطلع القصيدة فجعلها فى مديح أبى جعفر، ولكن جعفر فطن إلى صنيعه فأبعده عن ساحته.

(١٧) المأزق المتلاحم يعنى شدة الحرب وهولها.

(١٨) يعنى بقتل المتوج، مقتل الخليفة الأموى الوليد بن يزيد؛

(١٩) رهطه: قومه، ويعنى بكسرى، الخليفة العباسى، يشبهه به.

وقد كان لا يخشى انقلابَ مكيدةٍ

عليه ولا جرْى النحوس الأَشَائم(٢٠)

مقيماً على اللّذات حتى بَدَتْ لَهُ

وجوهُ المنايا حاسِراتِ العمائمِ(٢١)

وقد تَردُ الأَيّامُ غُرّاً ورُبَّمَا

وَرِدْنَ كُلُوحاً باديات الشكَائم(٢٢)

ومروانُ قد دارت على رأسه الرحى

وكان لِمَا أجْرَمتَ نَزْرَ الجرائمِ(٢٣)

فأصبحتَ تجرى سادرا فى طريقهم

ولا تَتّقى أشباهَ تلكَ النَّقائم(٢٤)

تَجَرَّدتَ لِلإِسلام تعفو سَبيلُهُ

وتُعرى مَطاهُ لِلّيُوثِ الضّراغِم(٢٥)

فَما زلتَ حتى استنصر الدينُ أهْلَهُ

عليك فَعَاذُوا بالسُّيوفِ الصوارم(٢٦)

فَرُمْ وَزَراً ينجيك يابنَ سَلاَمةٍ

فلست بناجٍ من مُضيمٍ وضائمِ(٢٧)

---

(٢٠) النحوس الأشائم: سوء الحظ المنذر بالشؤم والخراب.

(٢١) حاسرات العمائم: كناية عن السوء والشر.

(٢٢) الغر: المشرقة. وعكسها: الكلوح، أى الكابية المسودة، باديات الشكائم، كناية عن الإدبار والسوء.

(٢٣) مروان. يريد مروان الحمار آخر خلفاء بنى أمية الذى قتله أبو العباس السفاح فى مصر. ودوران الرحى على رأسه: يعنى الهزيمة التى لحقته والفناء الذى أصاب دولته.

(٢٤) سادرا: غير مبال.

(٢٥) تعفو سبيله: تمحو طريقه ومعالمه وسننه. تعرى مطاه: أى ظهره.

(٢٦) يعنى أهل الدين من العلويين.

(٢٧) الوزر: الملجأ. وابن سلامة: أبا مسلم الخرسانى.

لَحَا اللَّه قَومـــــاً رأســــوكَ عَلَيْهِمُ
وما زِلْتَ مَرءُوساً خبيثَ المَطَاعِمِ(٢٨)

أقـــــول لبســــامٍ عَلَيــــه جَلاَلَةٌ
غـــداً أريحــيّاً عَاشِقــاً للمكارِمِ(٢٩)

من الفـاطمـيِّينَ الدُّعـاة إلى الهُدى
جهاراً ومن يَهـديكَ مثلُ ابنِ فَاطمِ(٣٠)

سِراجٌ لعين المســـتــضىء وتَارَةً
يكـونُ ظَلامــــاً لِلعَـدُوِّ المُزَاحِـمِ

إذا بلـغ الـرأىُ المشُورةَ فـــــاستَعِنْ
برأى نَصــيحٍ أو نَصــيحةِ حَازِمِ

ولا تَجــعَلِ الشُّورى عليك غَضَاضَةً
فإنَّ الخَوافــــى قُوَّةٌ لِلـــــقَوَادِمِ(٣١)

وَمَا خَيــرُ كَفٍّ أمــسكَ الغُلُّ أخْتَهــا
ومــا خَــيـرُ سـيفٍ لَمْ يُؤَيَّدْ بقَائمِ(٣٢)

وَخَلِّ الهُوَينا للضـــعــيفِ ولاَ تَكُنْ
نَؤُومــــاً فـــإنَّ الحَزمَ ليس بنَائمِ

وحَارِبْ إذا لــــم تُعــطَ إلاَّ ظُلاَمَةً

---

(٢٨) لحا: قبح.

(٢٩) يعنى بالبسام الذى أضاف إليه عددا من الصفات، إبراهيم بن عبد الله.

(٣٠) ابن فاطم: الأصل فرخم الاسم بحذف الفاء.

(٣١) الخوافى: الريش الصغير تحت الجناح. والقوادم: الريش الكبير فى الطائر.

(٣٢) الغل: الحديد التى تضم يد الأسير إلى عنقه.

شَبَا الْحَرْبِ خَيْــرٌ من قَبُولِ المَظَالِمِ

وأدْنِ على القُرْبى المقَــرِّبَ نَفْــسَهُ

وَلاَ تُشْهِدِ الشُّورى امْرءاً غَيْــرَ كَاتِمِ

فَإنَّكَ لاَ تَسْـــتَطْرِدُ الـهَمَّ بِالمُنـى

وَلا تَبْلُغُ العُلْيَا بِغَـــيْــرِ المكارِمِ

إذا كنتَ فَــرْداً هَرَّكَ القَــومُ مُقْـبِـلاً

وإن كُــنْــتَ أدنَــى لَــم تَفُزْ بَالـعَزَائِمِ

ومَا قَرَعَ الأَقْـــوامَ مِثْـــلُ مُشَيَّعٍ

أريبٍ وَلا جَلَّى العَمَى مِــثْلُ عَالِمِ

الحسين بن مطير الأسدى
(ت ١٧٠هـ)

هو الحسين بن مطير بن مكمل مولى بنى أسد بن خزيمة، وكان جده مكمل عبدا فأعتقه مولاه.

والشاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وكان ينزل بموضع يقال له: زُبالة وهو بطريق مكة من الكوفة. وقد مات سنة ١٧٠هـ. بعد أن تقدمت به السن وأدرك السبعين أو جاوزها قليلا.

وهو من شعراء البادية الذين ابتعدوا عن حياة العاصمة وأضوائها والصراع القائم بين الشعراء طلبا للشهرة والمجد وعطايا الخلفاء والأمراء.

ويمتاز شعره بالبداوة الظاهرة فى تعبيراته وأخيلته والصور المتناثرة فيه، ويبدو ذلك بوضوح فى وصفه للأطلال البالية ووقوفه عليها ، والديار الخالية التى غيّرتها الرياح الهوجاء وتقادم الزمن فصارت مرتعا للظباء ووكرا للغربان.

كما يظهر ذلك أيضاً فى صورة البدوية المستوحاة من بيئة الصحراء ومشاهدها كوصفه لحمر الوحش حين تتوقف فزعة واجمة حين يهطل المطر والرعد يشتد صوته فلا تجد مأوى تلوذ به. وهو عندما يصف هزيم الرعد يشبهه بأصوات الحجيج فى ضجيجها وقوتها، وأصوات الحيوان المفارق لولده من الظباء وغيرها.

ويتضح ذلك من وصفه الدقيق للإبل التى تلقى بولدها قبل أوانه، فتمزق السباع ذلك الجلد الرقيق الذى يخرج ملفوفا به من بطن أمه، حتى أنه ليشبه ثوباً يمانيا مضرجا.

فهذه الصورة المسرفة فى البداوة فلما تتاح إلا لشاعر أقام بالبادية، وتأثر بما فيها من أنواع الحياة، كما تدل على طول صحبة لحيوان البادية وملاحظة بارعة ذكية لحياته وصفاته وأطواره.

وقد أعجب النقاد القدامى بشعر الحسين بن مطير، وخصائصه البدوية، فقد روى ابن المعتز (فى طبقات الشعر) (١١٤) عن التوّزى إنه قال: «قلت لأبى عبيدة: ما تقول من شعر ابن مطير؟ قال: إنه ليقع من شعره الشئ بعد الشئ، فيكثر تعجبى من كثرة بدائعه، فإذا لقيته فأعلْمه أن شعره من أعجب الشعر إلىّ».

كما يقول الحصرى القيروانى (زهر الآداب ٢/ ٩٨٠) فى بداوة شعر الحسين بن مطير، وكثر غريبه «الحسين قوى أسر الكلام، جزل الألفاظ شديد العارضة».

قال الحسين بن مطير
فى وصف السحاب والمطر

قال ابن قتيبة (فى الشعر والشعراء ١/ ٩٠): «قال الرياشى: حدثنى أبو العالية. عن أبى عِمْرانَ المخزومىّ. قال: أتيت مع أبى واليا على المدينة من قريش، وعنده ابن مطير، وإذا مطر جَوْد (يعنى: غزير) فقال له الوالى: صِفْهُ، فقال: دعنى حتى أُشرِف وانظر، فأشرف ونزل، فقال...»

ثم علّق ابن قتيبة على القصيدة بقوله: «وهذا الشعر، مع إسراعه فيه كما ترى، كثير الوشى يطيف المعانى».

كما يقول ابن المعتز (طبقات الشعراء ١١٨): «وكان سبب هذه القصيدة أن واليا كان على المدينة. دخل عليه ابن مطير- وكان قيل له: هذا أشعر الناس

فأراد أن يختبره، فقال له: قد نشأت سحابة مكفهّرة يا بن مطير، فقل فيها، فقد أرسلت عزاليها (إشارة إلى شدة وقع المطر) فقال هذه القصيدة...، ثم ساق منها عدّة أبيات.

وهو فى هذه القصيدة يشبه السحاب بضرع الناقة الحافل باللبن، كما يصف شدة تراكمه، وبرقه المتلألئ، وسقوط مطره واندفاعه، ويشبه البرق والرعد بالضحك الممزوج بالبكاء، كما يتحدث عن تحريك الرياح لهذا السحاب المحمل بالماء بالمرأة الحامل أو الناقة التى لحقت بلا فحل، وهذا السحاب عنده أسود فاحم من كثرة ما حمل من الماء فإذا ما برق أبيضّ وأضاء.

★ ★ ★

١ ـ كثُرَتْ لكثـــرة قَطْره أطبـــاؤه
فـــإذا تحلّب فـــاضت الأطبـــاءُ

٢ ـ وضُروعُه عـــدد النجـــوم وطلّه
أخـــلافـــه عـــدد النجـــوم رواءُ

٣ ـ وكجوف ضرّته التى فى جوفه
ومن الســمـــاء سِبَحْلَة جـــوفـــاءُ

٤ ـ وله ربابٌ هَيْـــدبٌ لرفـــيـــفـــه
قَبْلَ الـتَبَعُّق دِيمةٌ وَطْفـــــــــاءُ

(١) الأطباء: جمع طُبْي (بضم الطاء أو كسرها، وسكون الباء)، وهو للحيوانات ذوات الحافر والسباع، كالثدى للمرأة، والضرع لغيرها. وقد استعار الكلمة هنا للمطر على التشبيه.
(٢) الأخلاف: جمع خلْف، وهو حلَمة الضّرْع أو ضرْع الناقة.
(٣) الضرّة: الضرع والثدى. سبحل: ضخم عظيم.
(٤) الرباب: السحاب المتعلق الذى يرى كأنه دون السحاب. الهيدب: السحاب الذى يتدلّى ويدنو مثل هُدْب القطيفة. الرفيف: التلألؤ والبريق. التبعق مفاجأة المطر واندفاعه. الديمة الوطفاء: المطر الدائم الكثير السحّ.

٥ - وكـــأنّ بارقــه حَرِيقٌ يلْتــقى

رِيحٌ عــليـــــــه وعَرْفَجٌ وألاءُ

٦ - وكـــأنّ رَيِّقَه ولمّا يحــتــفلْ

وَدْقُ السَّمــاء عــجــاجــةٌ كَدْراءُ

٧ - مــستــضْحكٌ بلوامع مُسْتَعْبِرٌ

بمـــدامــعٍ لــم تُمْرِهــا الأَقْذَاءُ

٨ - فله بلا حـــزنٍ ولا بِمــســرةٍ

ضَحكٌ يــؤلف بــيــنــه وبُكــاءُ

٩ - حــيـــرانُ مُتَّبعٌ صَبَاهُ تقُــودُه

وجَنُوبـــــه كِنْفٌ لــــــه ووعَاءُ

١٠- ودَنَتْ له نكبــاؤه حـــتى إذا

من طول مـــا لعبت به النكبـــاءُ

١١- ذاب السحـابُ فـصـار بَحْراً كلُّه

وعلى البُحــورِ من السَّحــاب سَمَاءُ

١٢- ثقلت كُلاه فَبَهَّرَتْ أصــــلابَه

وتبــعَّجت من مـــائه الأحــشـــاءُ

---

(٥) العرفج: ضرب من النبات ينبت في السهل. الألاء: شجر حسن المنظر مر الطعم.
(٦) الرَّيق: أفضل المطر، أو أول ما ينزل منه. الودق: المطر. العجاجة: واحد العجاج، وهو الغبار.
(٧) لم تمرها: لم تسليها. من قولهم: «مريت الناقة» إذا مسحت ضرعها لتدر، الأقذاء: جمع قذى، وهو ما يتكون في العين من رمص وغمص وغيرهما.
(٨) في كلمة: «الضحك» أربع لغات: فتح الضاد وكسرها، مع سكون الحاء وكسرها.
(٩) الصبا والجنوب: من أنواع الرياح. الكنف (بكسر الكاف وسكون النون) وعاء يكون فيه أداء الراعي ومتاعه، ويطلق كذلك على أي وعاء يحفظ ما فيه.
(١٠) النكباء: الريح التي تكون بين الريحين من الرياح الأربع.
(١١) في رواية ابن قتيبة للبيت: «فهو بحر كله» بتشديد الواو من (هو) وهي لغة لقبيلة همدان.
(١٢) تبعجت الأحشاء: انشقت: «تبعج السحاب وانبعج بالمطر» سال منه المطر الشديد.

١٣ـ غَدَقٌ يُنتَّج بـالأبـاطح فُرَّقـــاً

تَلِدُ السَّيـــولَ ومـــالهـــا أشلاءُ

١٤ـ غُرٌّ مُحــــجَلَةٌ دَوَالِجُ ضُمِّنَتْ

حَمْلَ اللِّقـــاحِ وكلُّهـــا عَذْرَاءُ

١٥ـ سُحْمٌ فـــهـن إذا كَظَمْنَ فَواحِمٌ

سُودٌ وهـنَّ إذا ضَحِكْنَ وِضـــاءُ

١٦ـ لو كـان من لُجج السَّواحلِ مـاؤه

لـم يَبْقَ مــن لُجـج الـسَّواحـلِ ماءُ

قـــال الحـــسين بن مطيـــر

يتحـسـر على الفـراق ويبكى الديار

يتحدث الشاعر هنا عن أيامه الخوالى مع محبوبته، والحساد يعكرون صفو الحياة. ثم يذكر كيف فارقته تلك المحبوبة راحلة مع أهلها، وأصبحت ديارها خالية، تسكنها الظباء وتنعق فيها الغربان. وينتقل بعد ذلك إلى زيارة طيف محبوبته له وترحيبه به، ويتساءل بعد هذا: أيمكن أن يرحل إليها على قلائص سمينة تتحمل مشاق السفر. ويتذكر فى نهاية القصيدة عتاباً رقيقاً جـــرى بينه وبين تلك المحـــبـــوبة، ونظرة منهـــا أصـــابت قلبـــه.

---

(١٣) الغدق المطر الكثير. فرق جمع فارق، وهى السحابة المنفردة. سميت بذلك تشبيها لها بالفارق من الإبل، وهى التى تفارق ألفها فتنتج وحدها. الأسلاء: جمع سلى، وهو الجلد لرقيق الذى يخرج فيه الولد من بطن أمه منفوقا فيه.

(١٤) دوالج: مثقلات بالماء.

(١٥) سحم: جمع أسحم وهو الأسود، كظمن: أمسكن من الأرعاء.

(١٦) يبالغ الشاعر فى تصور أن هذا السحاب المحمل بالماء لو كان ماؤه من بحار الأرض ما بقى فيها من ماء، لكثرة ما احتمل هذا السحاب من ماء.

١ ـ كـــأننا يا سليمُ لَمْ نُلِمْ بكم

وتحـــتنا علّسيّاتٌ مَلاَحــيجُ

٢ ـ ولم تكلّمْكَ فى الحساد قد حضروا

وفى الكلام وفى الحاجات تخليج

٣ ـ ولم نقل يوم سارت عينكم عنَقَاً

والدُّوْسَرىَ بجــذب السَّاج مَجْرُوجُ

٤ ـ سُقْيا سقى الله جيراناً لنا ظَعَنّوا

لما دَنَا من رِياضِ الحـزْن تهـيـيجُ

٥ ـ لم أخش بيْنهم حتى غدوا حزِقَاً

واستـوسـقت بهم البُزْل العنَاجـيجُ

٦ ـ فاحتثّ من خلفهم حاديهمُ غَرِداً

وجُدِّدت دون مَنْ تَهْوَى الـهوَادِيـجُ

٧ ـ وأصبحت منهمُ ضباءُ خاليةً

كـمـا خلَتْ منهمُ الزّوارءُ فالعُوجُ

٨ ـ تلكم ديارهم بالقف دارسـة

يستنُّ فيها عَجاجُ الصيف والهوجُ

---

(١) علسيات: ابل منسوبة لبنى علس، ملاجيج: مصوتات. من ألجّت الابل (بالجيم). صوتت.

(٢) تخليج: حركة واضطراب.

(٣) العيس: جمع أعيس. وهو من الأبل: الذى يخالط بياضه شقرة. العنق: ضرب من السير فسيح سريع للابل والخيل. والجمل الدوسرى: المجتمع الخلق القوى. الساج: شجر عظيم صلب الخشب. مجروج من جرج إذا جال وقلق.

(٤) ظعنوا: رحلوا.

(٥) البين: الفراق. حزقا: جماعات. استوسقت: استجابت للطرد. العناجيج: الابل النجيبة

(٦) احتث: حض. الحادى: سائق الإبل. الهوادج: جمع هودج وهو ما يوضع على ظهر الجمل لتركب فيه النساء، وهو نوع من القباب.

(٧) ضباء. والزوراء والعوج: أماكن.

(٨) القف: اسم موضع. استن: جرى. عجاج الصيف: الغبار والدخان. الهوج: الرياح التى تقلع البيوت.

٩ ـ قفراً خلاء المغانى ما يظلّ بها

إلا الظباءُ وغِربانٌ مَشاحيجُ

١٠ـ فيها أوار وآثارٌ بعَرْصتَها

ومائلٌ ناحلٌ فى الدار مَشْجُوجُ

١١ـ دارٌ لنا عمةٍ بيضاءَ خلّتُها

عصْبٌ يمانٍ وبردٌ فيه تَدْبيجُ

١٢ـ ومَوْرِدٌ آجنٌ مُهْدمٌ مناهلُه

كأن ريق الدّبَى فيهن ممْجُوجُ

١٣ـ زارتْك سلمةٌ والظّلماءُ داجيةٌ

والعين هاجعةٌ والرُّوح معْرُوجُ

١٤ـ فمرحباً بك من طيْف ألمَّ بنا

وليس يا سلْمُ بى فى السلْم تَحْرِيجُ

١٥ـ هل يُدْنينّك فى سلمى وجيرتها

قلائصٌ أرحبياتٌ حَرَاجيجُ

١٦ـ هُدْلُ المشافر أيديها موثّقة

زُجٌ وأرجلُها زُلٌّ هزَالَيجُ

(٩) المغانى: جمع مغنى وهو المنزل الذى غنى به أهله. مشاحيج من شحج الغراب: إذا أسن وغلظ صوته.
(١٠) الأوارى: قرارات القدور وما يلزق بأسفلها. والعرصة: ساحة الدار.
(١١) التدبيج: النقش والتزيين.
(١٢) أجن الماء تغير لونه، سدم: مندفنة. الدبى: صغار الجراد والنمل.
(١٣) داجية: منتشرة.
(١٤) طيف: خيال. ألم بنا: زارنا.
(١٥) حراجيج: نوق سمينة.
(١٦) هدل المشافر: مسترخية المشافر. زج: طويل الساقين. زل: جمع أزل وزلاء الخفيف الوركين. الهزاليج: السريعة.

١٧ـ لما لِقَحْنَ لماء الفحلِ أعْجَلَها

وقت النكاحِ فلمُ يتْمِمْنَ تَخديجُ

١٨ـ تَفْرِى السباعُ سلىً عنه تُماشقُه

كأنه بُرْدُ عَصْبٍ فيه تضْرِيجُ

١٩ـ قالت تغيَّرتَ عن ودِّى فقلت لها

لا والذى بيتُه يا سَلْمُ محْجُوجُ

٢٠ـ ما أَنْس لا أنْس منكم نظرة سلَفتْ

فى يوم عيدٍ ويومُ العيدِ مَخْرُوجُ

---

(١٧) تخديج: القاء الناقة ولدها قبل أوانه.

(١٨) السلى: الغشاء الرقيق الذى يغطى الجنين. تماشقه تمزقه.

(١٩) البيت: هو بيت الله الحرام.

(٢٠) سلفت: مضت.

حَمّاد عَجْرَد

هو حماد بن يحيى بن عمرو، مولى عامر بن صعصعة، وأصله ونشأته بالكوفة، وروى أنه كان يعمل بصناعة النبّال وقيل أيضاً إنه لم يكتسب بصناعة غير الشعر.

وحماد من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية، إلا أنه لم يشتهر فى أيام بنى أمية اشتهاره فى أيام بنى العباس، وكان خليعا ماجنا متهما فى دينه مرميا بالزندقة.

وكان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمادون: حماد عجرد، وحماد الراوية. وحماد الزبرقان، يتنادمون على الشراب ويتناشدون الأشعار، وكأنهم نفس واحدة يرمون بالزندقة جميعاً، وأشهرهم حمّاد عجرد.

ومن أهم الأحداث فى حياة حماد صراعه مع بشار بن برد وملاحاته إياه، وبينهما من مواقف الصدام والأهاجى المتبادلة ما تحفل به أمهات التراث الأدبى.

وقد عاصر حماد من خلفاء بنى العباس أبا العباس السفاح وأبا جعفر المنصور، وكانت له صلة وثيقة ومكانة مرموقة لدى محمد بن أبى العباس والى البصرة الذى توفى سنة ١٥٠هـ، وكانت لذلك الأخير علاقة مودة بزينب

بنت سليمان، فشبب بها حماد فنذر شقيقها محمد بن سليمان دمه، ولكنه لم يتمكن منه إلا بعد وفاة محمد بن أبى العباس، وقد هرب حماد من محمد بن سليمان فأقام بالأهواز مختفياً، وبلغ محمداً خبره فأرسل مولى له إلى الأهواز حتى ظفر به فقتله غيلة، ويعنى ذلك أن مصرعه كان فى مطالع النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى.

من شعر حماد عجرد

قال فى زاهد متقلب:

١ - إنْ كـــان نُسْكُكَ لاَ يتمّ
بغـــيـــر شَتْمى وانتْـــقـــاصى

٢ - أو كُنتَ لَسْتَ بغـــيـــر ذاك
تـنـال مـنـزلـة الخـــلاص

٣ - فـــاقْعُد وقُم بِى كـــيـف
شـــئتَ مع الأدانى والأَقـــاصى

٤ - فلَطالمــا زكَّيــتَنِى
وأنا المقُــيم على المعـــاصى

٥ - أيَّامَ تـــأخُذهـــا وتُعـــطِى
فـى أبـاريـق الرَّصـــاصِ

(١) النسك: الزهد والتعبد.
(٣) الأداني: الأقربون.
(٣)الأقاصى: الأباعد.
(٤) زكيتنى: مدحتنى وأثنيت على.
(٥)المقصود بأباريق الرصاص كئوس الخمر، والضمير فى قوله «تأخذها»، عائد على الخمر.

ومن شعر حماد عجرد فى ذم أحد البخلاء:

١ ـ إنَّ الكريم ليُخْفِى عنك عُسْرَتَه
حتى تراه غنياً وهو مَجْهود

٢ ـ وللبخيل على أمواله علَلٌ
زُرْقُ العيون عليها أَوْجه سُود

٣ ـ إذا تَكَرّهْتَ أَنْ تُعْطى القليل ولم
تَقْدِر على سعَةٍ لم يظهر الجُود

٤ ـ أَوْرِقْ بخير تُرَجّى للنّوال، فما
تُرْجى الثمار إذا لم يُورقِ العُود

٥ ـ بُثَّ النّوال ولا تَمْنَعْك قِلّته
فكُلّ ما سدَّ فقْراً فَهْو محمود

وقال أيضاً:

١ ـ كم مِن أخٍ لست تُنكِرُه
ما دمتَ من دنياك فى يُسْرِ

٢ ـ متصنّعٍ لكَ فى مودّته
يلقاكَ بالترحيب والبِشْر

٣ ـ يطْرِى الوفاء وذا الوفاء
ويلْحى الغدْرَ مجتهداً وذا الغدْر

(١) العسرة: ضيق ذات اليد. المجهود: من يتحمل من المشقة فوق طاقته.
(٢) تكرهت: كرهت. السعة: اليسر والوفرة.
(٤) أورق: من قولهم أورق فلان أى كثر ماله، يريد الحث على السخاء.
(٥) بث النوال: من البث وهو النشر. ما يسد الفقر: ما يغنى الإنسان عن الحاجة إلى غيره.
(٢) يتصنع المودة: يتكلفها.
(٣) يطرى: يبالغ فى الثناء، يلحى: يذم ويلعن.

٤ ـ فـــإذا عـــــداَ والدهر ذو غِيـــر

دهـرٌ عـلـيكَ عـــــــــدا مـع الـدّهْرْ

٥ ـ فـــارفُض بإجْمـــالٍ مـــودّة مَنْ

يَقْلى المُقِلَّ ويـعـــــــــشـق المثْرى

٦ ـ وعليكَ مَنْ حــــالاه واحــــدة

فـــي الـــعُسْرْ إمَّا كــنــتَ والــيُسْرِ

٧ ـ لا تَخْلِطـنَّهُمُ بـغـــــيــــــرهِمُ

من يَخْلِط العــــقْيـــان بـالصُّفْرِ

(٤) عدا الدهر على فلان: جار عليه، غير الدهر: أحداثه.

(٥) يقلى: يبغض، المقل: الفقير.

(٧) العقيان: الذهب الخالص. الصفر: النحاس الأصفر.

سابق بن عبدالله البربرى

سابق بن عبد الله البربرى الرَّقِّى شاعر من شعراء الزهد فى أوائل القرن الثانى الهجرى، قيل إنه من موالى بنى أمية، ونسبته بعض المصادر إلى قبيلة بلى اليمنية، وربما كان ينتسب إليها ولاء. ولا ندرى على وجه الدقة إن كان بربرى الأصل ينتمى إلى بربر شمال أفريقية، أو أنه لقب بذلك لسبب لا نعلمه، فالمصادر شحيحة إلى حد بعيد فى الحديث عنه.

قيل فى بعض أخباره إن أصله من خراسان وبها نشأ ثم سكن الرقة، فكان إمام مسجدها وقاضيها، وربما كان ذلك فى أثناء خلافة عمر بن عبد العزيز، إذ تذكر المصادر أنه كثيراً ما وفد عليه ووعظه بشعره.

ولا ندرى بالضبط سنة ولادته ولا سنة وفاته، ولكن الباحثين يحددون منتصف القرن الثانى تاريخا للوفاة، ويعدونه فى شعره الزهدى أستاذا لأبى العتاهية، بل إن بعض أشعاره تسربت فى أشعار أبى العتاهية فى الزهد.

قال سابق البربرى:

١ ـ باسم الذى أُنزلت من عنده السُّوَرُ

والحمدُ لله أما بعدُ يا عُمَرُ

٢ ـ إن كنت تعلمُ مـا تأتي ومـا تَذَرُ
فكن على حذَرٍ قـــد ينفع الحذَرَ
٣ ـ واصبرْ على القدَر المجلوب وارْضَ به
وإن أتاكَ بما لا تشـــتـــهي القدَرَ
٤ ـ فما صفا لامرئ عيشٌ يُسرُّ به
إلا ســيتْبَع يومـاً صـفـوَه كدَرَ
٥ ـ واستخْبِرِ الناسَ عما أنت جاهلُه
إذا عَميتَ فـقـد يجلو العـمى البَصَرُ
٦ ـ قد يرعوى المرءُ يوماً بعد هفْوَته
وتحكم الجـــاهلَ الأيامُ والعِبرُ
٧ ـ إن التُقَى خـيـرُ زادٍ أنت حـاملُهُ
والبِـــرُّ أفـــضل شيء ناله بَشَر
٨ ـ من يَطلُبِ الجوْرَ لا يظفرْ بحاجته
وطالِبُ الحق قـد يُهـدى له الظَفَرَ
٩ ـ وفي الهُدَى عِبرٌ تشفَى القلوبُ بها
كـالغيْث يَنْضِرُ عن وسميّه الشـجـر
١٠ ـ وليس ذو العلم بالتـقوى كـجاهلها
ولا البـصـيـر كـأعـمى مـا لَهُ بَصَرَ
١١ ـ والرشد نافلةٌ تُهدى لصاحبها
والـغَيُّ يـكـرَهُ مـنـه الـورْد والـصَّدَر

---

(٢) تذر: تترك.
(٦) يرعوى: ينزجر.
(٩) الوسمى: مطر الربيع.
(١١) الورد: من ورود الماء أى اتيانه ثم الصدور عنه بعد السقيا.

١٢ - قـد يُوبِقُ المرءَ أَمْرٌ وهو يَحْقِرُه
والشيء يا نفسُ يَنْمِى وهو يُحْتَقَـر

١٣ - وربما جـاءنـى مـالا أؤمِّله
وربما فـات مـأمـولٌ ومنتَظرُ

١٤ - لا يُتبعُ النفس شيء حين تحرزُهُ
ولا يزال لـهـا فى غـيْره وطَرُ

١٥ - ولا تزال وإن كـانت لهـا سعَةٌ
لهـا إلى الشيء لم تظفـر به نظرُ

١٦ - وكلُّ شيءٍ له حـالٌ تغـيِّره
كـمـا تغـيِّر لون اللمَّة الغِيَـرُ

١٧ - والذكر فيه حياةٌ للقلوب كما
يُحيى البـلادَ إذا مـاتت المطرُ

١٨ والعلم يجلو العمى عن قلْب صاحبه
كـمـا يُجلِّى سـوادَ الظلمـة القَمَرُ

١٩ - لا ينفع الذكر قلبا قاسيا أبدا
وهل يلين القـول الواعظ الحـجـرُ

٢٠ - والموت جِسْرٌ لمن يَمْشِى على قـدمٍ
إلى الأمـور التى تُخْشى وتُنتظرُ

٢١ - فـهم يمرون أفواجا وتجمـعـهم
دارٌ إليـهـا يصـيـر البَدْوُ والحَضَرُ

٢٢ - من كان فى معقل للحِرْز أسلمه
أو كـان فى خَمَرٍ لم يُنْجِـه خمر

---

(١٢) يوبق: يهلك.

(١٦) اللمة: الشعر المجاور لشحمة الأذن، الغير: أحداث الزمان.

(٢٢) الخمر: المكان الذى يدارى الإنسان ويخفيه.

٢٣ ـ حتى متى أنا فى الدنيا أخو كلَفٍ
فى الخدِّ منى إلى لذاتها صَعَرُ

٢٤ ـ ولا أرى أثراً للذكر فى جسدى
والماء فى الحجَرِ القاسى له أثَرُ

٢٥ ـ لو كان يُسْهِرُ عينى ذكرُ آخرتى
كما يؤرِّقنى للعاجل السهرُ

٢٦ ـ إذن لداويت قلبا قد أضرَّ به
طولُ السقام ووهن العظْمِ ينجبرُ

٢٧ ـ ما يلبث الشىء أن يبلَى إذا اختلفت
يوما على نقضه الرَّوْحات والبُكَرُ

٢٨ ـ والمرء يَصْعُدُ ريعانُ الشباب به
وكل مُصْعِدَة يوما ستنحدر

٢٩ ـ وكل بيت خرابٌ بعد جِدَّته
ومن وراء الشباب الموتُ والكِبَرُ

٣٠ ـ بينا يُرى الغصن لَدْناً فى أُرُومَته
ريانَ أضحى حُطاماً جَوْفُه نخِرُ

٣١ ـ كم من جميع أشتَّ الدهرُ شملَهُمُ
وكل شىء جميعٍ سوف يُنتثرُ

٣٢ ـ ورب أصيدَ سامى الطرف معتصب
بالتاج، نيرانه للحرب تستعرُ

٣٣ ـ يظل يفترشُ الدِّيباجَ محتجباً
عليه تبنى قباب الملك والحُجَرُ

٣٤ ـ قد غادرته المنايا وهو مستَلَبٌ
مجَدَّلٌ تَرِبَ الخدَّيْن منعفرُ

---

(٣٢) الكلف: شدة الحب، الصعر: الميل.
(٣٢) الأصيد: مرفوع الرأس كناية عن الكبر والأنفة.

٣٥ ـ أبعد آدم تَرْجُونَ البقاء وهل

تبقى فروعٌ لأصل حين ينْعَقِرُ

٣٦ ـ لهم بيوت بمستنّ السيول وهل

يبقى على الماء بيتٌ أسُّه مَدَرُ؟

٣٧ ـ إلى الفناء وإن طالت سلامتهم

مصيرُ كلِّ بَنى أنثى وإن كثروا

٣٨ ـ إن الأمور إذا استقبلتها اشتبهت

وفى تدبُّرها التبيان والعِبَرُ

٣٩ ـ والمرء ما عاش فى الدنيا له أَمَلٌ

إذا انقضى سَفَرٌ منها أتى سفر

٤٠ ـ لها حلاوةُ عيش غيرُ دائمةٍ

وفى العواقب منها المُرُّ والصَّبرُ

٤١ ـ إذا انقضت زُمَرٌ آجالها نزلت

على منازلها من بعدها زمَرُ

٤٢ ـ وليس يزْجُرُكم ما توعظون به

والبَهْمُ يزجرها الراعى فتنزجرُ

٤٣ ـ أصبحتم جزَراً للموت يقبضكم

كما البهائم فى الدنيا لها جَزَرُ

٤٤ ـ لا تبطروا واهجروا الدنيا فإن لها

رِغباً وخيما وكفْرُ النعمة البطَرُ

٤٥ ـ ثم اقتدوا بالألى كانوا لكم غُرَرا

وليس من أُمّةٍ إلا لها غُرَرُ

(٣٦) المدر: الطين

٤٦ ـ حتى تكونوا على منهاج أوّلكمْ

وتصبروا عن هوى الدنيا كما صبروا

٤٧ ـ مالى أرى الناس والدنيا مُوَلّيَةٌ

وكل حبل عليها سوف ينْبَتِرُ

٤٨ ـ لا يشعرون بما فى دينهم نقصوا

جهلا وإن نقصت دنياهم شَعَرُوا

٤٩ ـ من عاش أدرك فى الأعداء بُغْيَتَهُ

ومن يَمُتْ فله الأيام تنتصرُ

قال سابق البربرى:

١ ـ تأوّبنى همٌّ كثيرٌ بلا بُلُهْ

طروقا ، فغال النومَ عنى غوائلُهْ

٢ ـ فويحى من الموت الذى هو واقعٌ

وللموت بابٌ أنت لابدّ داخلُه

٣ ـ أيأمن ريْبَ الدهر يا نفسُ واهنٌ

تجيشُ له بالمُفْظِعاتِ مَراجِلُه

٤ ـ فلم أر فى الدنيا وذو الجهل غافلٌ

أسيراً يخاف القتْلَ واللهْو شاغلُه

٥ ـ فما باله يَفْدِى من الموت نفْسَه

ويأمنُ سيْفَ الدهر قاتله

٦ ـ ولا يفتدى من موقف لو رمى الرّدَى

به جبَلاً، أضحت سَراباً جنادلُه

٧ ـ وبعد دخول القبر يا نفسُ كربةٌ

وهولٌ يُشيبُ المُرْضِعين زلازله

٨ - إذا الأرضُ خفَّت بعد نقل جبالها

وخلّى سـبيلَ البـحـر يا نفسُ سـاحله

٩ - فلا يرتجى عونا على حمل وزْرِه

مُسِيء. وأَوْلى الناس بالوزر حـامله

١٠ - إذا الجسدُ المعمورُ زايل روحَه

خـوى وجـمـالُ البـيت يا نفس أهله

١١ - وقد كان فيه الروح حينا يُزَينه

ومـــا الغمدُ لولا نَصْله وحمَـــائله

١٢ - يُزايلني مالى إذا النفسُ حَشْرَجَتْ

وأهــلــى وكَدمي لازمــى لا أزايـلُه

١٣ - إذا كَلَّ عند الجهد يا نفس منْطقى

وعــايَنْتُ عند الموت مـا لا أحـاوله

١٤ - ويغسل ما بالجلْد من ظاهر الأذى

ولا يغــسل الذَّنْبَ المُخـالف غـاسله

١٥ - ومن تغْلبِ الأمراضُ يوماً فإنه

سيُوشك يومـا أن تصـاب مـقـاتله

١٦ - وقد تفلت الوحشَ الحبالُ وربما

تقـبَّضت الوحـشيَّ يومـا حـبـائله

١٧ - إذا العلم لم تعمل به صار حجةً

عليك ولم تُعذرْ بما أَنْتَ جـــاهلُه

١٨ - وقـد ينعش الذكـرُ القلوبَ وإنما

تكون حـــيـــاة العُود فى الماء وابلُه

١٩ ـ أرى الغصنَ لا ينميَ إذا جفّ أصلهُ

وليس بباقٍ من أبيحت أوائلُه

٢٠ ـ فإن كنتَ قد أبعدت هذا فإنما

يصدّق قولَ المرء ما هو فاعله

٢١ ـ ولا يستقيم الدهرَ سهمٌ لوجهه

به ميَلٌ حتى يقَوّمَ مائلُه

٢٢ ـ وفيك من الدنيا اعتراض وإنما

تُكال لدى الميزان ما أنت كائلُه

٢٣ ـ فلا تنتكث بعد الهدى عن بصيرة

كما نكث الحبْلَ المضاعَفَ فاتلُه

٢٤ ـ وتطلب فى الدنيا المنازل والعلا

وتنسى نَعيما دائما لا تزايلُه

٢٥ ـ كمن غرّه لمْعُ السحاب بقِيعةٍ

فقصّر عن وِرْدٍ تجيش مناهلُه

٢٦ ـ وقد خانت الدنيا قرونا تتابعوا

كما خان أعلى البيت يوما أسافلُه

٢٧ ـ وتصبحُ فيها آمنا ثم لم تكن

لتأمنَ فى واد به الخوف نازلُه

٢٨ ـ وقد ختلتنا باللطيف من الهوى

كما يختل الوحشى بالشئ خاتلُه

٢٩ ـ رضينا بما فيها سفاها ولم يكن

يبيع سمينَ اللحم بالغث آكلُه

٣٠ ـ وعـاقـبـةُ اللذات تُخـشى وإنما

يكدِّر يومــاً عــاجل الأمــر آجله

٣١ ـ وإن فرحت بالمرء يوما حلائل

فــلابد يومـــاً أن تُرِنَّ حـــلائله

٣٢ ـ فكم من فتى قد كان فى شِرة الصبا

فـأقْصَر بعـد العـذل عنه عـواذله

٣٣ ـ إذا مـا سـمـا حق إليك وباطل

عليك فــلا يذهب بحـــقك باطله

٣٤ ـ وقـد يأمل الراجى فيكذبُ ظنَّه

أمــور، ويلقى الشىء مـا كـان يأملُه

سُدَيْف بن ميمون

هو سديف بن ميمون مولى بنى هاشم، من شعراء الحجاز، ومن مخضرمى الدولتين. وكان شديد التعصب لبنى هاشم، مظهراً ذلك فى أيام بنى أمية، فكان يقول: الله برىء من جورهم وظلمهم وعدوانهم. اللهم صار فيئنا دولة بعد القسمة. وإمارتنا غلبة بعد المشورة، عهدنا ميراثا بعد الاختيار للأمة، واشتريت المعازف والملاهى بمال اليتيم والأرملة، وحكم فى رقاب المسلمين أهل الذمة، وتولى القيام بأمرهم فاسق كل محلة، فلاذائد يذود عن هلكة، ولا مشفق ينظر إليهم بعين الرحمة، ولا رادع يردع من أوى إليهم بمظلمة، ولا ذو شفقة يشبع الكبد الحرى من السغب (الجوع). فهم أهل ضرع (ضعف) وضيعة (هلاك)، وحلفاء كآبة وذلة. قد استحصد زرع الباطل (حان له أن يحصد)، وبلغ نهايته، واستجمع طريده واستوسق، وضرب بجرانه، اللهم فأتح له يداً من الحق حاصدة، تجتث سنامه، وتهشم سوقه، وتبدد شمله، وتفرق كلمته، ليظهر الحق فى أحسن صورته، وأتم نوره، وأعظم بركته. اللهم، وقد عرفنا من أنفسنا خلالا تقعد بنا عن استجابة الدعوة، وأنت المفضل على الخلائق أجمعين. والمتولي الإحسان إلى السائلين، فآت لنا من أمرنا حسب كرمك وجودك وامتنانك، فإنك تقضى ما تشاء، وتفعل ما تريد.

وكان هناك مولى لبنى أمية يقال له: سياب، يعارضه ويناوئه. فيتشاتمان ويظهران المعايب والمثالب، فتعصب فريق من سفهاء مكة لذا وفريق آخر لذاك. وشاعت تلك العصبية فى العامة والسفلة، فكانوا صنفين يقال لهما: السديفية والسيابية طوال أيام بنى أمية، ولما قامت دولة بنى العباس عرف له

السفاح مكانته، وصار سديف يحرضه على بنى أمية، وكان منصور النمرى الشاعر كثير الرواية لشعر سديف، وقال فيه: «ما كان فى زمان سديف أشعر منه، ولا أطبع، ولا أقدر على ما يريده من الشعر.

قال سديف بن ميمون
يهنىء أبا العباس السفاح بالخلافة ويحرضه على بنى أمية

١ ـ أصبحَ المُلْكُ ثابتَ الأساس
بالبهاليل من بنى العباس

٢ ـ بالصُّدور المُقَدَّمينَ قديماً
والرءوس القُماقم الرُّوَّاس

٣ ـ طَلَبوا وِتْر هَاشمٍ فَلقَوهَا
بعد مَيْلٍ من الزمان وباس

٤ ـ يا أميرَ المطهَّرين من الذَّمِّ(م)
ويا رأسَ منتهى كلِّ راسِ

٥ ـ أنت مَهْدِىُّ هاشمٍ وهُداها
كم أناسٍ رَجَوْكَ بعد إياس

٦ ـ لا تُقيلنَّ عبدَ شَمسٍ عثاراً
واقطعنْ كلَّ رَقْلَةٍ وغِراسِ

٧ ـ لا تَلينوا لقولهم وازجروها
فالدواهى تُجَنُّ بالأحْلاسِ

(١) البهاليل: جمع بهلول، وهو العزيز الجامع لكل خير، أو هو الحى الكريم.
(٢) القماقم من الرجال: السيد الكثير الخير الواسع الفضل. الرواس: الولاة والحكام.
(٣) الباس مخفف الهمزة من البأس بمعنى الشدة.
(٥) إياس: يأس.
(٦) لا تقيلن عثارا: لا تعف عن ذنب. الرقلة: النخلة الطويلة التى تفوت اليد.
(٧) تجنّ: تستر. الأحلاس: جمع حلس وهو: كل شيء ولى ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج. وهى بمنزلة المرشحة تكون تحت اللبد.

٨ ـ أنزِلوها بحيث أنزلها الله (م)

بدار الهَوَان والإتعاسِ

٩ ـ خوفُهم أظهر التودُّدَ منهم

وبهمْ منكمُ كحزّ المَوَاسِى

١٠ـ أَقصِهم أيها الخليفةُ واحْسِمْ

عنك بالسيف شأفة الأرْجاسِ

١١ـ واذكرنْ مصرعَ الحسين وزيدٍ

وقتيلٍ بجانبِ المهراسِ

١٢ـ وقَتيلاً بِجَوْفِ حرَّانَ أضحَى

تُحجُل الطيرُ حوله فى الكناس

١٣ـ والأمامَ الذى بِحرَّانَ أمسى

رهن قبر فى غُربة وتَنَاسِى

١٤ـ فلقد ساءنى وساء سِوائى

قُربهم من منابرٍ وكراسِى

١٥ـ نِعْمَ كَلْبُ الهِراشِ مولاك لولا

أَوَدٌ مِنْ حبائل الإفلاسِ

---

(٩) المواسى: جمع موسى وهى الشفرة.

(١٠) شأفة الرجل: أهله وماله.

(١١) زيد هو: زيد بن على بن الحسين. وكان قد خرج على هشام بن عبد الملك، فقتله يوسف بن عمر الثقفى. والقتيل الذى بجانب المهراس وهو حمزة بن عبد المطلب. والمهراس ماء بأحد. وإنما نسب قتل حمزة إلى بنى أمية، لأن أبا سفيان بن حرب كان قائد الناس يوم أحد.

(١٢) القتيل الذى بجوف حران هو: إبراهيم الإمام رأس الدعوة العباسية. وقد قتله مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية صبرا. حران: قصبة ديار مضر بينها وبين الرها يوم. وبين الرقة يومان. تحجل: تتبختر.

(١٤) سوائى: سواى.

(١٥) الأَود هنا: الكدّ والتعب والجهد.

سلم الخاسر
(ت ١٨٦هـ)

هو سلم بن عمرو بن حماد بن عطاء بن ياسر، ولد في البصرة لأسرة تنتسب إلى حمير. وقد سبيت فى الردة وأعتقها أبو بكر فأصبحوا مواليه، وأصبح أحب إليهم من نسبهم فى حمير. ولا تذكر المصادر تاريخ ولادته، ولا يعرف كيف ألصق به هذا اللقب الغريب أى الخاسر.. وتكاد تتفق المصادر على أنه توفى سنة ١٨٦هـ/ ٨٠٢م.

ويبدو أنه قضى فترة قصيرة من شبابه متنسكا، ثم رجع إلى حياة الخلاعة والمجون. وهنالك خبر سلكه فى زمرة الشعراء الذين كانوا يتظاهرون بالإسلام ويبطنون الزندقة. ويبدو أنه عدل عن الخلاعة فى وقت مبكر، إذ لاشك فى أنه قد بلغ منزلة محترمة. والمصادر التى بين أيدينا لا تمدنا بغير هذه النظرة، مع أنه لم يكن يعف عن استعمال بعض الألفاظ البذيئة فى بعض الأحيان. ولعل بعض المصادر اتهمته بأنه ماجن، وزنديق، لا لأن سمعته الخاصة كانت شائنة، بل تمشيا مع الفكرة العامة التى كانت سائدة عن شعراء عصره، أما شعره فإنه لا يكشف لنا عن موقفه من الدين سلبا أو إيجابا.

وقد ظل مقربا عند ثلاثة خلفاء. وبلغ أوج نشاطه السياسى فى عهد الهادى.

وهناك ثلاثة شعراء لعبوا دوراً مهماً فى حياة سلم، هم:

أبو العتاهية. ومروان بن أبى حفصة، وبشار بن برد.

ويذهب صاحب الأغانى، متابعا الجاحظ والصولى، إلى أنه شاعر مطبوع، وأنه كان متصرفا فى فنون الشعر، هذا فى حين كان أبو عبيدة يقول إنه لا يحسن أن يمدح ولكنه كان يحسن أن يرثى ويسأل، ويرى ابن المعتز أنه كان أحد المطبوعين المحسنين، وأنه كان كثير البدائع والروائع فى شعره، وأنه كان وثيق المعرفة بأشعار الجاهلية. ويذكر ياقوت إنه نظم أشعارا كثيرة وأجاد فى معظمها، ويقال إنه أول من ابتدع الرجز على جزء واحد، وهو ما سمى بالمقطع، وهو يدل على اقتداره على الشعر.

قال يعتذر إلى المهدى

١ ـ أنى أتَتْنى عن المهدىِّ معتبَةٌ
تكادُ من خوفِها الأحْشَاءُ تضطربُ
٢ ـ اسمعْ فداكَ بنو حواءَ كلُّهمُ
وقد يحورُ برأسِ الكاذبِ الكذبُ
٣ ـ فقد حلفتُ غيرَ كاذبةٍ
يومَ المغيبةِ يُقَطِّعَ لها سَبَب
٤ ـ ألا يُخالفَ مدحى غيَركمْ أبداً
ولو تلاقى علىَّ الغَرْضُ والحقَبُ
٥ ـ إنِّى أعوذُ بخيرِ الناسِ كلِّهمِ
وأنتَ ذاك، بما نأتى ونَجْتنبُ
٦ ـ كيفَ الفرارُ ولم أبْلغ رضى مَلِكٍ
تبدو المنايا بعينيه وتَحْتَجِبُ

(٤) الغرض: حزام الرجل، والحقب: حبل يشد على حقو أى خصر البعير. والكلام على التمثيل، أى خنقته الأزمة وعسرته عليه.

٧ - وأنت كـالدهرِ مـبـثُوثاً حبَائلُه

والدهرُ لاَ ملجـأ منه ولا هَرَبُ

٨ - ولو ملكتُ عِنانَ الريح أصرِفُهـا

فى كُلِّ ناحـيـة مـا فـاتها الطَّلَبُ

٩ - فليس إلا انتظارى منك عـارفـةً

فـيهـا من الخـوف منجـاةٌ ومُنْقَلَبُ

١٠ - مولاك مولاك لا تُشمتْ أعاديَهُ

فـمَا وَراءك لى ذكـرٌ ولا نَسَبُ

قال يتغزل:

١ - أتَتْنِى تُؤنِّبنى فى البُكَاءِ

فـأهلاً بِهـا وبِتأنيبِهَا

٢ - تَقـول وفى قـولِها حشْمَةٌ

أتَبْكِى بعَين ترَانَى بهـا

٣ - فقلت إذا استحسنتْ غيرَكمْ

أمـرتُ الدُّموعَ بتـأديبِهـا

قال فى أبى العتاهية:

مـا أقبح التزهيد من واعظ

يُزهِّد الناس ولا يزهدُ

لو كـان فى زُهده صادقـاً

أضْحَى وأمسى بيتُه المسجدُ

ورفض الدنيا ولم يلقـهـا

ولم يكن يسعى ويسترفـد

فَخَـاف أن تَنـفــــــــدَ أرزاقـُـهُ

والـرزقُ عـنـدَ الـلـهِ لا يـنـفـــــــدُ

الرزقُ مــقــســومٌ علـى من ترى

يـنـالُه الأبـيـضُ والأســـــــودُ

كلّ يـوفـى رزقــــــه كـــــــامِلا

من كفٌ عن جـهـدٍ ومن يجـهـدُ

وذكر من اقتدار سلم الخاسر على الشعر أنه اخترع شعرا على حرف واحد ولم يُسبق إلى مثل ذلك، وهو قوله لأمير المؤمنين موسى الهادى:

مــــوسى المطر، غــــيث بكر

ثم انهــــمـــر، لما اغــتــفــر

ثـم غـــــفـــــر، لما قـــدر

ثم اقــتــصــر، عــدل الســيــر

بـاقـى الأثر، خــيـــر البــشــر

فـــــــرع مـــــضَر، بـدرٌ بَدَر

لمـــن نـــظـــر، هـــو الـــوزرُ

لمن حــضـــرَ، والمفـــتـــخـــرُ

ومن جيد ما يروى لسلم كلمته فى يحيى بن خالد وهى:

بقــاء الدين والدنيــا جــمــيــعــا

إذا بـقى الخلـيــــفـــــةُ والوزيـرُ

يغـارُ على حـمى الإسـلام يحـيى

إذا مـــا ضـيـع الحـــزمُ الغـيــورُ

وليسَ يقومُ بالإسلامِ إلا

معارٌ يستجارُ ويستجيرُ

كلا يوميكَ من نفع وضر

يحوط حماهُمَا كرمٌ وخيرُ

وما ألهاكَ عما أنتَ فيه

نَعيمُ الملكِ والوطئُ الوثيرُ

إليك سبيلُنا من كل وجهٍ

وكل الأمرِ أنتَ بهِ بصيرُ

بلوتُ الناس من عجم وعرب

فما أحد يسير كما تَسير

فكل الأمر من قول وفعل

إذا علقت يداكَ بهِ صغيرُ

وفى كفَيْكَ مدرجةُ المنايا

ومن جداوهما الغيثُ المطيرُ

وأنت العز فى حربٍ وسلمٍ

يضافُ إلى مناكبك الطهورُ

عرفت الدهر من خير وشر

فكلُّ الرأى أنتَ به خبيرُ

ولستَ مجازيا بالضغن ضغنا

ولو أبدى المظاهرةَ الظهيرُ

فكلُّ الناس بن غنى وعفو

لديكَ كلاهُمَا در درور

ومــــا تخـــفى عليك وأنت طبٌّ

بطون للأمـــور ولا ظهـــور

سـرابيل المحــامـد ضـافـيـاتٌ

عليكَ يزينُهـا الوشيُ الحـبـيـرُ

ومــــا نزغــتك للدنيـا هَنات

إليــــهـــا أعين الوزراء صُور

ومـــا إن نـال من دين لدنيـــا

قليلٌ من هواكَ ولا كـــثـــيـرُ

وكــانت قـبلك الوزراءُ غـرقى

يؤم كـبـيرَهم فـيهـا الصـغـيرُ

ومـــا إن جـاز مـقطع كلِّ حق

صـــعـــودٌ فى هواك ولا حـــدورُ

تفـــرجت الأمـــور ببـــر مكيّ

تضـئ له المنـابر والســريرُ

حــملت فـوادحَ الأعــبـاء عنا

عن الإســـلام إن شكرَ الشكورُ

لـنا مـلـكٌ نـعـمْ ووزيـر مـلـك

عليـه من لبـاس الشـيب نورُ

بديهــــتــه وفكرته ســـواء

إذا مـــا نابه الخطب الكبـيـرُ

وأجـــزل مــا يكون الدهر رأيا

إذا عـــمى المشــاور والمشـيــرُ

ولا غـرس الأمـور ولا اجـتناها

كـيـحـيى حين يعـزم أو يسـيـرُ

إذا قـامت مـسـاعى الفـخـر يومـا

على الأقـدام أو مـدح المريرُ

فـمـا نفعٌ كنـفعِ أبى على

ولا أحـد يصـيـر كـمـا يصـيـرُ

ومما يستحسن من شعره قصيدته فى موسى الهادى بن المهدى، وهى:

سـألت الديار وأطلالهـا

ومـا إن تجـاوب سُؤّالهـا

منازل قـد أقـفـرت بعـدنا

وجرّت بهـا الريح أذيالهـا

وصـهـبـاءَ تعـمل فى الناظرين

شـربت على الريق سلْسالَهـا

وقـد كنت للكأس والغـانيـا

ت إذا هجـر القـوم وصّالَهـا

وكم قـد رفـعت سـتـور الملوك

وزاولت بـالشـعـر أزوالهـا

ونلت مـجـالس مـشـهـورة

يُنـال الكـرام بمـن نـالهـا

لقـد جـعل الله فى راحـتـ

ـيك حـيـاة النفـوس وآجـالهـا

وجـــــدنـاك فـى كــــتب الأولين

مـــحـــيى النفـــوس وقــتّالـهـــا

ومـــوسى شــبـيـــه أبى جـــعـفـر

ومـــعطى الرغـــائبِ ســـؤالـهـــا

ولـولا مـكانـك مـن بـعــــــــــده

لأنكرت العـــــوذ أطـفـــالـهـــا

مروان بن أبي حفصة
(ت ١٨٩هـ)

اسمه مروان بن سليمان بن يحيى بن أبى حفصة. وكنيته أبو الهيذام، أو أبو السمط، ولقبه ذو الكمر. وفى أصله خلاف، إذ يذهب أهله إلى أن جده يزيد ـ الذى يكنى أبا حفصة ـ من موالى عثمان بن عفان. بينما يذهب أهل المدينة إلى أنه كان من موالى السموأل بن عادياء اليهودى، وأنه من سبى اصطخر، اشتراه عثمان بن عفان وأسلم على يديه.

وحين ولى مروان بن الحكم المدينة لمعاوية بن أبى سفيان جعله على خراج اليمامة، وتزوج هناك بامرأة من بنى حنيفة وضعت له ابنه يحيى وأبناء آخرين، وتزوج يحيى بنت زياد بن هوذة من بنى أنف الناقة فأنجبت له ابنه سليمان، ورزق سليمان بابنه مروان باليمامة سنة ١٠٥هـ.

وهو من أسرة عريقة فى قول الشعر، أنشدوا الخلفاء والأمراء ونالوا جوائزهم. ومروان من الشعراء الذين عاشوا فى الدولة الأموية، وإن كانت أخباره فيها قليلة، فقد قال الشعر وهو غلام لم يبلغ العشرين، ووفد على الوليد ابن يزيد (١٢٥ ـ ١٢٦هـ) مع الحسين بن مطير الأسدى وغيره من الشعراء. أما أخباره فى العصر العباسى فكثيرة، تشير إلى أنه لم يقصد أبا العباس السفاح، ولا أبا جعفر المنصور، وإن كان قد أخذ يتردد على عماله، وخاصة السرى بن عبد الله والى مكة (١٤٢ ـ ١٤٦هـ) ومعن بن زائدة الشيبانى والى

اليمن الذى استنفد شعره فى مدحه ونال من جوائزه الكثير، ثم لم يلبث أن وفد على المهدى وهارون الرشيد وامتدحهما ونال عطاياهما، كما امتدح البرامكة، وتوفى فى الراجح وقد جاوز الثمانين من عمره عام ١٨٩هـ.

قال يمدح معن بن زائدة الشيبانى:

١ - مـــا يلمعُ البــرقُ إلا حَنَّ مُغْتَرِبُ
كـــأنه من دَوَاعِي شـــوقــــه وَصِبُ

٢ - أهـلا بـطـيـفٍ لأُمّ الـسَّمْط أرَّقَنَا
ونـحن لا صَدَدٌ منهـــــا ولا كَثَبُ

٣ - وُدّى على ما عهدتمْ فى تَجَدُّده
لا القَلْبُ عنكم بطولِ النأى يَنْقَلِبُ

٤ - كـفى القـبـائل مَعْنٌ كلَّ مُعْضِلةٍ
يُحْمَى بها الدينُ أو يُرْعَى بها الحسَبُ

٥ - كَنْزُ المَحَـــامِدِ والتَّقْوَى دفــاتِرُهُ
وليس من كـنزه الأوراقُ والـذهـبُ

٦ - أنتَ الشِّهابُ الذى يُرعَى العدوُّ بهِ
فـيـسـتنيـر وتـخـبـو عنده الشُّهْبُ

٧ - بنو شُرَيْكٍ هم القـومُ الذين لهمْ
فى كل يومِ رهانٍ يُحــــرزٌ القَصَبُ

٨ - إن الفوارسَ من شيبان قَد عرفوا
بالصـدقِ إن نزلوا والموت إن ركـبـوا

(١) الوصب: المريض الموجع.
(٢) الصدد والكثب: القرب.
(٣) النأى: البعد.
(٧) رفع كلمة القصب، وكان حقها النصب، فالمشهور للسابق أن يقال أنه أحرز قصب السبق.

٩ ـ قـد جرّبَ الناسُ قَبْلَ اليـوم أنَّهُمُ
أهلُ الحلّومِ وأهل الشَّغب إن شـغبـوُا

١٠ ـ قل للجـواد الذى يسـعى ليُدرِكَهُ
أقْصِرْ فـمـالك إلا الفـوتَ والطَّلَبُ

فى وصف حديقة وهبها له المهدى:

١ ـ نواضـر غُلْبَاً قـد تدانتْ رؤوسُهـا
من النبت حـتى مـا يطيـر غُرابهاْ

٢ ـ ترى البـاسقـات العم فيـها كأنـها
ظعـائنُ مـضـروبٌ عليـهـا قـبَابُهـا

٣ ـ تـرى بـابـهاَ سَهْلاً لِكُلّ مُدفَّعٍ
إذا أينـعتْ نـخـلٌ فأَغلق بـابُهـا

٤ ـ يكون لنا مـا نجـتنى من ثمـارها
ربيـعـاً إذا الآفـاقُ قَلَّ سـحـابُهـا

٥ ـ حظائرِ لم يُخْلَطْ بأثمـانـهـا الرِّبَا
ولم يكُ من أَخْذِ الدِّيات اكـتسـابهـا

٦ ـ ولكن عطاء الله من كل مِدْحَةٍ
جـزيلٌ من المسـتَخْلَفينَ ثَوابهـا

٧ ـ ومن ركْضِناَ للخيل فى كلِّ غارةٍ
حـلالٌ بأرض المشـركين نِهـابُهـا

---

(١) الغُلب من النخل: العظيمة الملتفة.
(٢) الباسقات: المرتفعات الطويلات، العم: جمع عميمة وهى النخلة الطويلة.
(٣) المدفع: الفقير الذليل.
(٥) الحظائر: جمع حظيرة، وهى الأرض التى يزرع فيها ويحوط عليها.

٨ ـ حـوت غُنْمَهـا آباؤنا وجـدودُنا
بصُمِّ العـوالى والدِّماءُ خـضابُهـا

فى مدح المهدى:

١ ـ أعـادَكَ من ذِكـر الأحـبَّة عـائدُ
أجَلْ واستـخـفـتك الرسـومُ البـوائدُ

٢ ـ تذكَّرْتَ من تهوى فأبكاك ذكرُهُ
فـلا الذِّكـر منْسيٌ ولا الدمعُ جـامِدُ

٣ ـ تَحِنُّ ويأبى أن يساعدك الـهوى
ولَلْمَوتُ خـيـرٌ من هوَى لا يسـاعـدُ

٤ ـ ألا طـالما أَنْهـبتَ دمْعَكَ طائعـاً
وجـارتْ عليكَ الآنسـاتُ النواهدُ

٥ ـ تُذَكِّرنَا أبصـارُها مُقَلَ المهـا
وأعناقَهـا أُدْمُ الظبـاءِ العـواقـدُ

٦ ـ ألا ربما غَرّتْكَ عند خـطابِهـا
وجـادتْ عليكَ الآنسـات الخـرائدُ

٧ ـ تسـاقطُ منهنَّ الأحـاديثُ غَضّةً
تسـاقطَ دُرٍّ أسلَمَتْهُ المعـاقِدُ

---

(٨) الغنم: الفىء والغنيمة. العوالى: جمع عالية وهى رأس الرمح. الصم : الصلبة القاطعة.
(١) عاد: انتاب. العائد: الشوق والحزن، البوائد: المندثرة المتغيرة.
(٤) أنهب الدمع: أباحه.
(٥) المها: جمع مهاة وهى البقرة الوحشية. الأدم جمع أدماء: وهى الظبية البيضاء. العواقد: جمع عاقد وهو الظبى الذى عطف عنقه إلى عجزه.
(٦) الخرائد: جمع خريدة وهى من النساء البكر الحيية.
(٧) المعاقد: مواضع العقد.

٨ ـ إليك أميرَ المؤمنين تجاذَبَتْ

بنا الليلَ خُوصٌ كالقسيِّ شوارد

٩ ـ يمانيةٌ ينأى القريبُ مَحَلَّةً

بهنَّ ويدنو الشاحطُ المتباعد

١٠ ـ تجلى السُّرى عنها وللعيس أعينٌ

سوام وأعناقٌ إليكَ قواصدُ

١١ ـ إلى ملكٍ تندى إذا يبس الثَّرى

بنائلِ كفَّيْهِ الأكفُ الجوامدُ

١٢ ـ له فوق مجدِ الناس مجدان منهما

طريفٌ وعاديٌ الجراثيم تَالدُ

١٣ ـ وأحواض عزٌّ حومةُ الموت دونها

وأحواض عُرف ليس عنهن زائدُ

١٤ ـ أيادى بنى العباس بيضٌ سوابغٌ

على كلِّ قوم باديات عوائدُ

١٥ ـ هُمُ يعدلون السَّمْك من قُبة الهدى

كما تعْدلُ البيتَ الحرامَ القواعدُ

١٦ ـ سواعِدُ عزِّ المسلمينَ وإنما

تنوءُ بصولات الأكُفِّ السواعِدُ

١٧ ـ يزين بنى ساقى الحجيج خليفةٌ

على وجهه نورٌ من الحق شاهدُ

---

(٨) الخوص: النوق الضامرة.

(١٠) السرى: السير فى الليل. السوامي: المرتفعة المشرفة.

(١٢) الطريف: المستحدث. التالد: القديم. العادى: القديم الذى ينسب إلى عاد. الجراثيم: جمع جرثومة وهى الأصل.

(١٥) السمك: السقف.

١٨ ـ يكون غرارا نومه من حذاره

على قبة الإسلام والخلق شاهدُ

١٩ ـ كأنَّ أميرَ المؤمنين محمداً

لرأفته بالناس للناس والدُ

٢٠ ـ على أنه من خالف الحقَّ منْهُمُ

سَقَتْهُ به الموتَ الحتوفُ القواصِدِ

فى الفخر:

١ ـ ذهب الفرزدقُ بالفخار وإنما

حُلْوُ القصيد ومُرُّه لجريرِ

٢ ـ ولقد هَجَا فأمضَّ أخطلُ تَغْلِبِ

وحوى اللُّهَا ببيانه المشهورِ

٣ ـ كل الثلاثةُ قد أَبَرَّ بمَدْحه

وهجاؤه قد سارَ كلَّ مسيرِ

٤ ـ ولقد جَرَيْتَ مع الجيادِ ففتُّها

بعنان لا شَبِمٍ ولا مَبْهُورِ

٥ ـ ما نالت الشعراءُ من مُسْتَخْلَفٍ

ما نلْتَ من جاهٍ وأخذِ بدورِ

٦ ـ عَزَّتْ معاً عند الملوكِ مقالتى

ما قال حيُّهُمُ مع المقبورِ

---

(١٨) الغرار: النوم القليل.

(٢٠) الحتوف: جمع حتف وهو الموت.

(٢) اللها: العطاء.

(٤) الشبم: البردان مع جوع.

٧ ـ ولقـد حُبِيتُ بألف بألف لم تُثَبْ

إلا بِسَيْبِ خليـــفـــةٍ وأمــــيـــرِ

٨ ـ مـــــازلت آنَفُ أن أؤلِّفَ مِدْحَةً

إلا لِصَــاحِبِ مِنْبــــــــرٍ وسَرِيـرِ

٩ ـ مــا ضَرَّنى حَسَدُ اللئـام ولم يَزَلْ

ذو الفـضلِ يَحْسُدُهُ ذوو التـقـصـيـر

١٠ ـ أُورى الظمـاءَ بكل حـوضٍ مُفْعَمٍ

جُوداً وأُتْرِعُ للســـغـــاب قـــدورى

١١ ـ وتظل للإحسان ضامِرةَ القرى

من كل تـامكة السنام عـــقـــيـــرى

١٢ ـ أعطى اللُّهَا متبرِّعاً عَوْداً على

بدء وذاك عليَّ غـــيـــرُ كـــثـــيـــر

١٣ ـ وإذا هدرت مع القُرُوم محاضراً

فى مــوطنٍ فـضَح القــرومَ هديرى

فى مدح المهدى:

١ ـ طرقَتْكَ زائِرَةً فـحـى خـيـــالهَا

بيـضـــاءُ تخلطُ بالحـيـاءِ دلالَهـا

٢ ـ قـادت فـؤادك فـاسـتـقـاد ومـثلُهـا

قـــاد القلوب إلى الصِّبـا فـأَمـالَهَا

(١١) تمك السنام: طال وارتفع. العقير: المعقور.

(١٢) القروم: جمع قرم وهو الفحل.

٣ ـ وكـأنما طرقت بنفـحـة روضـة

سـحّتْ بهـا ديمُ الربيع ظلالَهـا

٤ ـ باتت تُسـائلُ في المنام مُعَرّسـاً

بالبـيـد أشـعث لا يَملُّ سـؤالَهاَ

٥ ـ في فتـيـة هجعوا غراراً بعدما

سئـمـوا مـراعـشـة السُّرى ومِطالَهاَ

٦ ـ فكـأن حَشْوَ ثيــابِهِم هـنديّةٌ

نَحلَتْ وأغـفلت العـيـونُ صـقَالَهـا

٧ ـ وضعوا الخـدودَ لدى سواهم جنَّحِ

تشكو كلومَ صِفـاحِهاَ وكَلالَهـا

٨ ـ طلبت أمـيـرَ المؤمنين فواصلت

بعـد السُّرى بِغَدُوِّهـا آصـالَهاَ

٩ ـ نزعتْ إليكَ صـواديا فـتـقـاذفت

تطوى الفـلاة حُزُونَهـا ورمـالَهاَ

١٠ ـ يَتْبَعْنَ ناجـيـةً يُهـزُّ مـراحـهـا

بعـد النحـول تـليلـهاَ وقَذَالَهاَ

---

(٤) المعرس: الذى ينزل آخر الليل. البيد: جمع بيداء وهى الأرض المقفرة.
(٥) المراعشة: تحريك الرأس فى السير من النوم.
(٧) السواهم: الضوامر. الكلوم: الجراح. الصفاح: جمع صفحة وهى الجنب.
(٩) نزعت: اشتاقت. الصادى: العطشان. الحزن: ما غلظ من الأرض.
(١٠) الناجية: الناقة السريعة. المراح: النشاط فى السير. التليل. العنق. القذال: مؤخر الرأس.

١١ ـ هوجـــاء تَدّرعُ الرُّبا وتَشُقُّهـــا

شَقَّ الشـــمـــوس إذا تُراعُ جِلالهاَ

١٢ ـ تنجو إذا رُفعَ القطيعُ كما نجت

خَرْجـــــاءُ بادرت الظلامَ رِئَالهاَ

١٣ ـ كالقوس ساهمةً أتتك وقد تُرَى

كــالبــرج تملأ رَحْلَهــا وحــبــالهــا

١٤ ـ أحـيـا أمـيـر المؤمنين مـحـمـدٌ

سُنَنَ النبـى حـــرامـــهاَ وحــــلالهاَ

١٥ ـ مَلِكٌ تَفَرّع نَبـــعُهُ من هاشم

مَدّ الإلـه عـلـى الأنـام ظـلالَهـــــا

١٦ ـ جـــبلٌ لأمـــتـــه تلوذ بركنه

رادى جـــبـــال عـــدوها فـــأزالهـــا

١٧ ـ لم تَغْشَهَا مما تخـاف عظيـمـةٌ

إلا أجــال لـهــا الأمــور مــجــالَهــا

١٨ ـ حـتى يفـرجـهـا أغـرُّ مـبـاركٌ

ألفى أباه مُفــرِّجــا أمـــثـــالهـــا

١٩ ـ ثَبْتٌ على زَلَلِ الحـوادث راكبٌ

من صَرفـــهِنَ لكل حـــال حـــالهاَ

---

(١١) هوجاء: التى لا تقصد فى سيرها. تدرع: تجتاز وتقطع. الشموس: الصعب. جلالها: عطاؤها.
(١٢) الخرجاء: النعامة. الرئال: جمع رال وهو ولد النعام.
(١٣) ساهمة: : ضامرة. البرج: الحصن.

٢٠ ـ كلتـا يديك جـعلت فَصْلَ نـوالـهـا

للمـــسلمـين وفـي العـــدوّ وبـالـهاَ

في مدح معن بن زائدة الشيباني:

١ ـ أمسى المشيبُ من الشباب بديلا

ضـيـفـاً أقـام فـمـا يريد رحـيـلاَ

٢ ـ والشـيب إذ طرد السّوادَ بيـاضُهُ

كــالصــبح أحـدث للظلام أفــولا

٣ ـ إن الـغـــــوانـى طـالما قَتلْننا

بعــيـــونهن ولا يَدين قــتــيـــلا

٤ ـ من كل آنسـة كـأن حـجـالـهـا

ضُمنّ أحــور في الكناس كـحـيـلا

٥ ـ أردين عـــروة والمرقّش قـــبله

كلٌّ أصـــيب ومـــا أطاق ذهولا

٦ ـ ولقـــد تركن أبا ذؤيب هائمـــا

ولقــد تبَلْنَ كُثــيــرًا وجــمــيـــلا

٧ـ وتركن لابن أبى ربيعة منطقا

فـيـهن أصـبح سـائرا مـحـمـولا

٨ ـ إلا أكن ممن قـــتلن فـــإننى

ممن تـركـن فـــؤاده مـــخـــبـــولا

---

(٢) الأفول: الغياب.
(٣) ودى: دفع الدية لأهل القتيل.
(٤) الحجال: جمع حجلة وهى بيت العروس يزين بالثياب والأسرة والسترالكناس: بيت البقرة والظبية فى الشجرة تأوى إليه.
(٥) أردين: أهلكن. (٦) التبل: الترة

٩ ـ لو كـــان جـــدُكُمْ شُرَيكٌ والداً

للناس لم تلد النســاءُ بخــيــلا

فى المدح:

١ ـ كـأن التى يوم الرحيل تعرضَتْ

لنا من ظبــاء الرمل أدمــاءُ مُغْزِلُ

٢ ـ تَصُدُّ لمكحـــول المدامع لابن

إذا خَلَّفَتــهُ خلفَــهــا الطرف يُعْمَلُ

٣ ـ بنو مطر يوم اللقـــاء كـــأنهم

أُسُودُ لهــــا فى غـــيل خفَّان أَشْبُلُ

٤ ـ هُمْ يمنعون الجـار حـتى كـأنما

لجـــارِهُم بين الســـمـــاكِينِ منزلُ

٥ ـ بهاليلُ فى الإسلام سادوا ولم يكن

كـــأوَّلهم فى الجـــاهليـــة أوَّلُ

٦ ـ هُمُ القَوَمُ إن قالوا أصابوا وإن دُعوا

أجــابوا وإن أَعْطَوا أطابوا وأجــزلوا

٧ ـ ومـا يستطيع الفاعلون فعالهم

وإن أحسنوا فى النائبــات وأجـملوا

٨ ـ ثَلاثٌ بأمــثـال الجبـال حـباهُمُ

وأحــلامــهـم منهــا لدى الوزن أثقلُ

---

(١) الأدماء: البيضاء. مغزل: معها ولدها.

(٣) الغيل: جمع غيلة وهى الأجمة. خفان: موضع قرب الكوفة وهو مأسدة أشبل: جمع شبل وهو ولد الأسد إذا أدرك الصيد.

(٤) السماكان: نجمان. (٥) البهلول العزيز الجامع لكل خير

(٨) الحبى: العقول الراجحة.

٩ ـ تجنّب «لا» فى القول حتى كأنه

حرامٌ عليه قول «لا» حين يُسألُ

١٠ ـ تشابه يوماه علينا فأشكلا

فلا نحن ندرى أىُّ يوميه أفضلَ

١١ ـ أيوم نداه الغمرُ أم يوم بأسه

وما منهما إلا أغرُّ مُحَجَّلُ

فى رثاء معن بن زائدة الشيبانى:

١ ـ مضى لسبيله معن وأبقى

مكارم لن تبيد ولن تُنالاَ

٢ ـ كأن الشّمسَ يوم أصيبَ مَعَنٌ

من الإظلام ملْبَسَةٌ جلالاَ

٣ ـ هو الجبلُ الذى كانت نزارٌ

تَهدُّ من العدو به جبالا

٤ ـ تعطلت الثغور لفقد معن

وقد يُروِى بها الأسلَ النهالاَ

٥ ـ وأظلمت العراقُ وأورثَتْهَا

مصيبته المُجَلّةُ اختلالا

٦ ـ وظل الشامُ يَرجفُ جانباه

لركن العزّ حين وهى فمالا

---

(١١) الأغر المحجل: الأبيض.
(٢) الجلال: جمع جل وهو الغطاء الذى تلبسه الدابة لتصان به.
(٤) الأسل النهال: الرماح المتعطشة إلى الدماء.
(٥) المجللة: العظيمة.

٧ - وكــادت من تهــامــةَ كل أرضٍ
ومـن نجــــدٍ تـزولَ غـــــداة زالا

٨ - فــإن يَعْلُ البــلادَ لـه خـشـوعٌ
فــقــد كــانت تطول بـه اخـتـيـالا

٩ - أصـابَ الموتُ يوم أصـاب مـعـنـاً
من الأحـــيـــاء أكـــرمَهمْ فـــعـــالا

١٠ - وكـــــان الـنـاس كلّهم لمـعـنٍ
إلـى أن زار حـــفـــرتَه عـــيـــالا

١١ - ولـم يك طـالبٌ للعـــرف ينوى
إلـى غـــيـــر ابن زائدة ارتحـــالا

١٢ - مضى من كان يحملُ كلَّ ثقلٍ
ويـســـبقُ فـــضلُ نـائلهِ الســـؤالا

١٣ - ومـا عـمـد الوفـودُ لمثل مـعنٍ
ولا حـطوا بســاحـــتـــه الرحـــالا

١٤ - ولا بـلـغتْ أكُفُّ ذوى العـطـايا
يمـيـنـا مـن يديـه ولا شـــمـــالا

١٥ - ومـا كـانت تجفُّ له حـيـاضٍ
من المعـــروف مـــتـــرعةً سِجَالاَ

١٦ - فليت الشـــامـــتين به فَدَوْهُ
ولـيت الـعـــمـــر مُدَّ لَهُ فطـالا

١٧ - ولم يـك كنـزه ذهبـــا ولـكن
ســيـــوفَ الـهند والحـلق المذالا

(١٢) النائل: العطاء.
(١٥) الحياض: جمع حوض وهو مجتمع الماء. السجال: جمع سجل وهى الدلو العظيمة.
(١٧) الحلق : جمع حلقة وهي الدرع. المذال: المصنوع بإتقان.

١٨ ـ وذابـلـة مـن الخَطِّيِّ سُمْراً
ترى فيهن ليناً واعتدالا

١٩ ـ وذخراً من محامِدِ باقيات
وفَضْلٌ تُقَى به التفضيل نالا

٢٠ ـ مضى لسبيله من كنت ترجو
به عثراتُ دهركَ أن تُقَالا

٢١ ـ فلست بمالك عبرات عين
أبت بدموعها إلا انهمالا

٢٢ ـ وفي الأحشاء منك غليلُ حزن
كحر النار يشتعل اشتعالا

٢٣ ـ كأن الليل واصل بعد معنٍ
ليالى قد قُرِنَّ به فطالا

٢٤ ـ وقائلة رأت جسمي ولوني
معاً عن عهدها قُلبَا فحالا

٢٥ ـ رأت رجلاً براه الحزنُ حتى
أضرَّ به وأورثه خَبَالا

٢٦ ـ أرى مروان عاد كذى نحول
من الهندى قد فقد الصقالا

٢٧ ـ فقلت لها الذى أنكرت منى
لفجع مصيبة أنكى وعالا

---

(١٨) الذابلة: الرماح. الخطى: المنسوب إلى الخط بالبحرين.
(٢٠) أقال عثرته: صفح عنه.
(٢٥) براه: أهزله، الخبال: الفساد.
(٢٦) الهندى: السيف. الصقال: الشحذ والجلاء للسيف.
(٢٧) أنكى: أحزن. عال: جار.

٢٨ ـ وأيام المنون لهـــا صُرُوفٌ
تَقَلَّبُ بالفــتى حـــالا فـــحـــالا
٢٩ ـ يرانا الناس بعـــدك فَلَّ دهرٍ
أبى لجـــدودنا إلا اغـــتــيـــالا
٣٠ ـ فنحن كـأسـهم لم يُبْقِ ريشـا
لهـــا ريبُ الزمـــان ولا نصـــالا
٣١ ـ فلهف أبى عليك إذا العطايا
جُعْلن مُنًى كـــواذب واعـــتـــلالا
٣٢ ـ ولهف أبى عليك إذا الأسـارى
شـــكَوْا حلَقاً بِأَسْوُقِهِمْ ثـــقَالا
٣٣ ـ ولهف أبى عليك إذا اليتـامى
غَدَوْا شُعْثاً كـــأنَّ بـهـم سُلاَلا
٣٤ ـ ولهف أبى عليك لكل هيـجـا
لهـــا تُلقى حـــواملهـــا السـخَالا
٣٥ ـ ولهف أبى عليك إذا القــوافى
لممـــتـــدح بهـــا ذهبت ضـــلالاً
٣٦ ـ ولهف أبى عليك لكل أمـــر
يقـــول له النَجِىُّ ألا احـــتـــيـــالا

(٢٨) المنون: جمع منية وهى الموت، الصروف: جمع صرف وهو تقلب الزمان.
(٢٩) الفل ما ندر من الشيء كبرادة الحديد وشرر النار، والفل الأرض الجدبة والثلم والكسر فى حد السيف.
(٣٢) الحلق: القيود.
(٣٣) الشعث جمع أشعث وهو المتلبد الشعر المغبر الوجه. السلال: السل.
(٣٤) الهيجا: الحرب. السخال الأولاد الذين لم يكتمل خلقهم.
(٣٦) النجى: المتناجون المتسارون.

٣٧ - أقـمنا باليـمـامـة إذ يئـسنا
مـــــــقاماً لا نـريـد لـه زِيـالا
٣٨ - وقلنا أين نرحل بعـــد مـعن
وقـــــد ذهب النوال فـــلا نـوالا
٣٩ - سيـذكرك الخليـفةُ غيـر قالٍ
إذا هو فى الأمـــور بلا الرجـــالا
٤٠ - ولا ينسى وقـــائعك اللواتى
عـلى أعــــــدائه جُعِلتْ وبـالا
٤١ - حـــبــاك أخـــو أميّةَ بالمراثى
مع المدح اللواتى كـــان قـــالا
٤٢ - أقـام وكـان نحـوك كل عــام
يطيلُ بواسط الرحلِ اعـــتـــقـــالا
٤٣ - وألقى رحلـه أســـفـــا وآلـى
يمينا لا يشـــد لـه حـــبـــالا .

---

(٣٧) الزيال: المفارقة.
(٤١) حباه: أعطاه.
(٤٢) الاعتقال: الشد.
(٤٣) آلى: أقسم.

منصور النمرى

هو منصور بن سلمة بن الزِّبرقان، من النمر بن قاسط. وكان مع الخليفة هارون الرشيد مقدما، لأنه يعتزى إليه بالخئولة من جهة نتيلة النمرية، أم العباس بن عبد المطلب. وهو من رأس العين، ويكنى أبا الفضل.

وكان منصور النمرى يمدح الرشيد بالمدائح الجياد التى ليس لأحد مثلها، فكان يصله بالصلات الجزيلة، لأنه كان يظهر له أنه عباسى الرأى منافر لآل على ولغيرهم.

ومع ذلك فإنه كان يدين بالإمامة سراً ويمدح آل الرسول، ويعرّض فى شعره بالسلف، والرشيد لا يعلم ذلك حتى كثر، ووقعت بينه وبين العتابى الشاعر خصومة، فذهب العتابى إلى الرشيد، يحرضه عليه، ويذكر مذهبه فى التشيع لآل البيت، وينشد شعره فى الطالبيين شيئاً بعد شىء، حتى أوغر صدره، وصاح الرشيد قائلا: ويلى على ابن الفاعلة! يحض الناس على الخروج على، يضمر عداوتى، ويظهر من موالاتى ما يظهر، وقد اقتنى منى هذه الأموال، ومنزلته منى هذه المنزلة!

ثم دعا الرشيد بأبى عصمة الشيمى، وهو من الزيدية فى شيعة بنى العباس، وقال له: اخرج من ساعتك هذه إلى الرقة، فخذ منصورا النمرى، فسل لسانه من قفاه، واقطع يده ورجله، ثم اضرب عنقه، واحمل إلى رأسه، واصلب هناك بدنه.

فخرج أبو عصمة لذلك، فلما صار بباب الرقة وهو يدخل المدينة، إذا هو بجنازة النمرى قد استقبلته، فانكفأ راجعا إلى الرشيد فأعلمه، فقال له الرشيد: فهلا إذا صادفته ميتا أحرقته بالنار؟

ويقول عنه ابن المعتز (فى طبقات الشعراء ٢٤٨): «وأشعار النمرى فى آل الرسول عليهم السلام كثيرة جيدة، من أجود ما مدحوا به. وكذلك ماله فى المدح والغزل كله جيد. وهو من فحولة المحدثين. وله أخبار كثيرة ونوادر».

كما يقول عن بعض قصائده: «وميميته فى المأمون، وهو ولى عهد عجيبة، قد صارت مثلا فى سائر الناس.

قال منصور النمرى يتشيع لآل البيت:

١ - شـــاءٌ من النـاس راتـعٌ هـاملْ
يـعلِّلون الـنفــوس بـالبـــاطـلْ

٢ - تُقْتَلُ ذرِّيَّةُ الـــنـبـــىِّ ويَرْ
جُونَ جنـانَ الخُلود للـقــــاتـلْ

٣ - ويْلَكَ يا قـــاتل الحُسين لقـــد
نُؤْتَ بِحمْلٍ يـنـوءُ بـالحـــــامـلْ

٤ - أىَّ حِبـاءٍ حَبَوْتَ أحـــمـدَ فى
حُفـــرته من حـــرارة الثــاكِلْ

٥ - بأىِّ وجـــه تلْقَى النبىَّ وقـــد
دخـلـتَ فـى قَتـلِهِ مـع الـدَّاخـلْ

٦ - هلمَّ فـاطلب غـداً شـفـاعـتـه
أو لا فَرِدْ حَوْضَه مـــع الــنّاهـــلْ

(١) يعللون النفوس: يشغلون أنفسهم بالأمانى.
(٣) ناء بالحمل: ثقل عليه حمله.
(٤) الحباء: العطية والهبة. الثاكل: المرأة التى تفقد ولدها.
(٦) رد حوضه: يريد ورود الناس يوم الحشر على الحوض. الناهل: العطشان.

٧ ـ مـا الشَكُّ عندى فى حـال قَاتله
لكننى قـد أشكُّ فى الخـاذِلْ
٨ ـ نَفْسى فـداءُ الحُسين حين غـدا
إلـى المـنـايـا غُدُوَّ لا قـافِلْ
٩ ـ ذلك يـومٌ أخـنـى بِشَفـرتـه
علـى سنَام الإسـلام والكاهِلْ
١٠ ـ حـتى مـتـى أنت تَعـجلَين ألا
تَنـزلُ بالـقـوم نِقْمَةُ العـاجِلْ
١١ ـ لا يعـجَلُ اللهُ إن عَجلت ومـا
ربُّك عـمـا تَرَين بالـغـافِلْ
١٢ ـ وعـاذلِـي أننـى أُحبُّ بَنِي
أحـمـدَ فـالتـرابُ فى فَمِ العـاذِلْ
١٣ ـ قـد ذقتُ مـا دينكم عليـه فـمـا
وصـلـتُ مـن ديـنـكـم إلـى طـائِلْ
١٤ ـ دينكم جـفـوةُ النبى ومـا الـ
جَافِـى لآل الـنبِّى كـالـواصِلْ
١٥ ـ مظلومـةٌ والنبىُّ والدُها
قـريرُ أرجـاءِ مـقلةٍ حـافِلْ
١٦ ـ ألا مـصـاليتُ يغْضبّون لهـا
بِسلَّة البـيـضِ والقَنَا الذَّائِلْ

(٩) أخنى: أتى عليه وأهلكه. الشفرة: الموسى. الكاهل: مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق.

(١٢) العاذل: اللائم فى الهوى.

(١٥) المقلة: شحمة العين التى تجمع السواد والبياض. حافل: ممتلئ بالماء. قرير أرجاء: هادئ النواحي والجوانب.

(١٦) المصاليت: جمع مصلت وهو الرجل الشديد العزم الماضي في الأمور. سلة البيض: سل السيوف وإخراجها من غمدها، والبيض جمع أبيض وهو: السيف. القنا الذائل: الرماح الطويلة.

ومن جيد شعر منصور النمرى
فى الخليفة هارون الرشيد

١ - يازائريْنا من الخيام
حياكما الله بالسلامِ

٢ - يُحْزِننى أن أطفتما بى
ولم تنالا سوى الكلامِ

٣ - لم تَطرقانِى وبى حَراكٌ
إلَى حلالٍ ولا حرامِ

٤ - هيهات للهو والتّصابى
وللغَوانى وللمُدام

٥ - أقْصرَ جهْلِى وثاب حلمى
ونَهْنَه الشّيْبُ من عُرامىِ

٦ - عَمْرَ أبيها لقد تولّتْ
سالمةَ الخدِّ من غرامىِ

٧ - لله حِبّى وتربُ حِبّى
ليلة أعياهما مَرَامى

٨ - آذنتاَنى بطول هجرِ
وعزبانى مع السوام

٩ - وانطوتاَ لى على ملامِ
والشّيْبُ شرٌّ من الملام

---

(٣) لم تطرقانى: لم تزورانى ليلا.
(٥) نهنه: كف وزجر. الغرام: الجهل.
(٧) الترب: المولود وقت ولادته. أى الذى يماثل عمره عمر حبيبى.
(٨) عزب السوام: أبعد به فى المرعى. والسوام جمع سائمة، وهى التى ترعى حيث تشاء.

١٠ - بُورِكَ هارونُ من إمــــام
بطاعـــةِ الله ذي اعـتـصــامِ
١١ - لــــه إلـــى ذي الجَلالَ قُرْبَى
ليـســتْ لعــــدلٍ ولا إمـــامِ
١٢ - يســــعى علـى أُمّةٍ تَمَنّى
أن لـو تـقيــــة من الحمـــام
١٣ - لو اســتطاعت لقـــا سمْتَه
أعــمـــارها قِسْمَةَ الســهـــامِ
١٤ - يا خيْرَ مـــاضٍ وخيْرَ باقٍ
بَـعْدَ الـنّبــيين فـى الأَنـــامِ
١٥ - مــا اسـتُودِعَ الدِّينَ من إمــامِ
حامَى عليــه كـمــا تُحـامِى
١٦ - يــأنَسُ مـــن رأيـــه بــرأيٍ
أَصْـــدَقَ مـــن ســلّة الحُسَـام

(١٢) تمنى: تتمنى. الحمام: الموت.
(١٦) سلة الحسام: سل السيف وإخراجه من غمده.

عبد الله بن عبد الرحيم الحارثى
ت ١٩٠ هـ

هو أبو الوليد عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثى ينتسب إلى بنى حارث ابن كعب وهم بطن من مذحج من العرب القحطانيين، ومنهم بنو عبد المدان وبنو الديان، أما قوم عبد الملك فقد سكنوا القلجة من أرض دمشق، فعبد الملك إذن شاعر عربى ليس مولى كبقية شعراء عصره المشهورين، وهو شامى بعيد عن أضواء العاصمة بغداد. وقد وصفه ابن المعتز بأنه كان مقلقا مفوها مقتدراً مطبوعا، ولكنه لا يشبه فى شعره المحدثين الحضريين، بل كان نمطه نمط الأعراب.

وأخبار الحارثى قليلة جداً، ولكننا نعلم من سيرة حياته أنه ترك بلدته وشد الرحال إلى بغداد، ويبدو أنه لم يوفق فى هذه الرحلة، بل قيل إن الرشيد غضب عليه وأمر بسجنه فكتب إلى أخيه سعيد قصائد يعاتبه فيها،ولما مات أخوه رثاه عبد الملك رثاء حارا.

والبقية الباقية من شعره فى الحماسة والفخر والرثاء والغزل، ولا نجد فيها مديحاً أو هجاء، وأسلوبه فيها يتسم بالجزالة والرصانة التى تشبه شعر الأعراب.

وتؤكد مصادر كثيرة أن القصيدة اللامية التى مطلعها:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه

فكل رداء يرتديه جميل

والمنسوبة للسموءل بن عادياء إنما هى لعبد الملك بن عبدالرحيم الحارثى، وبعض الباحثين يقولون إن للسموءل فيها بعض الأبيات وأكثرها للحارثى، وممن أكد نسبتها للحارثى ابن الأعرابى والمرزوقى، ويستدل الباحثون على أنها للحارثى بأدلة مختلفة، منها قوله (وما مات منا سيد حتف أنفه) فيقول المرزوقى (قوله مات حتف أنفه) يقال إن أول من تكلم به النبى ﷺ، كما أن قوله (فإن بنى الديان قطب لقومهم) دليل قوى على نسبتها لعبد الملك لأن بنى الديان أجداده. وقد توفى الشاعر نحو سنة ١٩٠هـ.

١ - فَمَا أُمُّ سَقْبٍ أَوْدَعَتْهُ قَرارةً
مِنَ الأَرضِ وانْساحت لِتَرْعَى وَتَهْجَعَا

٢ - لَحِيسٍ كَمِثْلِ الأَيْهُقَانِ ابنِ لَيْلَةٍ
أَمَدُّ قُواهُ أَنْ يَنُوءَ فَيَرْكَعَا

٣ - ويهتَزُّ فِى المَشْىِ القَرِيبِ كَأَنَّهُ
قَضِيبٌ من البَانِ ارتوى فَتَرَعْرَعَا

٤ - فَظَلَّت بِمُسْتَنِّ الصَّبَا مِنْ أَمَامِهِ
تَبَغَّمُ فِى المَرْعَى إليه لِيَسْمَعَا

٥ - إذَا غَفَلَتَ نادَتَ وإن نابَ نَبأَةٌ
عَلى سَمْعِهَا تَذْكُرْ طَلاهَا فَتَرْفَعَا

٦ - فخالفها عارى الفواهق شَاسِبٌ
أَخُو قَفْرة أضحَى وأَمْسَى مُجَوَّعَا

(١) السقب: ولد الناقة.
(٢) لحيس: أى لا تزال أمه تلحسه لقرب عهده بالولادة. والأيهقان: الجرجير البرى.
(٤) المستن: المضطرب والمذهب. بغمت الناقة وتبغمت: قطعت الحنين ولم تمده.
(٥) رفع البعير فى سيره: بالغ.
(٦) خالفها: أى قصد ولدها وهى مولية عنه. الفواهق جمع فهقة وهى عظم عند مركب العنق وجمعها فهاق، والشاسب: الضامر الهزيل.

٧ ـ فأنْهَلَ منْهُ بَعْدَ علٍ ولَمْ يَدَعْ
لملْتمس إلا وشَيــقــاً مُـذَعْـذعَا

٨ ـ فجَاءَ بريَّاهُ نَسيمٌ مـن الــصَّبَا
إلــيْهَا ورزْءٌ جرَّ ثُكــلاً فأَوْجــعَا

٩ ـ فأَعْجلَهَا عَنْ حملها الوَجْدُ فارتَمَتْ
علَى دهَسٍ لا تـأتلـي أن تَشنَّعــــا

١٠ ـ مُولَّهَةٌ لم يَتْرُك الوجــد عندهَا
بواحــدهَا إلا فـــــؤاداً مُـروَّعَا

١١ ـ فطَافَتْ بِمَلْقَاهُ وَمَــصْرَعِ جنْبِه
فسَاقَتْ دمــاً منْهُ وشِلْواً مُقطَّعــا

١٢ ـ لَحَارَتْ وبَارَتْ واستَطَارَتْ ورجَّعْت
حنيناً فأَبْكَتْ كلَّ مَنْ كَانَ مُوجــعَا

١٣ ـ ونَدَّتْ علَى وَحْشِيِّهَا تَرْكَبُ الرُّبَى
وتنْفِي الحصَى أخفَافُهــا قَدْ تَصدَّعَــا

١٤ ـ فــلأياً بِلأيٍ مــا ثَنَوْهَا عشيَّةً
وَشدُّوا بعيْنَيْهَا الحبَالَ لِتَرْبَعَا

١٥ ـ فقَامَتْ أَخِيرَ البَرْكِ يدْعُو حنينُهــا
حنين المـوَاليه الـثكَالَى المُرَجِّعــا

---

(٧) الوشيق: لحم يقدد حتى ييبس المزعزع: المبدد.

(١٠) الدهس: المكان السهل ليس برمل ولا تراب. سنع وتشنع: انكمش وجد في السير.

(١١) ساقت. سمت: بالشلو: العضو من أعضاء اللحم وكل مسلوخ أكل منه شيء وبقيت منه بقية.

(١٣) ند البعير: نفر وذهب على وجهه شاردا وحشي كل باده: شقها الأيمن.

(١٤) اللأى: الإبطاء والاحتباس والشدة. ربع: توقف وانتظر وتحبس.

(١٥) البرك: إبل أهل الحواء كلها التي تروح عليهم بالغة ما بلغت وإن كانت ألوفا. الموالية: جمع ميلاه وهي الشديدة الحزن والجزع على ولدها.

١٦ ـ وَقُمْنَ بِجنْبَيـهَا فَأَسْعَدْنَ شَجْوَهَا

كَمَا أَسـعـد الحَيُّ المُصـابَ المُفـجّعَا

١٧ ـ فـإن سَجَرَتْ وهْنا سَجَرْنَ لِسَجْرِهَا

وإن سَجعتْ وَهْنا تَجـاوَبن سُجَّعـا

★ ★ ★

١٨ ـ فنحن نسـاءُ الحيِّ من بعد هجعةٍ

لصـوت دعـا أثكالَهن فـأَسـمـعاَ

١٩ ـ وأقـبلن من هُنَّا وهُنَّا وأَسْفَرَتْ

سـتـورُ الدُّجى عنِ مـأتَم قـد تَجَمعاَ

٢٠ ـ فما شق ضوء الفجر حتى تَصدَّعتْ

جـيـوب وحـتى فـاض دمع فـأسرعاَ

٢١ ـ بأوجـع منى يا سـعـيـد تَحـرّقاً

عليك ولكن لم أجـدْ عَنْكَ مـدْفـعاَ

★ ★ ★

٢٢ ـ فلو أن شـئنا فى لقـائك مطمـعاً

صـبـرت ولكن لا أرى فـيـه مطمـعاً

٢٣ ـ فـأقمْت لا تنفك نفسى شـجـيـة

عليك ووجـهى حـائلُ اللونِ أسـفـعـاَ

٢٤ ـ وقد كنت ألحى من بكى لمصيبةٍ

فـهــأنذا قـد صـرت أبْكَى وأجـزعاَ

(١٧) سجرت الناقة سجراً وسجورا: مدت حنينها. والوهن: نحو نصف الليل أو ساعة منه. سجعت الناقة: مدت حنينها على وجهة واحدة.

(٢٠) شق ضوء الفجر: طلع. الجيوب: جمع جيب: وهو القلب والصدر.

٢٥ - وقد قرعتنى الحادثاتُ وريبهُا

بتلك حــتى لم أجِــد فِىّ مــقــرعاَ

٢٦ - وقد كنت مغبوطا وقد كنت مصعبا

فأصبحتُ مرحوماَ لفقدك أخضعاَ

٢٧ - وقد كنت لى أنفا خميا ففاتنى

بك القرد الجارى فأصبحتُ أجدعاَ

٢٨ - فلو أن طوداً من تهامةِ ضافه

من الوجدِ ما قد ضافنى لتضعضعا

٢٩ - فيا سيدا قد كان للحى عصمة

ويا جــبــلا قــد كــان للحى مُفْزعاَ

٣٠ - درأت به جبر الرزايا ولم أجِدْ

له خلفــا فى الغــابرين فــأقنعاَ

٣١ - وأَبيضَ وضــاح الجبِين كــأنَّهُ

سنَاَ قَمَرَ أوفَى مَعَ الـعشْرَ أرْبَعــــــا

٣٢ - قَطيعَ لِسانِ الكلْب عنْ نبْح ضيْفه

مُوطّأً أكنافِ الرّواق سمَيْذَعـــــــا

٣٣ - ومُجْتنبا للقولِ فِى غيْر حينه

حفَــــاظاَ وقَوّالا إذا قَالَ مصقَعــــا

٣٤ - يَصُونُ بِبَذلْ المَال نَفْساَ كرَيمَةَ

وعرضاَ حمىً مِنْ كُلّ سوءِ مُمنعاَ

٣٥ - فَتَى الخيْر لم يهمم بِنَدْرٍ ولَمْ يُعَبْ

بِعَجْز ولَمْ يَمْدُدْ إلَى الذّم إصبَـــــعاَ

٣٦ ـ ولاَ كَانَ فِي الـنَّادى فيَهْجُرَ قَوْمُهُ
بأمــــلأ منْهُ فِي العُيُونِ وأَرْوَعـــــا

٣٧ ـ ولاَ غَابَ إلا نَافسَ الـقَوْمُ بينَهمْ
ولا آبَ إلا كـــــانَ لِلْحَى مقْنَعـــــا

٣٨ ـ ومَا زَالَ حمَّالاً لِكُلِّ عظيـــمَةَ
إلى أن قَضَى مِن نَحبِه ـ مُذْ ترعْرَعَــا

٣٩ ـ فَتَى كَانَ لا يَدعُو إلـــى الـشر نَفْسَهُ
فَإن جَاءَهُ الـشَرُّ امْتَطَاهُ فَأَوْضَعـــــا

٤٠ ـ ويَرْكَبُ صعْبَ الأَمْرِ حتَى يَردَّهُ
علَى عــــقب منْهُ ذَلُولاً مُوقَّعــــا

٤١ ـ وأمــر كَحَدِّ السَّيْفِ قَدْ خَاض غَمْرَهُ
بِهِمَّـــاته كَيْـــمَا يَضُــــرَّ ويَنْــفعَا

٤٢ ـ رأتْهُ المنَايَا خـيْرنا فــاخْتــرمنه
وكُنْ بتعْجــيل الأخـــاير نُزَّعــــا

٤٣ ـ تَقَنَّصْنَهُ من دُون بيــضـــاءَ نَثْلَة
وعَضْبِ إذاً مـــا صَابَ لِلْقَطْعِ أَسْرَعــا

★ ★ ★

٤٤ ـ وأَجْرَدَ خوَّارِ الـعنَانِ كـــــأنَّهُ
عقَـــابٌ هوتْ مِنْ بيْنِ نيــقَيْنِ أَتْلَعَا

٤٥ ـ أَشَـقَّ طواهُ الـركْضُ فـى كُل غَارَةَ
وحطْمُ القَنَا بِالنَحْرِ حتَى تَجزَّعـــــا

(٤٠) الموقع: البعير تكثر آثار الدبر عليه: وهى قروح تحدث من الرحل ونحوه.
(٤٣) النثلة: الدرع الواسعة.
(٤٤) فرس خوار العنان: سهل المعطف كثير الجرى. النيق: أرفع موضع فى الجبل.
(٤٥) الأشق من الخيل: الذى يشتق فى عدوه يمينا وشمالا وقيل البعيد ما بين الفروج والطويل. تجزع: تقطع وتفرق.

٤٦ ـ وأَشْرَسَ يَسْتَقْرِى الـــــكُمَاةَ أجَابَهُ
فَبَوَّأه فـى مُلْتَقَى الخيْلِ مَصْرَعــــــا
٤٧ ـ جُهَــيْــضــا يَذُبُّ الطَّيْرَ عَنْهُ بِكَفِّه
فَيُحـــــــجمْن عَنْهُ ثُمَّ يَرْجِعْنَ نُزَّعَا
٤٨ ـ فَـــمنْ وَالِغٍ حَصْدَاءُ جِلْدَةَ ظَهْرِه
وَمِنْ نَاهِشٍ أَدْفَى الجَنَاحين أَقْرَعَــــا



٤٩ ـ كـأن سـعـيـد الخَيْرِ لم يهـد غـارةً
كـــــرجْلِ الجرَادِ التفَّ ثُمَّ ترفَّعــــا
٥٠ ـ ولَمْ يَصـــــبح الخيْلَ الحُلول بـخَيْلِه
فَيَتْـرُك منهم سـاحـةَ الدَّارِ بلْقَعـا
٥١ ـ ومـا ذَرَّ قَرْنُ الشمسِ حَتَّى كـأنَّهـا
تُرى بِرِجَالِ الحَىِّ خُشْبــاً مُصــرعـا
٥٢ ـ وإن شِئْتَ أن تلْقَى بِكُلِّ مجَازَة
لَقِيتَ لَهُ حَسْرَى وَسَخْلا مُؤصــعــا
٥٣ ـ وإن غَشـــــيت حزنا سَنَابِكُ خَيْلِه
تَضَاءَل حَتَّى الحَزْنُ أَجْرَعَا
٥٤ ـ وتَبْعَثُ يَقْظَانَ الـــــتُّراب جيَادُهُ
وَنَـائمـــةً حــتى يهب فَيــسطَعــا

---

(٤٦) الأشرس: الجرىء فى القتال.
(٤٧) الجهيض: الملقى.
(٤٨) أدفى الجناحين: طويل الجناحين.
(٤٩) هدى الغارة: تقدمها.
(٥٠) صبح القوم: أتاهم وأغار عليهم صباحا.

٥٥ - ولَمْ يَسْرِ بالرُّكْبِ الخِفَـافِ لحومُهمْ
علَى قُلصٍ تَثْنِى قـوائم ظُلَّعـا

٥٦ - فَأَظْهَرَ والحِرْبَاَ يَنُوفُ بعوده
مَـولّ قفاهُ الشَّمْسَ يَخْدِينَ رُفَّعـا

٥٧ - لَهَا وَقْعـةٌ فِى كُلِّ يَوْمٍ وليلةٍ
وتلقيـمـةٌ تجنى النِّجَاء الهَمَلَّعـا

٥٨ - وتَسْتَودِعُ المعْزَاء عِنْدَ انْبِعـاثِها
بنَاتِ الحَوَايَا والشَّرِيحِ المقُطَّعـا

٥٩ - كـأَنَّ علَى أَكْوارِهَا حين تَنْفِرى
سَرَابيلَهُمْ عنهمْ أجَادِلَ وُقَّعـاً

٦٠ - تَرَى كُلَّ دَهْمَاءِ الحَوَاشي
علَى كُلِّ وجهٍ حال منهم وأخدعا



٦١ - ولَمْ يَهَبِ الـكُومَ المـرَايَا وَعَبْدَهَا
كـأَنَّ بِهَا نَخْلاً بنَجْرانَ يُنَّعـا

٦٢ - مُضمَّنـةً أَمْثَالَهَا فـى بُطُونِها
مُكَحْلَةً قُبْلَ المرافِقِ مُزَّعـا

٦٣ - تَرِفُّ بـأَمْثَالِ المَجَادلِ لَمْ يَدَعْ
رَضيخَ النَّوى والقَضْبِ فِيهنَّ مَضْبَعا

(٥٧) الهملع: السير السريع.
(٥٨) المعزاء: الأرض الصلبة الكثيرة الحصى، الحوايا: جمع حوية وهى ما تحوّى أى انقبض واستدار من الأمعاء. وكساء يحشى بهشيم النبات ويجعل حول سنام البعير.
(٦١) أى: وكأنه لم يهب...
المرايا: جمع مرى وهى الناقة الكثيرة اللبن.
(٦٢) القبل: جمع أقبل وهوالبعيد ما بين أوساط الساقين. مزع البعير: أسرع، وفى الأصل (نزعا).
(٦٣) جمع جدل: وهو القصر.

٦٤ ـ تصيفت اللجون ثم تَخيَّرت

لها من شماريخِ الفُلَيْجَةِ مَرْبَعَا

٦٥ ـ إذا شَقْشَقَتْ فيها حَسِبتَ هَديرَهَا

هماهِمَ رَعْدٍ آخِرَ اللَّيلِ رُجَّعَا

٦٦ ـ ولَمْ يُحرِمِ البيضَ اللواتي كأنَّها

نُجُومُ الثُّريا مَسْقَط النَّسرِ طُلَّعا

٦٧ ـ مُجلَّلَةً خزّاً وقَزّاً يطأنَه

بأقْدامِها والسَّابِرِي المُضَلَّعا

٦٨ ـ تَهُزُّ إذَا تَمْشِي مُتُوناً كأنَّما

تَهُزُّ بِهِنَّ الرِّيحُ عِيدَانَ نُيَّعا

٦٩ ـ كأنَّ البُرى والعَاجَ في قَصَبَاتِها

تَغَمَّرْنَ ضَالاً أَو تَعَمَّرْنَ خِرْوَعا

٧٠ ـ تَرى النَاسَ أرْسَالا إلَيْه كأنَّما

تَضَمَّنَ أرزَاقَ العُفَاةِ لَهُمْ مَعَا

٧١ ـ فمِنْ صَادِرٍ قَدْ آبَ بالرِّيِّ حَامِدٍ

ومِنْ وَارِدٍ شَاحٍ بِفِيهِ لِيَكْرَعَا

= القضب: أغصان البقل والرطب والكلمة في الأصل غير منقوطة. ضبعت الناقة: مدت ضبعيها في سيرها واهتزت.

(٦٤) اللجون: بلد بالأردن بينه وبين طبرية عشرون ميلا (معجم البلدان). الشماريخ: رؤوس الجبال/ الفليجة: تصغير الفلجة (معجم البلدان) والفلجة من أرض دمشق وهي بلدة الشاعر كما تقدم. المربع: الموضع يقام فيه فصل الربيع.

(٦٥) شقشق الفحل: هدر.

(٦٦) أي: وكأنه لم يحرم وأحرم الشيء جعله حراما.

(٦٧) السابري: النسيج الجيد نسبة سابور على غير القياس.

(٦٨) ناع الغصن: مال.

(٦٩) البرى: جمع برة وهي كل حلقة من سوار وقرط وخلخال. الخروع: كل نبت ضعيف يتثنى.

٧٢ ـ أَفَاتَ بِإِبْقَــاءِ عَلَى العِرْضِ مَالَهُ
فَأَنْجَحَ إذا أَكْدَى البَخِــيلُ وَأَوْضَعَــا

٧٣ ـ وَلاَ يَسْتَخِصُّ الــقِدْرَ مِنْ دُونِ جَارِهِ
لِيَشْبَعَ وَالجِيــرانُ يُمْــسُــونَ جُوَّعــا

٧٤ ـ جَوَادٌ إذَا مَا أَلْصَقَ المَحْلُ بِالــثَّرَى
وَضَاقَ لِئَــامُ النَّاسِ عَنْهُ تَوَسَّعَــا

٧٥ ـ كَسَاهُ الحَــيَاءَ الجُودُ حَتَّى لَوَ انَّهُ
يُجَرَّدُ مِنْ سِرْبَالِــهِ مَــــا تَمَنَّعَا

٧٦ ـ وَيُلْقِي رِدَاءَ العَــصبِ قَبْلَ ابْتِذَالِهِ
وَقَبْلَ (بِلاَهُ) الحَضْرَمِي المُرَصَّعَــا

٧٧ ـ إذَا الــعَرَقُ المَــرْشُوحُ بَلَّ رِدَاءَهُ
جَرَى المِسْكُ مِنْ أَرْدَائِهَا فَتَضَوَّعَا

٧٨ ـ فَيَوماً تَرَاهُ بِالعَبِــيــرِ مُضَمَّخاً
وَيَوماً تَرَاهُ بِالدِّمَاءِ مُنَمَّعَــــــا

٧٩ ـ وَيَوْماً تَرَاهُ يَسْحَبُ الــوَشْيَ غَادِياً
وَيَوماً تَرَاهُ فِي الحَدِيــــدِ مُقَنَّعَا

٨٠ ـ إذا نَالَ مِن أَقْصَى مَدَى المَجدِ غَايَةً
سَمَا طَالِبــاً مِنْ تِلْكَ أَسْنَى وَأَرْفَعَا

٨١ ـ أَجَلَّ عَنِ العُورِ الهَوَاجِــرِ سَمْعَهُ
وَوَقَّرَهُ مِن أَنْ تُقَالَ فَيَسْمَعَــــا

(٧٦) العصب: ضرب من البرود. وفي الأصل (العضب) وهو تصحيف.
الحضرمي: النعل.

٨٢ ـ لَهُ رَاحَةٌ فِـيـهـا حبَاً لصَدِيقـه

وأُخْرَى سقَتْ أَعْدَاءَهُ السّمُ مُنْقَـعَا



٨٣ ـ فَمـا فُجِعَ الأَقْـوَامُ مِنْ رُزْءِ هَالِكٍ

بـأَعْظَمَ ممَّا قَدْ رُزِئْتُ وأَفْـظَعَا

٨٤ ـ ومَـنْ طَابَ نَفْساً عَنْ أَخٍ لِـوِدَاعِه

فَمَا طِبْتُ نَفْساً عَنْ أَخِي يَوْمَ وَدَّعا

٨٥ ـ فَوَاعَجَبَـاً لِلأَرْضِ كَيْفَ تَأَلَّبَتْ

عَلَيْهِ ووَارَتْ ذَلِكَ الفَضْلَ أَجْـمَعَا

٨٦ ـ ويَا بُؤْسَ هَذَا الـدَّهْرِ مِنْ ذِي تَلَوُّنٍ

وذِي فَجَعَاتٍ مَا أَقَطَّ وأَفْظَعَا

٨٧ ـ هُوَ المُتْعِسُ النُّعْـمَانَ قَسْراً وَقَبْلَهُ

أَبَـا كَرِبٍ والأَيْهَمَيْنِ وتُبَّعَا

٨٨ ـ وزَيْدَ بنَ كَهْلَانٍ وعَمْرَو بْنَ عَامِـرٍ

وحُلْوَانَ أَرْدَى عَنْوَةً والهَـمَيْسَـعَا

(٨٧) هو أبو قابوس النعمان بن المنذر اللخمي ملك الحيرة ممدوح النابغة الذبياني قتله كسرى.
أبو كرب أسعد بن مالك الحميري من التبابعة.
الأيهم الأول والأيهم بن جبلة ملكان من ملوك غسان في الشام.
تبع الحميري: حسان بن أسعد من أعاظم تبابعة اليمن ثار عليه جماعة من قومه فقتلوه.

(٨٨) زيد بن كهلان: ينتهي إليه نسب عدة من قبائل العرب القحطانية، عمرو بن عامر مزيقياء جد بني جفنة ملوك غسان.
هو ابن عمرو بن عامر.
الهميسع بن حمير: ملك بعد أبيه وهو أبو الملوك التبابعة والأقيال والأذواء.

٨٩ ـ فَمَنْ ذَا الذِى أضحِى يُؤَمِّلُ بعدهُمْ
فَلاحاً وقَدْ كانُوا أعزّ وأَمْنَعَا

٩٠ ـ ومَا أحَدٌ إلا لَهُ المَوْتُ نَاصِبٌ
بِمَوقِعَةٍ مِنْهُ حبَائلَ صُرَّعَا

٩١ ـ وَكُلُّ امْرِئٍ مِنْهَا بِمَنْزِل قُلْعَة
وإنْ وَلَدَ الأَوْلادَ فيها وجمَّعَا

(٩٠) موقعة الطائر: موضع يقع عليه.

(٩١) منزل قلعة: لا يملك، ومجلس قلعة: يقلع عنه الجالس إذا جاء من هو أعز منه، والدنيا دار قُلعة: أى انقلاع وارتحال.

العباس بن الأحنف
ت ١٩٢ هـ

أبو الفضل العباس بن الأحنف، من بنى حنيفة، ونسب إلى اليمامة موطنهم فى نجد بالجزيرة العربية فقيل له اليمامى.

شاعر مشهور بالغزل، ولد فى البصرة وانتقل إلى بغداد فمدح الخليفة هارون الرشيد فيما روى من أخباره، وتقدم عنده لشعر قاله فى الغزل.

وكانت بينه وبين أبى الهزيل العلاف الامام المعتزلى ملاحاة، إذ اتهمه العلاف بأنه يعقد الكفر والفجور فى شعره، وأجابه العباس بأنه يكذب أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وأحاديثه، وأنه قدرى أى ينسب القدر إلى نفسه كسائر المعتزلة ممن يؤمنون باختيار الإنسان فى أعماله.

واتصل العباس بالمهدى والرشيد، ولم يتكسب بشعره فيهما، بل كان أقرب إلى الجليس والسمير. وأعجب به خالد بن يحيى البرمكى. وأوقف شعره على الغزل. واشتهر بمن تسمى فوز، فأكثر من ذكرها فى شعره، وإن ردد أسماء أخريات مثل ظلوم وذلفاء ونرجس، ونسرين.

وشعره لا تكلف فيه، ولكنه يقف وسطا، لا يلحق بالمبدعين المتقدمين إلا فيما قل، قال عنه بشار بن برد: مازال غلام بنى حنيفة يدخل نفسه فينا ويخرجها حتى قال:

أبكى الذين أذاقونى مودتهم
حتى إذا أيقظونى للهوى رَقَدُوا
واستنهضونى فلما قمت منتصباً
بثقل ما حملونى منهم قعدوا

وتغنى إبراهيم الموصلى بكثير من شعره. وقال عن أبيات له: «هذا الكلام والله الحسن المعنى، السهل المورد، القريب المتناول. السهل اللفظ، العذب المستمع».

وتوفى العباس فيما يروى بالبصرة أو بالقرب منها سنة ١٩٢هـ.

- ١ -

قال العباس:

١ - سرَى طيْفُ فوزِ آخرَ الليْلِ بالطَّفُ
فنحيّ الكرَى عنى وأغفتْ ولمْ أُغفِ
٢ - وباتَ الهوَى لى حاسراً عن ذراعه
يُلهِّبُ فى الصَّدرِ الهُمُومَ ولاَ يُطفى
٣ - وبتُّ كأنّى بالثّريّا معلّقٌ
أُناشدُ من يدرى ويعلمُ ما أُخفى
٤ - ولوْ أنّ خلقَ اللّه راموا بوَصفِهمْ
تباريحَ ما بى قصّروا عن مدى الوصفِ
٥ - فيا برْحَ أحزانى ويا درّ عبرتى
ويا ويْلتى ماذا لقيتُ ويا لهْفِى
٦ - أليْسَ بحسْبى أن أبيعَ كرَامَةً
بذلّ وأن أُعطِى المُبَهْرَجَ بالصّرْفِ

(٥) فى رواية: فيا رعى أحزانى ويا ورد عبرتى، والرعى: المراقبة.
(٦) المبهرج: الدرهم الزائف. الصرف: الخالص وأراد الدرهم الصحيح.

٧ - ولَوْ أنصفْتِني في المودَّةِ والهوَى

رضيتُ ويُرْضِيني أقلُّ من النِّصْفِ

٨ - فيا ربِّ ألِّفْ بينَ قلبي وقلبِها

لكيلا تعدَّى بي أمامي ولا خلْفِي

٩ - ويا ربِّ صبِّرْني على ما أصابَني

فأنتَ الذي تَكْفِي وأنتَ الذي تُعْفِي

١٠ - ويا ربِّ عذِّبْها بما بي منَ الهوَى

ولا كالذي عذَّبتَ قارُونَ بالخَسْفِ

١١ - أصُدُّ إذا ما مرَّ بي بعضُ أهلِها

بوَجهي وتأبَى المُقلتانِ سوَى الذَّرْفِ

١٢ - يُبَيِّنُ لساني عَن فُؤادي ورُبَّما

أسرُّ لساني ما يبُوحُ بهِ طَرْفي

١٣ - فلَوْ قامَ خلقُ اللهِ صفّاً وأفْرَدَتْ

لَشَايَعْتُهَا وَحدي وملتُ عن الصَّفِّ

١٤ - أُعيذُكِ أنْ تَشقَيْ بقتلي فإنَّني

أخافُ عليكِ اللَّهَ إن سمتني حتْفِي

١٥ - فإنْ شئتِ حرَّمتُ النِّساءَ سواكُمُ

بحِلْفٍ وأيمانٍ وحقٌّ لكُمْ حِلْفي

١٦ - وما بي دَمي بل لي إذا متُّ راحةٌ

ولكن لكيما تَسلَمي فاسمَعي هَتْفي

(٨) تعدى: تتعدى. تتجاوز.

(١٠) قارون: أراد به الذى جاء ذكره فى القرآن الكريم، وهو وزير فرعون، كان متكبرا ظالما بنفسه، وقد ابتلعته الأرض.

١٧ ـ فَلوْلاك مــا زَيِنْتُ نفــسى بزينَةَ
ولَوْلاكِ مــا أَلَّفتُ حرْفــاً إلى حرْفِ
١٨ ـ إذا القلبُ أوْمــا أن يَطيــرَ صبَــابةً
ضــربتُ له صدرى وألزَمْتُهُ كفى
١٩ ـ يَهُمُّ فلـــــولا أنّ صدْرِى حِجَابُهُ
لطَار دراكـــا أو تَحَامَلَ بالجدْفِ
٢٠ ـ كــأنّ جَنَاحيــه إذا هَاجَ شَوْقُه
يدَا قَيْنَةٍ هوجـاء تضــربُ بالدُّفّ
٢١ ـ ألا هَلْ إلى قَلبى سبــيلٌ لعَلَّنى
أمرُّ جـنَاحيْه عـلى القَصّ والنّتْفِ
٢٢ ـ إذا مـا ذكرْتُ الهـجرَ للقلبِ لم يَزَلْ
يُعـذّبنى بالســيرِ طَوراً وبالوقفِ
٢٣ ـ يُطاوِعنى حــتى إذا قلتُ قَد أتى
وتابعنى لا شكَّ مــالَ إلى الصّدْفِ
٢٤ ـ أُقــاتلُ عنَ قَلبى الهوَى فكأنّنى
وإيّاهُ نزّالان فى مُلتـــقَى الزّحْفِ
٢٥ ـ لأيةِ حــالٍ يَســتَحلُّ الهوى دَمى
لأعـــذَرهُ؟ أُفٍّ لهذا الهوَى أُفّا!
٢٦ ـ وأُقسِمُ مـا بِى عنَهُ ضَعْفٌ بِحَالَةٍ
ولَوْ قَد تَراءى لى لما كنتُ أستَعفى

(١٨) أوما، مسهل أومأ: أشار.
(٢٣) فى رواية: الطرف. وللطرف من الناس الذى لا يثبت على صحبة أحد.
(٢٦) فى رواية: ضعف فما له!

(٢)

١ ـ يا دارَ فـــوزٍ لقـــد أورثْتِنى دَنَفَا
وزادَنى بُعـــدُ دارى عنكُمُ شـــغَفَا

٢ ـ حـتى مـتى أنا مكروبٌ بذِكــركُمُ
أُمــسِى وأُصــبحُ صبًّا هائمــاً دَنِفا

٣ ـ لا أســتــريحُ ولا أنســاكُمُ أبَداً
ولا أرى كَرْبَ هذا الحبِّ مُنكشــفَا

٤ ـ مـا ذُقْتُ بعدَكمُ عـيـشاً سُرِرْتُ به
ولا رأيــتُ لــكــمْ عِدْلاً ولا خَلَفَا

٥ ـ إنى لأعـــجَبُ مِن قلبٍ يُحـــبُّكمُ
ومـــــا رأى مـنـكُمُ بِرًا ولا لَطَفَا

٦ ـ لوْلا شقَاوَةُ جدِّى مـــا عرَفـــتُكمُ
إنَّ الشَقىَّ الذى يشــقَى بمن عرفَا

٧ ـ مـــا زِلتُ بَعـــدَكُمُ أهذى بذكــركُمُ
كــأنَّ ذكــرَكُمُ بالقلبِ قــد رُصِفَا

٨ ـ ياليتَ شِعرى ومـا فى ليتَ من فَرَجٍ
هل مـا مـضَى عـائدٌ منكم ومَا سلَفَا

٩ ـ اصرِفْ فـؤادَكَ يا عـبّاسُ مُنصـرِفـاً
عنها يكنْ عنك كرْبُ الحبِّ منصرِفا

---

(١) الدنف، من دنف المريض: ثقل مرضه ودنا من الموت.
(٤) العدل: النظير والمثل، وفى رواية: عدلا ولا نصفاء أى عدلا وإنصافا.
(٧) أهذى: أتكلم بغير معقول.
(٩) فى رواية: مصطبرا عنها.

١٠ ـ لوْ كـــانَ ينســاهُمُ قَلْبِى نَسِيـتُهُمُ
لـكنَّ قَلـبـى لَهُمْ والـلـهِ قـــــد ألِفَا

١١ ـ أشكـو إليـك الـذى بـى يـا مُعَذِّبَتى
ومَا أُقـاسى ومـا أَسْطِيعُ أن أصـفَا

١٢ ـ يا همَّ نَفسى ويا سمعى ويا بَصرى
حـتى مـتى حبُّكُمْ بالقلبِ قـد كَلِفَا

١٣ ـ مـا كنتُ أعلَمُ مـا هَمٌ ومَا جَزَعٌ
حـتى شـربتُ بكأسِ الحبِّ مـغـتـرِفَا

١٤ ـ ثارَتْ حرارَتُها فى الصّدرِ فاشتعلَتْ
كـــأنَمــــا هىَ نـارٌ أطْعَمتْ سَعَفَا

١٥ ـ طـافَ الـهوَى بـعــــبادِ الله كُلِّهِمُ
حــتى إذا مــرَّ بى مِنْ بيَنِهمْ وَقَفَا

١٦ ـ إذا جـحـدتُ الـهوَى يوْمـاً لأدفنَهُ
فى الصّدرِ نَمّ علىَ الدّمعُ مُعـتـرفَا

١٧ ـ لـم ألـقَ ذا صِفَةٍ لـلـحُبِّ يَنـعَتُهُ
إلا وَجـدتُ الذى بى فـوْقَ مـا وَصَفَا

١٨ ـ يُضحى فُؤادى بـهذا الحُبِّ مُلتحـمـا
وَقـفـاً ويُمــسِى علىَ الحبُّ ملتَحِفَا

١٩ ـ مـا ظنُّكُمْ بِفــتىً طالتْ بَلِيَّتــهُ
مُروَّعٍ فى الـهــوَى لا يأمَن الـتَّلَفَا

٢٠ ـ يا فوْزُ كيفَ بكم والدَّارُ قد شَحَطَتْ
بِى عنكُمُ وخــروجُ النَّفس قـد أزِفَا

(١٤) السعف: جريد النخل، الواحدة سعفة.
(٢٠) شحطت: بعدت . أزف: قرب.

٢١ ـ قد قُلتُ لمّا رأيتُ الموت يَقصِدُني
وكاد يهتِفُ بي داعيهِ أو هَتَفَا

٢٢ ـ أموتُ شَوْقاً ولا أُلقاكُمُ أبداً
يا حَسَرتَا ثمّ يا شوْقا ويَا أسفَا

(٣)

قال يصف لعبة الكرة والصولجان:

١ ـ ركبْنَا وفتيانَ صدقٍ ثبينَا
طُخَارِيَّةً قُرَّحاً يعتلينَا

٢ ـ علينا من الصِّين قَسِّيَّةٌ
علَوْنا بها واللُّبود المتُونا

٣ ـ خَرَجْنَا شباباً ذَوِي نجْدةٍ
لنلهو عليها بضَرْبِ الكُرينَا

٤ ـ بني سادةٍ من بنات الملو
كِ قد ملكوا الناسَ دهراً وحينَا

٥ ـ فسارتْ بنا ركْضاً في الفلا
عجالاً ونحثُّها مُعْجلينا

٦ ـ فَهُنَّ ينازِعْنَنَا شُزَّباً
ونحن نعطِّفُها كيف شِينَا

---

(١) طخارية صفة للخيل. وتعنى الفارهة والنشيطة، والقرح: واحدها قارح. أي تامة النمو. يعتلين: ينشطن في العدو.

(٢) القسية: ضرب من الثياب الصينية من كتان مخلوط بالحرير. واللبود ما يوضع على ظهر الفرس من سرج وخلافه.

(٣) الكرينا جمع. مفرده الكرة.

(٦) شزباً: أي مضمرات.

٧ - فلمـــا اجـــتـــمــــعنا بميْداننَا

علي وفق مــفــتــرقِ الراكــبــينا

٨ - وقـــد ســـدّدُوا عـــقْدَ أذنابهَا

فـــمـــا يأتـلونَ ومـــا يأتلينا

٩ - وصــرْنَا فــريقين فى مــجــمَع

فــأحــسنْ بـهنّ قـــريناً قَرينا

١٠ - ومـــينـا بمتـــــصل حرْزُها

تـلوْنَ فـى حرْزَها الحـــــارزُونا

١١ - إذا رَفَعــــــوهـا بعَود الخلاف

رَفَعْنَا جمـــيــعــاً إليــهـا العُيونَا

١٢ - فــمن راكضٍ مــائلٍ نحــوها

وأصــحــابُه نحــوها راكــضــونا

١٣ - ومنْ واقـفٍ راكـبٍ فــــارهـاً

ليــمــضى عليـــه فــريداً مكيناً

١٤ - ومنْ مُخــطِئٍ حــينَ طـــابَتْ لَهُ

فظلّ لما فـــات منـهـــا حَزيناَ

١٥ - تَرى بعـــضنـا راكـــبـــاً مُدْبِراً

وبعــضــاً على ضَربِها مُقــبليناَ

١٦ - ومـــا المدبرون من المقـــبلين

ومـــا المقـــبلونَ منَ المدبـرينَا

---

(١٠) حرزها: الحرز الحفظ وحرزها: حفظها، يريد رمينا بكرات متتابعة مما حفظه الرماة أو اللاعبون بالكرة والصولجان. وتلون فى حرزها أى افتنى وتعددت محاولات اللاعبين بها فى نيلها واحتوائها.

(١١) الخلاف: ضرب من الشجر لا يثمر كالصفصاف، ويقصد بعود الخلاف مضرب الكرة يتخذونه من ذلك الشجر.

(١٣) فارها: أى جوادا نشيطا سريع الحركة.

١٧ ـ تخـــالهم قصدوا للقـــا

ء ومـــا يرتمون مـــا يطعنونا

١٨ ـ يخوضون بالقمـــر إنْ سبقوا

وكلٌّ يخـــالهم لاعبـــينا

١٩ ـ ترانـــا نـــصيـــح بطـــيّارةٍ

أمنّا قوائمـــهـــا أن تخونا

٢٠ ـ إذا مـــا أردْنا بهـــا معْطفا

وجـــدنا بهـــا طوع عطفٍ ولينا

٢١ ـ تكاد إذا مـــا عطفنا بهـ

نّ أن ينثنين وما ينثنينا

٢٢ ـ فلمّا لعـــبْنا وطابتْ لنا

وفـــاز بأطيـــبـــها الغـــالبونا

٢٣ ـ عطفْنا إلى منزلٍ حـــاضـــرٍ

كثيرِ اللذاذة مستبشرينا

٢٤ ـ وقـــد أحكمـــوا جمْع آلاته

وكنّا بأحكامه الآمـــرينا

٢٥ ـ فلمّا انتـــهيْنا إليـــه وقدْ

حننّا إليـــه جـــمـــيـــعاً حنينا

٢٦ ـ أقمْنا على أنّهـــا نعـــمـــةٌ

تقرّ بهـــا أعين الناظرينا

---

(١٨) يخوضون بالقمر بالضم: يعنى بالأفراس أو الجياد البيض، إذا قرئت بالفتح القمر: فمعناها من القمار أى يخوضون حلبة الملعب بأفراسهم مقمرين أن يفوزوا.

(١٩) طيارة صفة مبالغة طائر وطيارة يقصد الأفراس والخيل السريعة.

٢٧ ـ نُكِبُّ ونَبـــزِلُ مـــثـلَ الـغزا
ل لـم تَحـــمِلْ الرأسُ مـنـهُ قُرونَا
٢٨ ـ نُديرُ عـلى القــوم مُستَنزلاً
لهم بالشّرابِ كـفـيـلاً ضَمـينا
٢٩ ـ يظـلُّ لأكـــؤُسـهم راكعَـا
كـثـيـرَ السُّجـودِ ومـا يركَعـونَا
٣٠ ـ يـديـرون أكــؤُسَ مـن فضّةٍ
ومـا يَفْتُـرونَ ومـا يمتـرونَـا
٣١ فـخـفت على ذاكَ أيدى السُّقَاة
وطَابـتْ بـه أنـفُسُ الـشَاربـينَا
٣٢ ـ ونَحـنُ عـلـى حُسْنِ آدابنَا
نُديـر الـكـؤوسَ عـلـينَا يمـينَا
٣٣ ـ إذا مــا أُمِرّتْ عـلى أولـينَ
مـن الـشــاربـين أتـتْ آخِرينـا
٣٤ ـ فـلاهى تَفـتـرُ من مـرِّها
ولا نَحنُ من شـربهـا فـاترونا
٣٥ ـ إذا أمـكنتْ بعـضنـا لم يزلْ
يُرَفِّعُهَا أويَصُكّ الجـبـينَا
٣٦ ـ ولـسْنَا نُؤخِّرُ مِن شُربهـا
فَنَجـعَلَ منـهـا علَينا ديُونا

(٢٧) نكب: نميل، ونبزل: نثقب من بزل الدن. ثقبه لتخرج منه الخمر.
(٢٨) مستبزلا، شرابا مصفى، أو دنا مثقبا، مليئا بالشراب كفيلا، ضمينا بإمتاعهم وكفايتهم.
(٣٠) يفترون: يتعبون. أو يسكنون. ويمترون: يتجادلون ويتنازعون.

٣٧ ـ نَحيَا بها ونُسقَّى معاً

ونُتْبِعُها الورْدَ والياسمِينا

٣٨ ـ وعينُ الجواري يغنيننا

بها نتلهَّى وما يلتهينا

٣٩ ـ حِسانُ الوجوه عِظامُ الجسُوم

كغزلان بريَّة يرتعينا

٤٠ ـ يكدْنَ إذا هنَّ غنَّيننا

لنا يلتوينَ وما يلتوينا

٤١ ـ رَضينا بهنَّ للذَّاتنا

هُناكَ وهُنَّ بناقَد رَضينا

٤٢ ـ إذا النَّايُ جاوبَ أصواتَهنَّ

وأوتارَهُنَّ فرنَّتْ رَنينا

٤٣ ـ وروَّعنَ بِالصُبْحِ أبْصرْتَنا

نُفَدِّى بأنفُسنا أجمعينا

٤٤ ـ فنحنُ على تلك مِن حالنا

كأنَّا سيوفٌ لذاكَ انتضُينا

٤٥ ـ نُحبُّ السَّماعَ ونَلْتَذُه

ونَشْربُ ما عندنا آمنينا

٤٦ ـ وفي تلكَ نُنْفقُ أمْوَالَنَا

ونشربُها أبداً ما بَقينا

٤٧ ـ نظلُّ الشُهورَ وأيامَها

على مثلِ ذاكَ وطولَ السِّنينا

ـ ٤ ـ

وقال (١) :

١ ـ بكتْ غيرآنسةٍ بالبكا
ترى الدّمْعَ فى مُقْلَتيْها غرِيباَ

٢ ـ وأسْعدَها بالبُكا نِسوَةٌ
جعلْنَ مغيضَ الدُّموع الجيوبَا

٣ ـ كفى حسرةً أن جيراننا
أعدُّوا لوقت الرحيل الغروبا

٤ ـ فلو كنتُ بالشمس ذا طاقةٍ
لكنتُ أمنعُها أن تغَيباَ

٥ ـ أيا من تعلقته ناشئا
فشبتُ ولم يأنْ لى أن أشيباَ

٦ ـ ويا من دعانِى إلى حبّه
فلبيْتِ لمّا دعانى مُجِيباَ

٧ ـ وكم باَسِطِينَ إلى وصلنا
أكُفُّهُمْ لم ينالوا نَصيبا

٨ ـ لعمرى لقد كذب الزاعمون إن القلوب تجازى القلوبا

٩ ـ ولو كان ذاك كما يذكرون ما كان يشكو محبٌ حبيباَ

★ ★ ★

١٠ ـ وأنتِ إذا ما وطئت الترا
بَ صارَ ترابُك للناسِ طيباَ

---

(١) ترد هذه الأبيات مقطعة فى الديوان، ويذكرها ابن قتيبة فى الشعر والشعراء جـ ٢/ ٧٠٨ ـ ٧٠٩.

أبو الشيص
(ت ١٩٦ هـ)

هو محمد بن رزين بن سليمان بن تميم بن نهشل.. بن خزيمة .. بن عامر بن ثعلبة.

وكان أبو الشيص لقبا غلب عليه، وكنيته أبو جعفر، وهو عم دعبل بن على الشاعر المشهور، وكان أبو الشيص من شعراء عصره متوسط بوقوعه بين مسلم بن الوليد وأشجع وأبى نواس، فتأثرت شهرته بواسع شهرتهم حيث تقدموا وخمل عنهم.

وانقطع أبو الشيص إلى عقبة بن جعفر الأشعث الخزاعى، وكان أميرا على الرقة فمدحه بأكثر شعره، وكان عقبة جوادا فأغناه عن غيره.

ومن آثار أبى الشيص ديوان شعر جمعه أبو بكر الصولى، ولأبى الشيص ابن شاعر يقال له عبد الله صالح الشعر، وكان منقطعاً إلى محمد بن طالب، وعن هذا الابن أخذ جامع شعر أبيه.

ومدح أبو الشيص الرشيد بمدائح كثيرة، ولما مات الرشيد رثاه ومدح محمداً الأمين.

وقد أعجب ابن المعتز بشعره، وأنكر صاحب الأغانى على ابن المعتز إسرافه الشديد فى مدح شعر أبى الشيص، وقد أصيب فى آخر عمره بالعمى ومما قاله فى بكاء عينيه:

يـا نـفـسُ أبـكـى بـأدمـعٍ هُتن

رواكف كـالجـمـانِ فى سنَنِ

عـلـى دلـيـلـى وقـائدى ويـدى

ونـور وجـهـى وسـائس الـبـدنِ

أبكى علـيـهـا بهـا مـخـافـة من

تَقْرنـنـى والـظـلامَ فـى قَرَن

وقال ...

١ ـ أشـاقكَ والـلـيلُ مُلْقى الجرانِ

غـرابٌ يَنوحُ عـلـى غُصْنِ بانِ

٢ ـ أَحَمُّ الجناحِ شـديدُ الصـيـاح

يُبـكـى بـعـيـنـين لا تَهْمُلان

٣ ـ وفـى نعَبـاتِ الـغـرابِ اغـتـرابٌ

وفـى الـبانِ بيْنٌ بـعـيـدُ التَّدانِ

٤ ـ لـعـمـرى لئن فَزِعَتْ مـقـلتـاك

إلـى دمـعـةٍ قَطْرُها غـيـرُ وان

٥ ـ فَحُقٌ لـعـيـنـيـكَ ألا تجـفٌ

دمـوعـهـا وهمـا تَطرفـانِ

٦ ـ ومَنْ كـان فـى الحىّ بالأمس منكَ

قـريبَ المكان بعـيـدُ المكانِ

٧ ـ فـهـل لك يا عـيشُ من رَجْعـةٍ

بـأيّامك المـونقـاتِ الحِسـانِ

٨ ـ فـيـا عـيـشَنا ـ والهـوى مُورقٌ

لـه غُصنٌ أَخْضـرُ الـعُودِ دانِ

(١) الجران: باطن العنق من البعير وغيره. وألقى فلان على هذا الأمر جرانه: وطن نفسه عليه. وضرب الحق بجرانه: ثبت واستقر.

(٢) أحم الأمر فلانا: أهمه.

٩ ـ لـعلَّ الـشَّبـــــــــاب وريعانَه
يُسَوِّدُ مـــا بيَّضَ القـــادمـــانِ

١٠ ـ وهيـهـات يا عــيشُ من رجْعـةٍ
بأغـــصـــانكَ المائلاتِ الدّوانى

١١ ـ لقــد صدع الشــيْبُ مـــا بيننا
وبينك صدْع الرِّداء اليــمـــانى

١٢ ـ عـليك الـســـلامُ فكم لـيلـةٍ
جمـــــوحٍ دليلٍ خليـعِ العنانِ

١٣ ـ قَصَرتُ بكَ اللهْوَ فى جــانبـيــه
بِقَرْعِ الدُّفـوفِ وعــزفِ القــيـانِ

١٤ ـ وعذْراء لمْ تَفْتَرِعْهَا الـسُّقـــــاةُ
ولا استامـهـا الشَّرْبُ فى بيتِ حـانِ

١٥ ـ ولا احـــــــتلَبْت درَّهـا أرْجُلٌ
ولا وَسمَتْهـــــــــا بـنـارٍ يدانِ

١٦ ـ ولكنْ غذَتْهـــا بـألبـــانهـــا
ضُرُوعٌ يَحُفُّ بـهــــــا جدْولانِ

١٧ ـ إلى أن تحــوّل عنهـــا الصِّبـــا
وأهْدى الفطامَ لهـــا المرضــعـانِ

١٨ ـ فـــأحـــسبـهـــا وهى مكْروعــةٌ
تمجُّ ســــــلافتَهـــــا فـى الأوانِ

(٩) القادمان: يقال قادمان لكل ما كان له آخران ـ فى الغالب ـ ، ولعله يقصد فى السياق الليل والنهار.
(١٤) الشرب: بفتح الشين جمع شارب، وعذراء لم يفترعها السقاة: يقصد الخمر الصهباء التى تشرب للمرة الأولى.
(١٨) مكروعة ، تقول: كرع فى الماء أو الاناء تناوله بفيه من موضعه من غير واسطة.

١٩ ـ عناقـيـد أخلاقُهـا حُفَّلٌ
بمثلِ الدماءِ القواني

٢٠ ـ فلم تزل الشمسُ مشغولةً
بصبغتها فى بطونِ الدنان

٢١ ـ ترشحها للئامِ الرجال
إلى أن تصدّى لها الساقيان

٢٢ ـ ففضّا الخواتيم عن جونةٍ
صدوفٍ عن الفحلِ بكرٍ عوانِ

٢٣ ـ عجوزٍ غدا المسكُ أصداغها
مضمّخةَ الجلدِ بالزعفرانِ

٢٤ ـ يطوفُ علينا بها أحورٌ
يداهُ من الكأسِ مخضوبتانِ

٢٥ ـ ليالىَ تُحسَبُ لى من سنّى
ثمانٍ وواحدةٌ واثنتانِ

٢٦ ـ غلامٌ صغيرٌ أخو شِرَّةٍ
يطيرُ معى للهوى طائران

٢٧ ـ جرورُ الأزارِ خليعُ العذار
علىَّ لعهدِ الصبا بُرْدتانِ

٢٨ ـ أصيبُ الذنوبَ ولا أتّقى
عقوبةَ ما يكتُبُ الكاتبان

---

(٢٦) الشرة: الحدة فى الرغبة أو الشر أو غيرهما.

(٢٨) الكاتبان: يريد بهما فى هذا السياق الملكين الموكلين بكتابة أفعال المرء. كما جاء فى القرآن الكريم ﴿إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد (*) ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ الآيتان ١٧، ١٨ من سورة « ق ».

٢٩ ـ تَنَافسُ فيَّ عــيــونُ الرِّجــالِ
وتعثُرُ بي في الحُجــول الغــواني

٣٠ ـ فــأقْصــرتُ لما نَهــاني المشـيب
وأقْصرَ عَن عذْلِي الـعـــاذلانِ

٣١ ـ وعـــافتْ عيَــوفٌ وأتْرابُهـــا
رُنُوَّ إليــهـــا وملَّتْ مكانـي

٣٢ ـ وراجــعتُ لمّا أطار الشــبــابَ
غــرابان عن مـــفْرقى طائِرانِ

٣٣ ـ رأتْ رجـــــلاً وسمَتْه الـسَّنون
برَيْبِ المشــيب وريْبِ الزّمــان

٣٤ ـ فَصدَّت وقــالت: أخــو شـيـبـةٍ
عـــديمٌ، ألا بئْستِ الحـــالتـــان

٣٥ ـ فـــقلت: كــــذلكَ مَنْ عَضَّهُ
مِنَ الــدهــر نـــابـــاه والمِخْلَبَانِ

٣٦ ـ وعُجْتُ إلــى جمَـــلٍ بـــازلٍ
رحــيبِ رحى الزور فــحلٍ هجــانِ

٣٧ ـ سـبــوحِ اليـدين طمـوحِ الجـرانِ
غـــؤولٍ لأنســـاعـــه والبطانِ

---

(٢٩) الحجول: حجلة (بفتح الحاء والجيم وهى ساتر كالقبة مزين يضرب للعروس).

(٣١) رنوى إليها: نظرى إليها، من رنا بمعنى نظر.

(٣٦) جمل نابه: طلع نابه وذلك فى السنة الثامنة أو التاسعة، وهى كناية عن كمال التجربة نقول بزل الرجل: كملت تجربته. رحى الزور: هى كركرة البعير إذا برك. والهجان من الابل: الكرام.

(٣٧) سبوح اليدين: منبسطهما مع سرعة واستقامة فى الحركة، الجران: مقدم العنق. النسع: السير يجعل زماما للبعير وغيره. والبطان الحزام الذى يجعل تحت بطن البعير. ومعنى غذول لأنساعه والبطان: أى أنه لقوته وفتوته لا يتأثر بشد الأحزمة والأربطة، فهو لفرط شبابه وقوته لانجد أثرها غائرا فى جسده.

٣٨ ـ فـعـضّيت أعـواد رحلي به

ونـابـاه مـن زَمـعٍ يـضـريـان

٣٩ ـ فلمـا اسـتـقلّ بأجْرانه

ولأن على السـيـر بعضَ اللّيـانِ

٤٠ ـ قطعتُ بـه مـن بـلادَ الشـآم

خُرُوقـاً يضلّ بهـا الهـاديانِ

٤١ ـ إلـى ملكٍ مـن بـنـى هـاشـمٍ

كـريم الضّرائب سـبْط البنانِ

٤٢ ـ إلى علَم البـأسِ، فى كـفّه

من الجـود عـينان نضّاخـتـانِ

ومن جيد شعره (*) ، قال في مدح عقبة بن جعفر.

١ ـ أبْقى الزمـانُ به ندوبَ عِضـاضِ

ورمـى سـوادَ قـرونه بـبـيـاضِ

(٣٨) عضيت: مخفف عضضت بصاحبى: أى لزمته ولزقت به. والزمع : الدهش.

(٣٩) استقل بأجرانه: بأحماله وأثقاله.

(٤٠) خروق: يقصد الأرض الواسعة التى تنخرق فيها الرياح وتعصف بشدة.

الهاديان: ربما تقصد بهما العقل والقلب حيث يهديان صاحبهما إلى ما يريد فى مثل هذا الطريق المزدحم بالمخاوف، ولعله يقصد الصاحبين يهديانه الطريق. والأول أقرب.

(٤١) الضريبة: الطبيعة والسجية وجمعها ضرائب. البنان: أصابع اليد وسبط البنان: طويل الأصابع والمقصود الكناية عن السخاء ووفرة الكرم.

(٤٢) نضاختان مثنى نضاخة بمعنى فوارة غزيرة، وفى القرآن الكريم «فيهما عينان نضاختان» (الآية ٥٥ سورة الرحمن).

(*) طبقات ابن المعتز (ص/ ٧٥)، الأبيات (١١ ـ ١٦) فى: الحماسة (٢/ ٦٩٩ ـ ٧٠٠) وأبيات منها في: نكت الهميان ص/ ٢٥٨)، والشريشى (١/١٤٢) وشرح الدرة (ص/٢٣٦). والحماسة البصرية (١/١٢٥). وعيون الأخبار (٤/٣٢)، وعيار الشعر (ص/٧٤) وتاريخ بغداد (٥/٤٠١،)، والإعجاز والإيجاز (ص/١٧٠). واللسان (مادة/ قرض). والموشى (ص/٨٢ ـ ٨٣)، والأغانى (١٥/١٠٤ ـ ١٠٧). والزهرة (١/٩٣٤٢. والصناعتين (/٣٢٩. ٣٦٢ ـ ٣٦٣ ـ ٤١٤). والشعر والشعراء (٢/٧٢٣) ونقد النثر (ص/٧٨)، وأمالى المرتضى (١/٦٢٣)، و(٢/١٣٣). وتاج العروس (مادة/نقض) والفوات

٢ ـ نفـرتْ به كـأسُ النديم وأغـمـضتْ
عنه الكوَاعِبُ أيّمـا إغـمــاضِ

٣ ـ ولربما جُعلتْ مـحـاسنُ وجْهِـه
لجـفـونهـا غـرضـاً من الأغـراضِ

٤ ـ حـسرَ المشـيبُ قناعـه عن رأسـه
فـرمَيْنَه بالـصدّ والإعــراضِ

٥ ـ اثنان لا تصـبـو النسـاء إليـهـمـا
ذو شـيـبـة ومُحـالفُ الإنفـاضِ

٦ ـ فـوعـودهنّ إذا وعـدنك باطلٌ
وبروقُهن كـواذِبُ الإيمـاضِ

٧ ـ لا تُنـكـرى صدَى ولا إعراضـى
ليس المقل على الزمـان براضِ

٨ ـ حلِّى عِقـال مطيّتى لا عن قلىً
وامـضى فإنى يا أُميـمـةُ مـاضِ

٩ ـ عُوِّضْتُ عن بُرْدِ الشـبـاب مُلاءةً
خَلَقاً وبئس مـعـوضَة المعتـاضِ

(٢٨٢/٢) والتمثيل والمحاضرة (ص/٨٧) ويتيمة الدهر- - (٣٦٨/٣). والطرائف الأدبية(ص/٤٥). والوافى بالوفيات (٣٠٢/٣) وسر الفصاحة (ص١٧٥) والبرهان فى وجوه البيان (ف/٩٦) معاهد التنصيص (٤٨٨/٤، ٤٩٤) وفيه: قال أبو الشيص: لما أنشدت هذه القصيدة لعقبة بن جعفر، أمر بأن تعد وأعطانى لكل بيت ألف درهم، والأشباه والنظائر (٢١٨/١) والصبح المنبى (ص/٤٦) والمنتحل (ص/١٧٦) وخاص الخاص (ص/٨٩) بالتبيان فى شرح الديوان (٣٦٠/٣). ومحاضرات الراغب (٩٠٥/٢ و٦١٧/٤) والرسالة الموضحة (ص/٧٤) البيت (٢٧). ومجموعة صالح السعدى (ق/٨٠) ومجموعة شعرية مخطوط (ق/١٢٠) مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، برقم (٣٨٠٩ أو ٥٧٣٤)، و (١، ٢، ٥) فى: حماسة الظرفاء (٥٩/٢) و(١٧) فى: خلاصة الذهب المسبوك ص: ١٨٢.

(١) ندب الجرح: صلب أثره (بضم اللام) ويذب (بكسر الذال) جسمه ظهرت فيه الندوب وهى الآثار والعلامات الدالة على جرح أو مرض. العضاض (بكسر العين) الصبور على الشدة. وأصل العض: المسك بالأسنان. والمعنى: أبقى الزمان به آثار قسوته وشدته عليه. ورمى سواد قرونه ببياض: أى أحال سواد شبابه وشعره إلى بياض بسبب القسوة عليه.

(٥) الأنفاض من أنفضوا إذا هلكت أموالهم وفنى زادهم.

(٦) الايماض من الومض: بمعنى لمع البرق خفيفا وظهر.

١٠ ـ أيّام أفراس الشباب جوامحٌ
تأبى أعنّتُها على الرُّوّاضِ
١١ ـ وركائب صرَفتْ إليكَ وجوهَها
نكباتُ دهْرٍ للفتى عضّاضِ
١٢ ـ شدُّوا بأعواد الرّحال مطيّهم
من كلّ أهوجَ للحصَى رَضّاض
١٣ ـ يرمين بالمرء الطَّريقَ وتارةً
يحذفْنَ وجْهَ الأرضِ بالرّضْراض
١٤ ـ قَطَعُوا إليكَ رياضَ كلِّ تنوفة
ومَهَامهٍ ملْسِ المتونِ عِراضِ
١٥ ـ أكَل الوجيفُ لحومَها ولحومهم
فأتوك أنْقاضاً على أنقاضِ
١٦ ـ ولقد أتتكْ على الزّمانِ سواخطاً
فرجعنَ عنك وهنّ عنه رَواضِ
١٧ ـ إنّ الأمانَ من الزّمانَ وريبه
يا عقْبَ شَطّا بَحْرِكِ الفيّاضِ
١٨ ـ بحرٌ يلوذ المعتفُونَ بنَيْله
فعْمُ الجداول مُتْرَعُ الأَحواضِ
١٩ ـ ثَبْتَ المقام إذا الْتَوى بعدوّه
لم يخْشَ من زَلل ولا ادْحاضِ

---

(٨) القلى: البغض والكراهية.

(٩) برد الشباب: عباءة الشباب كناية عن القوة والفتوة. الخلق: البالي.

(١٠) الرواض: جمع رائض وهو من يروض ويرد الفرس عن الجموح وهو الفارس المعلم.

(١٢ ، ١٣) الرضراض: هو الحصى أو ما دق منه.

(١٤) التنوفة: البرية لا ماء فيها ولا أنيس. المهمه: المفازة البعيدة والبلد المقفر والجمع مهامه. المتون: الظهور. عراض: واسعة.

(١٥) الوجيف: السير السريع.

٢٠ - غَيْثٌ توشَّحتِ الرياضِ عهـــاده
لَيْثٌ يطوفُ بغــابةٍ وغــيــاضِ
٢١ - ومـشـمِّرٍ للمـوت ذَيْلُ قـمـيصـه
قــانى القناةِ إلى الرَّدى خــوّاضِ
٢٢ - لأبـى مــحــمّدٍ المرجّى راحــتــا
مــلـكٍ إلــى أعْلَى الـعُلَى نــهّاضِ
٢٣ - فَيَدٌ تــدفّقُ بــالــنَّدى لــولــيِّه
ويدٌ علـى الأعــداء سمٌّ قــاضِ
٢٤ - وجناح مـقـصـوص تحـيِّف ريشه
ريبُ الزمـــان تحــيُّفَ المقــراضِ
٢٥ - أنْهَضْتَه ووصلْتَ ريش جناحـــه
وجــبْرتَه يا جـــابرَ المنْهَاضِ
٢٦ - نَفْسى فداؤك أىُّ ليْثِ كــتــيــبــةٍ
يُرْمَى بهـــا بين القَنا المرفـــاضِ
٢٧ - ومنازلٍ للقِرْن يسْحَب فــاضــةً
علَق النَّجـيعُ بثـوبهـا الفَضْفَاضِ

---

(١٨) المعتفى: طالب المعروف. فعم ومترع: بمعنى ملآن.
(١٩) الإدحاض: الانزلاق.
(٢٠) العهاد: جمع عهد. وهو أول المطر.
(٢١) قانى القناه: القانى: الأحمر. والقناة: أداة القتال. والعبارة كناية عن كثرة قتله الأعداء لشجاعته.
(٢٤) ريب الزمان: نوائبه. المقراض: المقصى. المنهاض: المظلوم المنكسر. تقول نهض فلانا بمعنى ظلمه.
(٢٦) المرفاض (هكذا الأصل) ولعلها الأرفاض جمع رفض وهو ما تحطم من الشئ وتفرق. ويريد به: القناة التى يحطمها ويفرقها.

أشجع السلمي
(ت ١٩٨ هـ)

هو أبو الوليد بن أشجع بن عمرو السُّلَمِيّ، من ولد الشريد ابن مطرود السلمي، تزوج أبوه امرأة من أهل اليمامة، فشخص معها إلى بلدها فولدت له هناك أشجع ونشأ باليمامة. ثم مات أبوه فقدمت به أمه البصرة فطلبت ميراث أبيه. وكان له هناك مال، فماتت بها. وربى أشجع ونشأ بالبصرة فكان من لا يعرفه يدفع نسبته. ثم كبر وقال الشعر فأجاد وعد فى الفحول وكان الشعر يومئذ فى ربيعة اليمن، ولم يكن لقيس عيلان شاعر، فلما نجم أشجع افتخرت به قيس وأثبتت نسبه.

وانتقل إلى بغداد فى أواخر عهد المنصور (١٣٦ - ١٥٨هـ) فمدح ابنه جعفرا، ثم خرج أشجع إلى الرقة والرشيد بها، فنزل على بنى سليم. ومدح البرامكة وانقطع إلى جعفر خاصة. فوصله الرشيد فأثرى وحسنت حاله. ثم حاول بعد نكبة البرامكة أن يتغنى بانتصارات الرشيد على نقفور وفتحه لهرقلة. وله مدائح كثيرة فى الفضل بن الربيع وكان يجيد إلى جانب المدح الرثاء والغزل، وله خمريات جيدة. وقد عاش حتى شهد قتل الأمين عام ١٩٨هـ ومات بعدها بقليل.

فى الرثاء:

١ - مضى ابن سعيدٍ حينَ لم يَبْقَ مَشْرِقٌ
ولا مـغـرب إلا له فـيـه مـادحُ

٢ - ومـا كنتُ أدرى مـا فـواصلُ كفّه
على الناس حتى غيبتْه الصفائحُ

٣ - فـأصـبح فى لحـدٍ من الأرض ميّتـاً
وكـانت به حيّاً تضـيقُ الصّحَاصِحِ

٤ - سأبكيكَ ما فاضتْ دموعى فإن تَغضْ
فـحـسـبك منّى مـا تُجنُّ الجـوانحُ

٥ - ومـا أنا من رزءٍ وإن جلَّ جـازع
ولا بسـرور بعـد مـوتكِ فـارحُ

٦ - كـأن لم يَمُتْ حـىٌّ سواكَ ولم تَقُمْ
عـلى أحـدٍ إلا عـليكَ الـنوائحُ

٧ - لئِنْ حَسُنَتْ فـيك المراثى وذكـرُها
لقـد حَسُنَتْ من قـبلُ فـيك المدائحِ

خمرية:

١ - ولقـد طعنت الليلَ فى أعـجـازه
بالـكأسِ بين غـطارفٍ كـالأنجم

٢ - يتـمـايلون على النعـيم كـأنهم
قُضُبٌ مـن الـهـندىّ لـم تَتَثـلَّمِ

---

(٢) الفواصل: جمع فاصلة وهو ما يفيض من ندى كفه. الصفائح: أحجار عراض يسقف بها القبر.

(٣) الصحاصح: جمع صحصح وهى الأرض المستوية الواسعة.

(١) الغطارف: السادة الأشراف.

٣ - وسعى بها الظبى الغرير يزيدها

طيباً ويغشمها إذا لم تَغْشم

٤ - والليل مُنْتَقِبٌ بفضل ردائه

قد كاد يَحْسِرُ عن أغرّ أرْثَمِ

٥ - فإذا أدارتْها الأكُفُّ رأيتها

تَثْنى الفصيحَ إلى لسانِ الأعْجَمِ

٦ - وعلى بنان مديرها عِقْيَانَةٌ

من سَكْبِها وعلى فضولِ المِعْصَمِ

٧ - تغلى إذا ما الشِّعْرَيَان تَلَظِّيَا

صيفاً وتسكُنُ فى طلوع المِرْزَمِ

٨ - ولقد فضضناها بِخَاتِمِ رَبِّهَا

بِكْراً وليس البكرُ مثلَ الأيِّمِ

٩ - ولها سكونٌ فى الإناء وخلفها

شَغَبٌ يُطَوِّحُ بالكَمِىِّ المُعْلِمِ

١٠ - تعطى على الظلم الفتى بقيادها

قسراً وتظلمه إذا لم يَظْلِمِ

اعتذار:

أسند جعفر بن يحيى لأشجع ولاية ثم صرفها عنه فمثل بين يديه وقال:

١ - أمُفْسِدَةٌ سعادُ علىّ دينى

ولائمتى على طول الحنين

---

(٣) تغشم: تظلم.

(٤) الأرثم من الخيل: ما كان فى طرف أنفه بياض، أو كان أبيض الشفة العليا.

(٧) الشعريان والمرزم: نجمان.

٢ - ومـــا تدرى ســـعـــادُ إذا تـخلَّتْ
من الأشـجـان كـيف أخـو الشـجـون
٣ - تـنـام ولا أنـام لطـول حــــزنـى
وأين أخــو الســرور من الحــزينِ
٤ - لقـــد راعـــتك عند قَطينِ سُعْدَى
رواحـلُ غـــــاديـاتٌ بـالـقـطـينِ
٥ - كـــأن دمـــوعَ عـــيـنـى يوم بانـــوا
عـــيـــانـاً سَحُّ مُطَّرِدٍ مـــعـينِ
٦ - لقـــد هزَّتْ سنانَ القـــولِ منـى
رجـــال رفيــعـــةٍ لم يعـــرفــونـى
٧ - همُ جـاوزوا حــجـابك يا بن يحـيى
فـــقـــالوا بـالـذى يَهْوَوْنَ دونـى
٨ - أطـافـــوا بى لديكَ وغِبْتُ عنهم
ولـــو أَدْنَيْتَنِـــى لتَـــجَنَّبونِـــى
٩ - وقـد شـهـدت عـيـونُهم فـمـالت
علىَّ وغُيِّبَتْ عنهم عـــيـــونـى
١٠ - ولما أن كـــتـــبتُ بِمـــا أرادوا
تَـدَرَّعَ كل ذى غـــمـــزٍ دفـــيـن
١١ - كـــفـــفتُ عن المقـــاتلِ باديات
وقـــد هيَّأتُ صـــخـــرةَ مَنْجُونِ
١٢ - ولو أرسلتُهـــا دفــعتْ رجـــالاً
وصـــالتْ فى الأَخِشَّةِ والشـــئـون

(٤) القطين: الخدم والحاشية
(١١) المنجنون: الدولاب يستقى عليها.
(١٢) الأخشة: جمع خشاش. وهو العود يجعل فى عظم أنف البعير. الشئون: جمع شأن وهو عرق الدمع.

١٣ ـ وكنتُ إذا هززت حسام قولٍ
قطعتُ بِحُجَتي عَلَقَ الوتين

١٤ ـ لعل الدهر يطلقُ من لساني
لهمْ يوماً وَيَبْسُطُ من يميني

١٥ ـ فأقضي دينهم بوفاء قولٍ
وأُثقِلهمْ لصدقي بالديونِ

١٦ ـ وقد علموا جميعاً أن قولي
قريبٌ حين أدعوهُ يَجيئني

١٧ ـ وكنت إذا هجوتُ رئيس قوم
وسمت على الذؤابةِ والجبينِ

١٨ ـ بِخَطٍّ مثل حرق النارِ باقٍ
يلوح عليَّ الحواجبِ والعيونِ

١٩ ـ أمائلةٌ بِوُدِّكَ يا بن يحيى
رجالاتٌ ذوو ضغنٍ كمينِ

٢٠ ـ يشيمونَ السيوفَ إذا رأوني
فإن وليتُ سلّت من جفون

٢١ ـ ولو كُشِفَتْ سرائرنا جميعا
علمتَ مَنِ البريءُ من الظنّينِ

٢٢ ـ علامَ ـ وأنتَ تعلمُ نُصحَ جَنْبي
وأخذي منكَ بالسببِ المتينِ

٢٣ ـ وعَسَفِي كُلَّ مَهْمَهَةٍ خلاءٍ
إليكَ بكلِّ يَعْمَلَةٍ أمونِ

---

(٢٠) يشيمون السيوف: يدخلونها في أغمادها.
(٢١) الظنين: المتهم.
(٢٣) اليعملة: الناقة النجيبة المطبوعة على العمل. الأمون: الموثقة الخلق المأمونة الكلال. الأثباج: جمع ثبج وهو الوسط من كل شيء.

٢٤ ـ وإحيائي الدُّجى لكَ بالقوافي
أقيمُ صدورهن على المتونِ
٢٥ ـ تُقرِّبُ منكَ أعدائي وأنأى
ويجلسُ مجلسي من لا يليني
٢٦ ـ ولو عاتبتَ نفسَكَ في مكاني
إذاً لنزلتُ عندكَ باليمين
٢٧ ـ ولكن الشكوكَ نأينَ عني
بودِّكَ والمصير إلى اليقين
٢٨ ـ فإن أنصفْتَني أحرقْتَ منْهم
بنُضْجِ الكيِّ أثباجَ البطون

إلى الرشيد:

١ ـ قصرٌ عليه تحيةٌ وسلامُ
نثرتْ عليه جمالَها الأيامُ
٢ ـ فيه اجتلى الدنيا الخليفةُ والتقتْ
للمُلْكِ فيه سلامةٌ وسلامُ
٣ ـ قصرٌ سقوفُ المزنِ دون سقوفِه
فيه لأعلام الهدى أعلامُ
٤ ـ نشرتْ عليه الأرضُ كُسْوتَهَا التي
نسجَ الربيعُ وزخرفَ الإرهامُ
٥ ـ أدْنَتْكَ من ظلِّ النبيِّ وصيَّةٌ
وقرابةٌ وُشِجَتْ بها الأرحامُ

(٤) الإرهام: المطر الخفيف.

٦ ـ برقتْ سماؤكَ فى العدوّ وأمطرتْ
هاماً لها ظلُّ السيوفِ غمَامُ
٧ ـ وإذا سيوفُكَ صافَحَتْ هَامَ العدا
طارتْ لَهُنّ عن الرؤوس الهامُ
٨ ـ أثنى على أيامكَ الأيامُ
والشاهدان: الحل والإحرامُ
٩ ـ وعلى عدُوّكَ يا بن عمّ محمدٍ
رصدان: ضوْءُ الصبح والإظلامُ
١٠ ـ فإذا تنبّه رُعْتَه. وإذا غفا
سلّتْ عليه سيوفَك الأحلامُ

فى شكر الفضل بن الربيع

١ ـ غلب الرقادُ على جفون المُسْهَدَ
وغرقْتُ فى سَهَرٍ وليلٍ سَرْمَدِ
٢ ـ قد جدّ بى سَهَرٌ فلم أرقد له
والنومُ يلعبُ فى جفون الرُّقّدِ
٣ ـ ولطالما سَهِرتْ لحبِّيَ أعينٌ
أُهْدى السهادَ لها ولما أَسْهَدَ
٤ ـ أيام أرعى فى رياض بطالةٍ
ورْدَ الصِّبَا منها الذى لم يُوردِ
٥ ـ لَهْوٌ يساعده الشبابُ ولم أجدْ
بعد الشبيبةِ فى الهوى من مُسْعِدِ

(٩) الرصد: الرقيب.

٦ـ وخفيفة الأحشاء غير خفيفةٍ
مجدولةٍ جدْلَ العِنانِ الأَجْرَدِ
٧ـ غضبتْ على أعطافها أردافُها
فالحرب بين إزارها والمِجْسَدِ
٨ـ خالفتُ فيه عاذلاً لى ناصحاً
فَرَشَدْتُ حين عصيتُ قول المرشد
٩ـ أُقِيمُ محتملاً لضيم حوادثٍ
مع همّةٍ موصولةٍ بالفرقَدِ
١٠ـ وأرى مخايل ليس يخلف نوؤها
للفضل إن رَعَدَتْ وإن لم تَرْعَدِ
١١ـ للفضل أموالٌ أطاف بها الندى
حتى جهدْن وجودُه لم يَجْهَدِ
١٢ـ يا بن الربيعِ حَسَرتُ شُكْرِى بالتى
أَوْلَيْتَنى فى عوْدِ أمرِكَ والبدِى
١٣ـ أوصلتنَى ورَفَدْتَنى وكلاهما
شرفٌ فقأتُ به عيُونَ الحسَّدِ
١٤ـ ووصفْتَنى عند الخليفة غائباً
وأَذِنْتَ لى فشَهِدْتَ أفخر مشْهَدِ
١٥ـ وكَفَيْتَنى مِنَ الرجالِ بنائل
أغنى يدِى عن أن تُمَدَّ إلى يد

---

(٦) العنان: اللجام.
(٧) المجسد: ثوب يلى الجسد.
(٩) الفرقد: نجم قريب من القطب.
(١٠) النوء: سقوط نجم من المنازل فى المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق، والعرب تضيف الأمطار والرياح إلى الساقط منها وقيل إلى الطالع.

فى تهنئة الرشيد بالعيد:

١ ـ لا زلتَ تنشرُ أعـيـاداً وتطويهـا
تمضى بهـا لك أيامٌ وتثنيـهـا

٢ ـ مستقبلا زينة الدنيا وبهجتها
أيامنا لك لا تفنى وتُفْنيهـا

٣ ـ ولا تَقَضَّتْ بكَ الدنيـا ولا بَرِحَتْ
يَطْوِى لك الدهرُ أيامـا وتطويهـا

٤ ـ ولْيَهْنِكَ الفَتْحُ والأيـام مُقْبِلَةٌ
إليكَ بالنصر معقوداً نواصيها

٥ ـ أمْسَتْ هِرَقْلَةُ تَهْوِى من جوانبها
وناصر الله والإسلام يرميها

٦ ـ ملّكْتَهَا وقتلتَ الناكثين بها
بنصر من يملك الدنيا وما فيها

٧ ـ ما رُوعِىَ الدين والدنيا على قَدَمِ
بمثلِ هارون راعيه وراعيها

فى رثاء أخيه:

١ ـ خليلىَّ لا تَسْتَبْعِدَا مـا انتظرْتُمَا
فغير بعيدٍ كلُّ ما كان آتيا

٢ ـ ألا تريان الليلَ يطوى نهارَهُ
وضوءَ النهار كيف يطوى اللياليا

---

(٥) هرقلة: حصن الروم المنيع الذى افتتحه الرشيد.
(٦) الناكثين: الذين خانوا عهدهم.

٣ ـ هما الفتيان المرديانِ إذا انْقَضَتْ
شبيبةُ يوم عادَ آخرُّ ناشيا

٤ ـ ويَمْنَعُنِي من لذة العيشِ أنني
أراهُ إذ قارفتُ لهواً يرانيا

٥ ـ كأن يمينى يوم فارقتُ أحمداً
أخى وشقيقى فارقَتْهَا شماليا

فى مدح جعفر:

١ ـ أتصبر للبَيْنِ أم تجزع
فإن الديارَ غداً بلقَعُ

٢ ـ غداً يتفرقُ أهلُ الهوى
ويكثُر باكٍ ومُسْترَجِعُ

٣ ـ وتختلف الأرضُ بالظاعنين
وجوهاً تَشذُّ ولا تُجْمَعُ

٤ ـ وتفنى الطلول ويبقى الهوى
ويصنعُ ذو الشوق ما يَصْنَعُ

٥ ـ وأنت تُبكَّى وهم جيرة
فكيفَ يكونُ إذا وَدَّعوا

٦ ـ أتطمعُ فى العيشِ بعد الفراقِ
فبئس لعمرك ما تطمعُ

٧ ـ ودَوِّيَةٍ بين أقطارها
مقاطيع أرضين لا تقطع

(٣) المرديان: المهلكان. وفى رواية المترفان، ناشيا: تخفيف ناشئا.
(٤) قارف الذنب وغيره: داناه ولاصقه.
(٣) تشذ: تفرد.
(٧) الدوية: المفازة والصحراء.

٨ ـ تجاوزها فوق عيْرانةٍ

من الريح في سيرها أسرع

٩ ـ إلى جعفرٍ نزعتْ رغبةٌ

وأى فتىً نحوه تَنْزِعُ

١٠ ـ فما دونه لامرئ مطمعٌ

ولا لامرئ غيره مَقْنَعُ

١١ ـ ولا يرفع الناسُ من حطّهُ

ولا يضعون الذي يرفع

١٢ ـ يريد الملوكُ مدى جعفرٍ

ولا يصنعون كما يَصْنَعُ

١٣ ـ وليس بأوسعهم في الغنى

ولكن معروفه أوسع

١٤ ـ تلوذ الملوك بآرائه

إذا نالها الحدث الأفظع

١٥ ـ بديهته مثل تدبيره

متى هجته فهو مُسْتَجْمِعٍ

١٦ ـ وكم قائلٍ إذا رأى بهجتي

وما في فضول الغنى أصنع

١٧ ـ غداً في ظلال ندى جعفرٍ

يَجُرُّ ثيابَ الغنى أشجع

١٨ ـ فقل لخراسان تحيا فقد

أتاها ابن يحيى الفتى الأروع

---

(٨) عيرانة: ناقة نشيطة.

فى مدح إبراهيم بن عثمان، صاحب الشرطة:

١ - فى سيف إبراهيم خوفٌ واقعٌ
بذوى النفاق وفيه أمن المسلم

ويبيتُ يكلأُ والعيونُ هواجعٌ
مالَ المُضيعِ ومهجة المُستَسْلِمِ

٣ - جعل الخطامَ بأنف كل مُخالفٍ
حتى استقام له الذى لم يُخْطَمِ

٤ - لا يُصْلِحُ السلطان إلا شدّةٌ
تغشى البَرِىَّ بفضل ذنب المجرم

٥ - ومن الولاة مُقَحَّمٌ لا يتَّقى
والسيف تقطرُ شفرتاه من الدم

٦ - منعتْ مهابتُك النفوسَ حديثَها
بالأمر تكرهه ومن لم تَعْلَمِ

عن الشباب:

١ - ومالِى لا أعطى الشبابَ نصيبَه
وغصناه يهتزَّان فى عوده الرطبِ

٢ - رأيتُ الليالى ينْتَهِبْنَ شبيبتى
فأسرعت باللّذات فى ذلك النَّهْبِ

---

(٣) الخطام: الزمام.
(٤) البرى: تخفيف البرىء.
(٥) مقحم: جرىء لا يهاب.
(٢) ينتهين: يقضين على.

٣ ـ فـــــإن بنات الدهرِ يَخْلِسْنَ لذاتى
فقد جُزْنَ سلمى وانتهين إلى حربى
٤ ـ وقد حوَّلتْ حالى الليالى وأسرجَتْ
على الرأس أمثال الفتيل من العَطْب
٥ ـ وموت الفتى خير له من حياته
إذا كان ذا حالين يَصْبُو ولا يُصْبِى

(٤) أسرجت: أشعلت.

ربيعة الرقى
(ت ١٩٨ هـ)

هو ربيعة بن ثابت الأنصارى وكنيته «أبو شبابة» وقيل إنه كان يكنى أبا ثابت، وكان يلقب بالغاوى للهوه. وذكر ابن خلكان إنه ربيعة بن ثابت الأسدى الرقى أبو أسامة، والرقى نسبه إلى «رقه» (بفتح الراء وتشديد القاف) وبها مولده ومنشؤه.

قال ياقوت: هى مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام معدودة فى بلاد الجزيرة. ومعنى كلمة الرقة لغوياً: كل أرض إلى جنب واد ينبسط عليها الماء أيام المد ثم ينحسر عنها فتكون جيدة النبات.

وهو من المكثرين المجيدين وكان ضريراً، ويقال إنه لم ينتشر ذكره لبعده عن العراق وتركه خدمة الخلفاء ومخالطة الشعراء. ومع ذلك فقد فضل واستحسن شعره.

وعن دعبل قال: قلت لمروان بن أبى حفصة: من أشعركم جماعة المحدثين يا أبا السمّط؟ فقال: أشعرنا أيسرنا بيتا. فقلت: من هو؟. قال: ربيعة الرقى.

وقد أطراه واستحسن له ابن المعتز وقال عنه: كان ربيعة أشعر غزلا من أبى نواس. لأن فى غزل أبى نواس بردا كثيرا، وغزل هذا سليم سهل، ويقول

عنه أيضا: فأما شعره فى الغزل فإنه يفضل على أشعار هؤلاء من أهل زمانه جميعاً. وعلى كثير ممن قبله وما أحد أطبع ولا أصح غزلا من ربيعة.

ويعلق ابن المعتز على بعض مختارات من شعره فيقول: «فهذا كما ترى أسلس من الماء وأحلى من الشهد».

ويقول: «وهذا أطبع ما يكون من الشعر وأسهل ما يكون من الكلام».

ويقـول: «ومما يستملح له وإن كان شعره كله مليحا عذبا مطبوعا جيداً».

وحسبه أن يضعه الناقد العربي الكبير عبد الله بن المعتز صاحب طبقات الشعراء هذا الموضع وأن يخصه بهذه التعليقات التى تكشف عن مكانته الفنية لديه.

قال فى الغزل:

١ - حـمـامـةُ بلِّغى عنّى سـلامَا
حـبـيـبـاً لا أُطيق له كـلامـا

٢ - وقـولـي للتى غـضـبتْ علينا
عَلَامَ وفـيـمَ يَا سَكَنى عـلامـا

٣ - أفى هِجْران بينكِ تَصـرمـينى
ومـا رُمنا لِصرْمكُم صِرامـا

٤ - ولـم أهجُـرك مَقْلِيـةً ولـكـن
حللتُ عـراقَكم وحللتِ شَامـا

(١) يقصد بالحمامة الطائر المعروف بحمل الرسائل. أطاق الشيء يطيقه: إطاقة: قدر عليه والطوق أى أقصى الغاية، وهو اسم لمقدار ما يمكن أن يفعله بمشقة.

(٢) السكن: كل ما يطمأن إليه أدبه من أهل وغيره. ويقال للمرأة سكن، وقد وصف القرآن الكريم الزوجة بذلك فى الآية ٢١/ الروم «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها».

(٣) صرمه: قطعه.

(٤) مقلية: كراهية والقلى: الكراهية.

٥ - عـــــديـنـى أن أزورك إنّ دارى

ودارَكِ لا أدرى لـهـــمـــا التِّيَامـــا

٦ - وإنّ جـــمـــيع أهلكِ عنَّفـــونى

ولا مـــونى ولم أُطق الملامـــا

٧ - كرامُ الـنَّاس قَبْلى قـــد أَحَبـــوّا

كـــرائمهَم، وأَحـــبـبْنَ الكِرامـــا

٨ - جَميلٌ والـكُثَيـــرٌ قـــد أحـــبّا

وعُرْوَةُ مِنْ هَوىً لاقـــــى حِمَامَا

٩ - هُمْ سَنُّوا الـهَوى والحبَّ قـــبلى

ومـــا أُلـفى لـهم فـى الناس ذَامَا

١٠ - فـيـا غنَّام يا بصـرى وسـمـعى

رسـيس هـواكِ أورثـنـى سقَامـا

١١ - لقد أقصدْتِ - حين رميتِ - قلبى

بســهم الحبّ إنّ له سهِــامـــا

١٢ - زجــرتُ القلبَ عنْكِ فلم يُطعنى

ويأبَى فى الـهـوى إلا اعـتـزامـا

١٣ - إذا مـــا قلتُ أَقْصِرْ وَاسْلُ عنهـــا

أبـى، من صَرْمكم إلا انهـــزامـــا

١٤ - ولولا فـتنتى بكِ - فـاعلمـيـهـا -

إذن صلَّىَ ربيـــعـــةُ ثم صـــامـــا

---

(٩) ألفه: أنس به وأحبه، ذاما: أى ذاما، والذام: العيب، والذام العائب.

(١٠) غنام: اسم لمحبوبته، الرسيس الشيء الثابت الذى قد لزم مكانه: بدء الشيء، أو بقيته وأثره.

(١١) أقصد : أصاب.

(١٢) اعتزم للأمر: احتمله وصبر عليه.

(١٣) أقصر: أقصر عن الشيء: كف ونزع عنه، وهو يقدر عليه. صرمكم: هجركم.

١٥ ـ أقــام الحبُّ: حبُّك فـى فــؤادى
وحــبى في فــؤادكِ قــد أقــامــا
١٦ ـ كـــــلانا وامقٌ كَلِفٌ مُعنـىٌّ
بصــاحــبــه ومــا يبــغى حَرامــا
١٧ ـ أُحبَّ حــديثَهــا وتُحبَّ قُربى
ومـــا إنْ نلتـــقى إلا لمامــــا
١٨ ـ فـيــا ليتَ النهــارَ يكون ليــلاً
وليتَ الصــبحَ لا يجلو الظلامــا
١٩ ـ ويا ليتَ الحــمَامَ مُســخــراتٌ
لنرسل فـى رســائلنا الحَمــامــا
٢٠ ـ لعل حــمــامــةً تُهــدى إلينا
كــتــاباً منكِ نجــعله إمــامــا
٢١ ـ وتُبلغُكِ المحـــــبةَ مـن مُحبٍّ
أحــبكِ قلبُــهُ يفَعــاً غلامـــا
٢٢ ـ ومـــا ذنبى وحــبُّكِ هـــاج هــذا
ولـو تُرِكَ القَطا لغـــفـــا ونامــــا
٢٣ ـ ولـو أبصــــرتَ غَنْمَةَ ذاتَ يـومٍ
وقـــد سفَرتْ وأحْذَرَتِ اللثــامــا

(١٦) ومقه: أحبه. كلف الشيء بالشيء: أحب وأولع به وكلف الأمر: احتمله على مشقة وعسر.
(١٧) اللمام: اللقاء اليسير بعد المرة، وهو جمع لمة.
(١٩) الحمام: يقصد طائر الحمام المعروف بحمل الرسائل.
(٢١) أيفع الغلام. وتيفع، وغلام يافع، ويفعه: أى من شأنه أن يعلو ما ارتفع وامتنع.
(٢٢) الهوج: الحمق والطيش. وتقول هاج الغبار إذا تحرك فى علف وطيش. وتقول هيجت فلانا فاهتاج أى على نحو من العنف والطيش. ومن المجاز هاج الشر بين القوم.
القطا: جمع قطة. وهو نوع من اليمام يؤثر الحياة في الصحراء، ويتخذ أفحوصه أو عشه فى الأرض ويطير جماعات، ويقطع مسافات شاسعة، وكثر ذكره فى كلام المحبين فى الشعر العربى.
(٢٣) غنمة: يقصد محبوبته. وقد ناداها من قبل فى البيت العاشر بقوله: يا غنام.

٢٤ ـ يـنـوطُ وشَاحَهـا بقـضـيبِ بـانٍ
ويكسـو مِرطُهـا دِعْصـا رُكـامـا

٢٥ ـ إذا ابتـسـمت حَسِبْتَ الثـغـر منهـا
تألّق بـارقٍ يـجـلو الـظـلامـا

٢٦ ـ جلَتْ بِبشَامَـةٍ بَرداً عذَابـا
كـأن عليـه مِسكا أو مُدامـا

٢٧ ـ فلم تَزد البـشـامـةُ فـاكِ طيـبـاً
ولـكـن أنـتِ طَيّبْـتِ البَشَامـا

٢٨ ـ ومـا أَدْمـاءُ جُؤذَرَهـا تراعـى
وتـدنـو حـيـن يُسْمِعُهـا بُغـامـا

٢٩ ـ بأحـسن مـنك يوم رحلتِ عنّا
وقـد بلت مـدامـعك اللثـامـا

٣٠ ـ وتحـتك بـغلـةٌ زِينَتْ برَحْـل
مُواشِكَـةٌ تـنـازعـك اللّجـامـا

٣١ ـ وكلُّ الحبِّ لغـوٌ غـيـرَ حـبّى
فـقـد أرْدى الحـشَاوِيرَى العظامـا

---

(٢٤) ينوط: يتعلق ـ الوشاح: نسيج عريض يرصع الجواهر، وتشده المرأة بين عاتقها وكشحها (أى: وسطها) والبان: ضرب من الشجر القوام (أى: طويلة)، لين ويشبه به الحسان فى الطول واللين. المرط (بكسر فسكون: كل ثوب غير مخيط. والدعص: كثيب الرمل المجتمع، والجمع: أدعاص، ودعصة، الركام: المتراكم بعضه فوق بعض.

(٢٥) البارق: سحام ذو برق.

(٢٦) البشام: شجر طيب الريح والطعم يستاك به.
والبرد: الأسنان المتلألئة لشدة صفائها كأنها قطرات الندى.

(٢٨) أدماء: ظبية، والجمع: أدم ـ بسكون الدال ـ والأدم من الظباء: ظباء بيض يعلوها جدد فيها غبرة.
والجؤذر: (بضم الذال وفتحها): ولد الظبية. بغام الظبية: صوتها.

(٣٠) مواشكة: سريعة.

قال فى الغزل:

١ - أعلّل نفسى منكِ بالوعدِ والْمُنَى
فهلا بيأسٍ منكِ قلبى أُعلّلُ

٢ - وموعدُكِ الشهدُ المصفّى حلاوةً
دون نِجاز الوعد صابٌ وحَنْظَلْ

٣ - وأَمنحُ طرْفَ العين غيرَك رِقَبَةً
حذَار العدا والطرفُ نحوك أَمْيلُ

٤ - لكيما يقولَ الناس: إنّ أمرءً رمى
ربيعةَ فى لَيْلَى بسوءٍ لمبطِلُ

٥ - لقد كذب الواشون بغياً عليهما
وما منهما إلا برىءٌ مُعقّل

٦ - فلو كنتُ ذا عقل لأجمعتُ صَرْمَكم
برأيى، ولكنى امروٌ لستُ أَعقِل

٧ - وكيف بصبرِ القلبِ - لا كيف - عنكمُ
وبابُ فؤادى دونَ صَرْمِك مُقْفَلُ

٨ - ومن أين - لا من أين - يَحْرُم قتلُكم
وقتلى لكم يا أُمَّ لَيْلَى محلَّل

٩ - أغرَّكِ أن لا صبر لِى فى طِلابكم
وأن ليس لى إلا عليك معوّل

(٢) نجاز (بكسر النون وفتح الجيم): إنجاز.
الصاب: شجر مر له عصارة إذا أصابت العين أتلفتها.
(٣) الرقبة: الحالة التى تكون عليه المراقبة تقول: حسن الرقبة أو سيئ الرقبة.
(٥) معقل: عقل الكلام تعقيلا كان عاقلا.
(٦) الصرم: القطع.
(٧) (لا كيف) - فى هذا السياق بمعنى لا حال ولا صفة أى لا وجود.
(٩) الطلاب: الطلب. المعول: المعتمد، وهو ما يعتمد عليه.

١٠ ـ ولما تبيّنت الذى بى من الهوى
وأيقنت أنّى عنك لا أتحوّلُ

١١ ـ ظلمتِ كذئب السّوء إذ قال مرّةً
لِسَخْلٍ رأى والذئبُ غرثانُ مُرْمِلُ

١٢ ـ أأنتَ الذى فى غيرِ جرمٍ شتمتنى
فقال: متى ذا؟ قال: ذا عامُ أولُ

١٣ ـ فقال: وُلِدْتُ العامَ، بل رُمْتَ غَدْرَةً
فدونَك: كُلْنى لا هَنَالكَ مأكلُ

١٤ ـ أتبكين مِنْ قَتْلى وأنتِ قتلتنى
بحبِّك قتلاً بيّناً ليس يُشْكِلُ

١٥ ـ فأنتِ كذبّاحِ العصافير دائباً
وعيناه من وجدٍ عليهنّ تَهْمُلُ

١٦ ـ فلو كان من رأفٍ بهنّ ورحمة
لكفّ يداً ليست من الذبح تعطَلُ

١٧ ـ فلا تنظرى ما تَهْمُلُ العين وانظرى
إلى الكفّ ماذا بالعصافير تفعلُ

قال فى الغزل:

١ ـ دَسّت سعادُ رسولاً غيرَ مُتّهمِ
وَصيفةً فأتتْ إتيانَ مُنْكتِمِ

٢ ـ جاء الرسول بقرطاسٍ بخاتمِه
وفى الصحيفة سِحْرٌ خُطَّ بالقلم

---

(١١) السخل: ولد النعجة، غرثان: جائع.
مرمل: لا زاد عنده لأنه لا يملك إلا التراب.
(١٦) الرأف: الرأفة والرحمة.
(١٧) تهمل: هملت العين بكت بكاء غزيرا.

٣ - فـيـه: فُتُونُ هوىً ظلّت تُغـيّبـه،

على الجـهولِ، وما يـخفى على الفَهِمِ

٤ - وقـد فـهـمتُ الذى أخْفَتْ فـقلت لهـا

بُوحِي: بـلا، ونـعـم مِنْ بيّن الـكَلِمِ

٥ - قـالت: تـعـال إذا مـا شـئـت مـسـتتَراً

والحكمُ حكمُك يا رَقّىُّ فـاحـتكم

٦ - أَقْدِمْ ربيـعـةُ فـى رَحْبٍ وفى سـعـة

فى غيـر قـمـراءَ، والظلمـاءَ فـاغـتنم

٧ - فـزرتُهـا واقـعـاً طرفى على قـدمى

وقـد تلبّسْتُ جلبـابين من ظُلَمِ

٨ - فكان مـا كـان لم يعلَم به أحـدٌ

ومـا جَرَحْتُ ومـا عُلّلْتُ بالحَرَمِ

٩ - زارتْك سُعدى وسعدى منكَ نازحـةٌ

فـأرّقَتْك ومـا زارتْك من أَمَمِ

١٠ - أهلا بطيـفك يا سـعـدى الملمِّ بنا

طيفٌ يسـيـر بلا نجم ولا علَمِ

١١ - أنتِ الضجيعُ - إذا ما نمتُ - فى حلُمِى

والنجمُ أَنتِ إذا مـا العينُ لم تنم

١٢ - مـا أكـذبَ العينَ والأحـلامَ قـاطبـةً

---

(٨) جرحت: المقصود بها هنا اجترحت، والمعنى لم يكتسب الاثم. علله بكذا: شغله به. الحرم ما لا يحل انتهاكه.

(٩) النازحة: البعيدة. الأمم هنا بمعنى القرب. اللحد: القبر. الرجم: الحجارة التى يغطى بها القبر.

أصادقٌ مرةً فى وصلها حلّمى ؟!

١٣ - قولى: نعم، إنها إن قلت نافعةٌ

ليستْ عَسَى صبرٌ إلى نعم

١٤ - أنْعَمْتِ نُعمى علينا لسْتُ أُنكرها

حتى أُغيّبَ فى ملحودة الرّجم

١٥ - قلبى سقيمٌ وداءُ الحبِّ أسقَمهُ

ولو أردتِ شفَيْتِ القلبَ من سَقَم

١٦ - قالت: فؤادُك بين البيض مقتسم

ما حاجتى فى فؤادٍ منك مُقْتَسَم

١٧ - أنت الملولُ الذى استبدلت بى بدلاً

قَصَّرتَ بى وشَرَيْتَ اللؤم بالكرم

١٨ - قد كنتُ أقسمْتُ أَنى من هواكَ فما

بِرّى يمينى قد أغلظتُ فى القسم

١٩ - أستغفر الله قد رقّ الفؤاد وما

بينى وبينك يارَقّيُّ من رَحِمِ

٢٠ - يا ليتَ مَنْ لامَنَا فى الحبِّ جريّه

فلو يذوقُ الذى قد ذُقتُ لم يلُم

٢١ - الحبُّ داءٌ عيَاءٌ لا دواءَ له

إلا نسيمُ حبيب طيِّبُ النَّسَم

٢٢ - أو قُبْلَةٌ من فم نيلَتْ مُخالسةً

---

(١٥) السقم: المرض.

(١٦) فؤادك بين البيض مقتسم: قلبك موزع بين الحسان.

(٢٣) اللمم: صغار الذنوب.

وما حرامٌ فمٌ ألصقتَه بفمِ

٢٣ - هذا حرامٌ لمن قد عدَّه لَمَمَا

ولن يُعذِّبنا الرحمن باللَّمم

٢٤ - هام الفؤادُ بسعدى من ضلالته

يا ليت قلبى بكم يا سُعدَ لم يَهِمِ

٢٥ - أنتِ التى أوْرَثَتْ قلبى مودَّتُها

داءً دخيلاً وشوقاً غيرَ منْصَرِم

٢٦ - خُلِقْتِ من مِسْكة والناسُ خَلْقُهُمُ

من لازب الطين من صلصاله القَتِم

٢٧ - ما صوَّر الله إنساناً كصورتِكم

من بعد يوسفَ فى عُرْبٍ ولا عجمِ

٢٨ - أعلاكِ من صَعْدَةٍ سَمْرَا مقوَّمةٍ

والمِرْط فوق كثيب منك مُرْتكِمِ

٢٩ - وأنتِ جنَّةُ رَيْحانٍ لها أَرَجٌ

أو روضة نُضِحَتْ بالوبْل والدِّيَم

٣٠ - أو بيضةٌ فى نقاً أو درَّةٌ خرجت

---

(٢٥) منصرم: منقطع.

(٢٦) الصلصال: الطين اليابس الذى يصلُ من يبسه أى يصوت. القتم: الغبار.

(٢٧) يوسف: يضرب المثل بحسن يوسف عليه السلام.

(٢٨) الصعدة. القناة المستوية المستقيمة والصعدة من النساء المستقيمة القامة. المرط: كساء يؤتزر به وتتلفع به المرأة. الكثيب: الرمل المستطيل المحدودب. وكثب الشىء بمعنى اجتمع. المرتكم: المجتمع.

(٢٩) الأرج: الريح الطيب. الوبل والوابل: المطر الشديد. الديم: جمع ديمة وهو المطر الذى ليس فيه رعد ولا برق أو المطر الدائم.

(٣٠) بيضه فى نقا: تشبه المرأة بالبيضة فى لونها وصيانتها وبيضة الشىء أصله. النقا: العظم ذو المخ والمراد أنها تصونه نقية. درة: لؤلؤة من زاخر: أى بحر ممتلئ. والآذى: الموج. ملتطم: أى متلاطم وينتج من التلاطم لون أبيض هو رغوة الماء أو يعرف بالزبد.

من زاخـــــرٍ مُزبِدِ الآذِيِّ مُلتَطِمِ

٣١ ـ لاقيتُ عند استلام الركن غانيةً

غـرَّاءَ واضحــةَ الخـدين كــالصنم

٣٢ ـ مرتجَّة الرِّدْفِ مهضومٌ شواكلُها

تمشي الهوينا كمشى الشارب الثَّلِمِ

٣٣ ـ تقـول قـيناتُها، والرِّدف يُقْعدها

من خلفها: قد أتيتِ الركنَ فاستلمى

٣٤ ـ فاستَلَمتْ ثم قامتْ ساعة فدَعَتْ

فـــقـــمتُ أَدعـــو ولولا تلكَ لم أَقمِ

٣٥ ـ حتى إذا انصرفتْ سلَّمتُ فالتفتتْ

فـــقلتُ: إنك من همِّي ومن سَدَمي

٣٦ ـ قالت: ومن أنت؟ قلْن التابعاتُ لها

هذا ربيـــعـــةُ هذا فـــتنةُ الأمم

٣٧ ـ هذا المعنِّى الذى كـانت مناسبـه

تأتيك فـاسـتـتـرى بالبُردِ والقَتَم

٣٨ ـ شيطانُ أُمَّته لاقـاك محـرمـةً

فـبالإله من الشيطان فـاعتـصمى

٣٩ ـ قالت: أعوذ بربِّى منك واستترتْ

---

(٣١) استلام الركن: يقصد عند الطواف بالكعبة المشرفة.

(٣٢) الشواكل الخواصر. مهضوم شواكلها: نحيل خصرها، الثلم: المترنح من السكر.

(٣٣) قيناتها: اماؤها أو فتياتها اللاتى يقمن بخدمتها.

(٣٤) استلمت (بتشديد اللام): بمعنى استلمت.

(٣٥) السدم تقول: سدم فلان: أصابه هم أو غيظ مع حزن وقلما ينفرد معنى السدم عن الندم، ومن معانيه أيضاً اللهج بالشيء والولوع به والحرص عليه.

(٣٧) المعنى: المعذب. المناسب: يعنى الشعر الذى فيه نسيب بالمحبوبة تقول: نسب الشاعر بفلانه بمعنى عرض بهواها وحبها.

(٣٩) امرأة رخصة: أى ناعمة. العنم: شجر لين الأغصان لطيف الملمس تشبه به أطراف الأصابع. الغيد: الحسان. الذمام: العهد والحرمة. الختر: الخديعة وقيل هو أسوأ الغدر.

بغـادةٍ رَخْصــةِ الأطراف كــالعنَم

٤٠ ـ قلت: الذّمـام وعـهـدُ الله خُنْتَ به

لا عــهــدَ للغــادر الخــتّار للذّمم

٤١ ـ ألم تقولى: نعم؟ قالت: بلى، وهَماً

منّى. وهل يُؤْخــذ الإنســان بالوَهَم

٤٢ ـ تُبْنَا وصـــمنا وصلّينا لخـــالقنا

ولـم تـتـب أنتَ مـن ذنبٍ ولـم تـصـم

٤٣ ـ فلُمْتُ نفسى على بذلى لهـا مِقَتى

وبُخلِهـــا وقـــرعتُ السِّنّ من ندم

٤٤ ـ فـأبعـدَ اللّهُ إنسـاناً وأسـحــقـه

أدَامَ وُدّاً لإنـســـــان ولـــم يُــدِم

---

(٤١) الوهم (بفتح الهاء): بمعنى الوهم.

(٤٣) المقه: المحبة. قرع السن من الندم: أى دق بطرف أصبعه على مقدمة أسنانه ندما وحسرة.

(٤٤) أسحقه: بمعنى أبلاه، وبمعنى أبعده.

أبو نواس
الحسن بن هانئ
(ت ١٩٩ هـ)

أبو علي حسن بن هانئ بن عبدالأول الحكمي. ولد بخوزستان سنة ١٤١هـ من أب عربي النسبة من بني الحكم، كان جنديا من جنود مروان بن محمد، وأمه تدعى جلبان أهوازية فارسية.

كانت ولادته في أيام الخليفة أبي جعفر المنصور. مات أبوه صغيرا، فكفلته أمه جلبان الأهوازية، وكانت تعمل في بعض الحرف كالحياكة، ودخل الحسن كتّابا بالبصرة ليتلقى بعض العلوم، وكان يتعلم ويعمل ليكسب قوته ويساعد أمه في رزق الأسرة الصغيرة.

بدت علامات النبوغ على الفتى الصغير، وتعلق بالشعر فحفظ منه كثيرا والتقى ببعض شعراء البصرة الكبار أمثال والبة بن الحباب.. وكان والبة أستاذا له في الشعر يروضه فيه، ولما شب وعلا كعبه اتصل بأحد علماء الشعر ورواته وهو خلف. فأمره بحفظ كثير من الشعر العربي القديم والعمل على منواله.

ويعد أبونواس من كبار شعراء المحدثين في القرن الثاني، ويأتي ترتيبه عند العلماء بعد بشار بن برد. وقد طمح ببصره إلى الشهرة واكتساب المال كغيره من كبار شعراء عصره، فغادر البصرة إلى الكوفة ثم إلى بغداد العاصمة للالتقاء بكبار القادة والوزراء وبالخليفة هارون الرشيد ثم محمد الأمين. وكان من ممدوحيه الفضل بن يحيى البرمكي والفضل بن الربيع والخصيب والي مصر.

ويدور معظم شعره فى المديح والخمر والوصف والهجاء والرثاء والغزل بالمذكر وبالمؤنث والمجون. واشتهر بخمرياته، وعد من المبدعين فيها. وكان داعية إلى التجديد فى الشعر وترك التقاليد القديمة. ،خاصة بدء القصيدة بالنسيب والوقوف على الأطلال ودعا إلى البدء بالوصف والقول فى خمر لتناسبها مع العصر والحضارة.

وعرف أبونواس الشاعر بمقدرته على رسم الصور الحضارية وبخاصة مجالس الشراب والغناء وآنية الخمر والطرب، والأديرة والرياض والجوارى والقصور.

وكان فى أخريات حياته قريبا من محمد الأمين وسميرا له، وقيل إنه زهد فى آخر عمره وقال شعراً فى النسك والعبادة.

وتوفى أبونواس فى سنة ١٩٩هـ وهو فى الثامنة والخمسين من عمره.

- ١ -

وقال الحسن يمدح العباس بن عبيدالله بن جعفر:

١ - أَيُّهـــا المُنتـــابُ مِـن عُفُـرِهْ
لَســتَ مِـن لَيلـي ولا سَمُرِهْ(١)

٢ - لا أَذودُ الطَّيرَ عَن شَجَرٍ
قَد بَلَوتُ المُرَّ مِن ثَمَرِهْ

٣ - فَاتَّصِلْ إِنْ كُنتَ مُتَّصِلا
بِقُوى مَن أَنتَ مِن وَطَرِهْ

٤ - خِفْتُ مَأْثُورَ الحَديثِ غَداً
وَغَدٌ أَدنى لِمُنتَظِرِهْ

(١) عفره: العفر الحين، المنتاب: المعاود، وسمره: السمر حديث الليل، والسُّمَّرُ السامرون.

٥ - خـــاب مـن أســـرَى إلى بَلَدٍ
غـــيـــرِ مـــعلومٍ مَدَى ســـفَرِهْ

٦ - وسّدْتُـــهُ ثِنْـى ســــــاعِـدِه
سِنَةٌ حـلّت إلـى شَفَــــــــرِهْ

٧ - فـــــامْضِ لا تمنُنْ عـلىً يـداً
مِنْكَ المعـــــــروفَ مـن كَدَرِهِ

٨ - رُبَّ فـــتـــيـــانٍ رَبأْتُهمُ
مـــســقَطَ العَيُوقَ مـن ســحَرِهْ

٩ - فـــاتّقُوا بِى مـــا يُرِيبُهمُ
إنّ تـقْوى الشّرّ مــن حــــذَرِهْ

١٠ - وابـــنِ عــــمٍّ لا يُكـــاشِفُنَا
قـــد لبــــسناهُ عـلى غَمَرِهْ

١١ - كَمَن الشّنْآنُ فـــيـــهُ لنا
ككُمـــونِ النّارِ فـى حــجَرِهْ

١٢ - ورُضَابٍ بِتُّ أرشُفُــــــــهُ
يـنـقـعُ الـظمـــآنُ مـن خَصَرِهْ

١٣ - علّنِيـــهِ خــوطُ أَسلحــةٍ
لانَ مــــــــتـنـاه لمُهتَصِرِهْ

---

(٦) جعل ذراعه المثنى وسادة له عندما طرقته سنة من النوم، والسنة: النوم الخفيف. والشفر: أصل منبت شعر الجفون.

(٨) ربأت: حرست. من الربئ، وهو الذى يطو ربوة للقوم يحذرهم الغارة. والعيوق: نجم ويقصد وقت مسقط العيوق. أو ميله إلى الغروب وقت السحر.

(١٠) وغمره: حقده.

(١١) الشنآن: الحقد،

(١٢) الخصر: البرد، و: البارد، وينقع الظمآن: يرويه وينقع الظمآن: يرتوى؛

(١٣) العلل: الشربة الثانية. وعلنيه: سقانيه مرة ثانية. الخوط: الغصن اللين، أسلحة جمع سلح: الغدير والوادى، يقصد أغصان شجر الوديان الجارية الماء. يشبه ساقيه فى لينه بغصن ذلك الشجر. وهصر: ضم

١٤ ـ ذا ومـــغــــبَرٍ مـــخــــارِمُه

تُحْســـسرُ الأبصـــــارُ عن قُطُرِهْ

١٥ ـ لا ترى عينُ البَصيـــــرِ بـه

مـــــا خلا الآجــــالِ من بقَرِهْ

١٦ ـ خـــــاضَ بِي لُجَّيْـــهِ ذو جَـرَزٍ

يفـــــعمُ الفَضْلَيْن من ضُفُـرِهْ

١٧ ـ يكتـــسى عـــثنونُـه زَبَـداً

فنصـــــيـــــلاهُ إلى نَحَـــرِهْ

١٨ ـ ثــــم يعْتَمُّ الحِجَاجُ بـــــه

كـــــاعْتِمـــــامِ الفُوفِ فـى عُشَرِهْ

١٩ ـ ثـم تــذْرُوه الرِّيــاحُ كـــماً

طـــارَ قَطــنُ الــنَّدْفِ عـــنْ وتَرِهْ

٢٠ ـ كـلُّ حـــــاجَتى تنـاولَهـــــا

وهـــو لــمْ تــنــقُصْ قُوى أشَرِهْ

٢١ ـ ثـــمَّ أدْنـــــانى إلـــى ملِكٍ

يـــأمَنُ الجَانـــى لـــدَى حُجَرِهْ

٢٢ ـ تـأخـــذُ الأَيدِى مظالمهـــا

ثـم تَســـتَذْرى إلـى عـــصَرِهْ

ومهتصره: محتضنه.

(١٤) المخارم: الطرق. وتحسر: تقطع لطول المدى. والقطر: الناحية يقصد المكان الواسع المترامى الأطراف الذى قطعه فى رحلته.

(١٥) الآجال: قطعان بقر الوحش.

(١٦) ذو جرز أى نحيل ضعيف ـ يقصد مطيته.

(١٧) العثنون. الذقن ـ والنصيلان: الفكان.

(١٨) الحجاج عظم العين. الفوف: نسيج العنكبوت، والعشر نبت صحراوى.

(٢٠) أشره: نشاطه.

يصف فى الأبيات السابقة جواده، وقد أجهده السير وأضمره، وإن لم يأخذ من قوته ونشاطه.

٢٣ - كَـيفَ لايُدنيكَ من أملٍ
مـن رسُولُ الـلّهِ مـن نَفَرِهْ
٢٤ - فـاسْألْ عن نوءٍ تُؤمِّلُـه
حـسبُك العـبـاسُ من مَطَرِهْ
٢٥ - ملكٌ قلَّ الشَّبيـهُ لـه
لـم تـقَعْ عـينٌ عـلى خَطَـرِهْ
٢٦ - لا تُغَطِّى عـنـهُ مـكـرُمَةٌ
بُرُبَـى وادٍ ولا خَمَـرِهْ
٢٧ - ذُلِّـلتْ تـلـكَ الـفِجاجُ لـه
فــهـو مُخـتـارٌ على بصَرِهْ
٢٨ - سـبَقَ التّفـريطِ رائدُه
وكـفـاهُ العـيـنُ من أثَـرِهْ
٢٩ - وإذا مـجَّ الـقَنـا عـلَقاً
وتـراءَى المـوتُ مـن صُوَرِهْ
٣٠ - راحَ فِى ثِنْيـىْ مُفَاضَتِـه
أسـدٌ يَـدْمـى شَبَـا ظُفُـرِهْ
٣١ - تـتـأبَّى الطَّيـرُ غُدْوَتَـهُ
ثِقَةً بـالـشِّبْعِ مـن جزَرِهْ
٣٢ - وترَى السَّـادَاتِ مـاثِلَـةً
لِسـلِيـلِ الـشَّمْسِ مـن قَمَرِهْ

---

(٢٢) تستذرى: ترتفع إلى الذروة، وعصره: مكانه الذى لجأ إليه.
(٢٦) خمره: بالتحريك شجره الملتف.
(٢٩) مج: لفظ. علقا: دما يقصد إذا سال القنادماً وظهر الموت فى أشكاله وهيأته.
(٣٠) مفاضته: درعه. شبا: سن أو طرف.

٣٣ ـ فــــــهـــــمُ شتّى ظُنُونُــهُــمُ
حـــــــذرَ المكنُـــونِ من فِكَـــرِهْ

٣٤ ـ وكـــــــــــريمُ الخَالِ مـن يمَـنٍ
وكـــــــــــريمُ الـعمِّ مـن مُضَرِهْ

٣٥ ـ قـــــد لَبستَ الدَّهرَ لُبْسَ فـــتىً
أخَـــــذَ الآدابَ عـــــن غيَـــرِهْ

ـ ٢ ـ

قال يمدح الأمين:

١ ـ يا دَارُ مـــا فــــعلتْ بكِ الأيامُ
ضَـــامـــتْكِ والأيامُ ليسَ تُضَـــامُ

٢ ـ عَرَمَ الزَّمـــانُ على الذين عـهِدْتَهُمْ
بك قـــاطنينَ وللزَّمـــان عُـــرامُ

٣ ـ أيامَ لا أغـــــــشى لأهلِكِ منزلا
إلا مُراقـــــــبَةً علـىَّ ظَـــلامُ

٤ ـ ولقـــد نهـــزْتُ مع الغُواة بدلْوِهمْ
وأسَمْتُ سَرْحَ اللّهـو حـيثُ أسـامُوا

٥ ـ وبلغتُ مـا بلَغَ امـرؤٌ بشـبـابه
فـــإذا عُصـــارةُ كـلِّ ذاكَ أثـــامُ

(٣١) تتأيى: تقصد وتتعمد غدوته. جزره: قتلاه.
(١) ضامتك: ساءتك بأن نقصتك وأخذت منك. والأيام لا تنقص.
(٢) عرام: شدة. وعرم الزمان اشتد. وشرس.
(٤) نهزت: ألقيت. ونهزت بالدلو فى البئر ضربت فيها لتمتلئ بالماء. وأسمت: رعيت والسرح الإبل.يعنى

٦ ـ وتجشّمتْ بى هولَ كلّ تنوفةٍ
هوجاءُ فيها جرأةُ الإقدامِ

٧ ـ تذرُ المطىَّ وراءَها فكأنّها
صفٌّ تقدمُهُنَّ وهى أَمامُ

٨ ـ وإذا المطىُّ بنا بلغْنَ محمداً
فظهورُهُنَّ على الرِّجالِ حرامُ

٩ ـ قرّبْنَنَا من خيرِ من وطِئَ الحَصَى
فلَها علينا حُرْمةٌ وذِمامُ

١٠ ـ رفعَ الحجابَ لنا فلاحَ لناظرٍ
ملكٌ تقطَّعُ دونَهُ الأوهَامُ

١١ ـ ملِكٌ إذا علَقتْ يداك بحبلِه
لا يعتريكَ البؤسُ والإعْدامُ

١٢ ـ ملِكٌ توحّد بالمكارمِ والعُلا
غَمرٌ فقيدُ النّدِّ فيه هُمَامُ

١٣ ـ ملكٌ أغرُّ إذا شرِبْت بوجْهه
لم يعْدُكَ التَّبجيلُ والإعْظَامُ

١٤ ـ فالبهْوُ مشتَمِلٌ ببدرِ خلافةٍ
لبسَ الشَّبابَ بنورِهِ الإسلامُ

١٥ ـ سبْطُ البنَانِ إذا احتبَى بنجادِه
فرَعَ الجماجِمَ والسّماطُ قِيامُ

اتبعت الغواة فى لهوهم.
(٦) التنوفة: المفازة، والأرض الشاسعة البعيدة الأطراف. والفلاة لا ماء فيها ولا أنيس. وهوجاء. يقصد ناقة هوجاء. دل بالصفة على الموصوف. وهوجاء مسرعة.
(١٥) سبط البنان، مبسوط الكف، كناية عن العطاء والكرم. احتبى بنجاده: جعل حمالة السيف حبوة، كناية

١٦ ـ إنَّ الذى يُرضى الإلهَ بهديه
ملكٌ تَرَدَّى المُلكَ وهو غُلامُ
١٧ ـ ملكٌ إذا اعتسرَ الأمورَ مضَى به
رأىٌ يَفُلُّ السَّيفَ وهو حُسامُ
١٨ ـ داوَى به اللّهُ القلوبَ من العمَى
حتى أفقنَ وما بهنَّ سقَامُ
١٩ ـ أصبحْتَ يابنَ زبيدةَ ابنةَ جعفرٍ
أملاً لعقْد حِباله استحْكَامُ
٢٠ ـ فسلِمْتَ للأمْرِ الَّذى تُرجى له
وتقاعستْ عن يومِكَ الأيَّامُ

ـ ٣ ـ

يقول أبو نواس يمدح الخصيب والى مصر:

١ ـ أجارةَ بيْتينا أبوكِ غيورُ
وميسور ما يُرجى لَديكِ عسيرُ
٢ ـ وإن كنتِ لا خِلْماً ولا أنت زوجةٌ
فلا برَحتْ دونى لديك ستُورُ
٣ ـ وجاورتُ قوماً لا تناسُبَ بينهُمْ
ولا وَصْلَ إلا أن يكُونَ نُشُورُ
٤ ـ فما أنا بِالمشْغُوفِ ضَربةَ لازبٍ
ولا كُلُّ سُلطانٍ علىَّ قديرُ

عن الحلم والقوة. والهيبة
(١٧) اعتسر الأمور أى اشتد به الأمور.
(١) يريد بالبيتين بيت السكن وبيت النسب.

٥ - وإنّى لِطرْفِ العين بالعين زاجـرٌ

فقد كدتُ لا يخفَى علىَّ ضميـرُ

٦ - كما نظرت والريحُ ساكنةٌ لها

عقاب بأرساغ اليدين نُدُورُ

٧ - طوتْ ليلتين القوت عن ذى ضَرورةٍ

أُزيغب لم ينبتْ عليه شكيرُ

٨ - فأوْفتْ على علياءَ حين بدا لهاَ

من الشمس قرنٌ والضريبُ يمورُ

٩ - تُقلِّبُ طرفاً فى حِجاجَىْ مغارةٍ

من الرأسِ لم يَدْخُلْ عليه ذُرُورُ

١٠ - تقول التى من بيتها خفَّ مَرْكَبى

عـزيزٌ علينا أن نراك تسيرُ

١١ - أما دُونَ مصرٍ للغنَى مُتطلَّبٌ

بلَى إنَّ أسبابَ الغنَى لكثيرُ

١٢ - فقلتُ لها واستَعْجلَتْها بوادرٌ

جرَتْ فجرَى فى إثرهنَّ عبيرُ

١٣ - ذرينى أكثِّـرْ حاسديكِ بزَوْرةٍ

إلى بلدٍ فيه الخَصيبُ أميرُ

---

(٢) خلما: الخلم: الخل والصاحب.

(٥) الأرساغ : جمع رسغ بالضم وهو المفصل بين الساعد والكف والساق والقدم. والندور خروج من موضعه أو زواله.

(٦) أزيغب تصغير أزغب وهو الفرخ الصغير الذى لم ينبت له الريش شكير أول ما ينبت من الريش الصغير.

(٧) الضريب الثلج. ويمور يذوب أو يجرى.

(٨) الحجاجان مثنى حجاج وهو العظم الذى ينبت عليه شعر الحاجب، وذرور ما يذر فى العين أى يدخل فيها من الدواء.

١٤ ـ إذا لم تَزُرْ أرضَ الخصيب ركابُنا

فـأيُّ فـتىً بعـد الخَصِيبِ تزورُ

١٥ ـ فـتىً يشـتـري حُسنَ الثناءِ بمالِهِ

ويـعـلـم أنَّ الـدائِراتِ تـدورُ

١٦ ـ فـمـا جـازَهُ جُودٌ، ولا حلَّ دونَهُ

ولكن يصيرُ الجـودُ حـيثُ يصيـرُ

١٧ ـ فلم تَرَعَيْنى سُؤْدَداً مـثل سُؤْدَدٍ

يـحلُّ أبـو نـصـرٍ بـه ويَسِيـرُ

١٨ ـ وأطرق حـيَّاتِ البـلاد لحيَّةٍ

خُصَيْبـيَّةِ التَّصـمِيم حين تَسُورُ

١٩ ـ سَمَوْتَ لأهلِ الجوْرِ في حالِ أمنهِمْ

فـأَضْحَوْا وكُلٌّ في الوَثَاقِ أسيـرُ

٢٠ ـ إذا قـام غنَّتْهُ على السـاقِ حليةٌ

لهـا خُطْوةٌ عند القِيامِ تَصيـرُ

٢١ ـ فَمَنْ يَكُ أَمْسَى جَاهلاً بمقـالتي

فـإنَّ أمـيـرَ المؤمنين خَبـيـرُ

٢٢ ـ ومـا زِلتَ توليه النَّصيحةَ يافعاً

إلى أن بدا في العـارضَيْنِ قَتيـرُ

٢٣ ـ إذا غـالَهُ أمـرٌ فـإمَّا كـفـيـتـه

وإمـا عليـه بالكفـاء تُشـيـرُ

---

(١٦) بوادر دموع العين.

(١٧) تسور تثب وتثور.

(٢١) قتير: شيب.

٢٤ ـ إليكَ رمتْ بالقـوْم هُوجٌ كـأنّمـا
جـمـاجـمُـهـا تحتَ الرحـالِ قُبـورُ

٢٥ ـ رَحلْنَ بنا من عـقـرقُوفَ وقـد بَدا
من الصُّبحِ مَفـتُوق الأديم شَهـيـرُ

٢٦ ـ فـمـا نجـدتْ بالماءِ حـتّى رأيتـهـا
مع الشـمـس فى عـينى أُباغَ تَسيـرُ

٢٧ ـ وغمّرنَ من مـاء النقـيب بشـربةٍ
وقـد حَانَ من ديكِ الصـبـاح زمـيـرُ

٢٨ ـ ووافَيْنَ إشـــراقــاً كنائس تدْمرٍ
وهـنّ إلـى رُعْـنِ المُدخّـنِ صُـورُ

٢٩ ـ يُؤمّمْنَ أهلَ الغُوطتين كــأنّمــا
لهـــا عندَ أهْلِ الغُوطتَـــيْنِ ثؤورُ

٣٠ ـ وأصْبَحنَ بـالجُولانِ يـرضَخْنَ صَخْرَهَا
ولــم يبْقَ مـــن أجراحِهِنّ شُطــورُ

٣١ ـ وقـاسيْنَ ليــلاً دون بيـسانَ لم يَكَدْ
سَنـا صُبْحِه للنـاظـرين يُنيـــــرُ

٣٢ ـ وأصْبَحْنَ قد فَوّزن من نـهـرِ فطْرسٍ
وهُنّ عن البــيـتِ المقـــدّسِ زُورُ

---

(٢٣) هوج صفة للنوق يعني مسرعة.
(٢٤) عقرقوف: اسم مكان . مفتوق الأديم شهير يقصد به بياض الصباح وضوء النهار.
(٢٥) نجدت بالماء أى عرقت،، وتصبب عرقها، وعينا أباغ مكان
(٢٦) ماء النقيب: اسم مكان.
(٢٧) رُعن المدخن اسم مكان، صور شاخصة البصر أو مائلة بأبصارها.
(٢٨) الغوطتان قرب دمشق. وهما واحتان خصبتان يرويهما نهر بردى الذى يمر بدمشق. ثؤور جمع ثأر.
(٢٩) الجولان هضبة معروفة بالشام، تقع جنوب دمشق. ويرضخن صخرها أى يحطمنه. وأجراحهن: أجراح جمع جرح.
(٣١) فوزن: خرجن. نهر فطرس: هو نهر الأردن. وزور: مزورين أى منحرفين. أو مبتعدين.
(٣٢) وغزة هاشم: مدينة غزة المعروفة بفلسطين، والفرما ثغر مصرى قديم قريب من رمانة على ساحل=

٣٣ ـ طَوالبَ بالرُّكــبــانِ غزَّةَ هاشِمٍ
وفي الفرمــا من حــاجِهنَّ شُقُورُ
٣٤ ـ ولمَّا أتتْ فُسطَاطَ مـصـر أجـارهَا
على ركـبـهـا أن لا تزالَ مُجـيـرُ
٣٥ ـ مِنَ القَومِ بسَّامٌ كــأنَّ جَبــينَهُ
سَنَا الـفـجـرِ يسْرِي ضَوْءُها ويُنيـرُ
٣٦ ـ زَهَا بالخصيب السَّيفُ والرمحُ في الوغى
وفي السِّلْمِ يزهو منبــرٌ وســريرُ
٣٧ ـ جـوادٌ إذا الأيدى كـففنَ عن النَّدى
ومن دونِ عــوراتِ النســاءِ غـيـورُ
٣٨ ـ لـه سَلَفٌ في الأعــجـمينَ كـأنَّهُمْ
إذا اســــتُؤذِنُوا يـوم السَّلام يُدورُ
٣٩ ـ وإنِّي جَديرٌ إذ بلـغــتكَ بالمنـى
وأنــتَ بمــا أمَّلْتُ مــنــكَ جَدِيــرُ
٤٠ ـ فـإن تُولني منكَ الجـمـيلَ فـأهْلُهُ
وإلا فــــإنِّي عــــاذرٌ وشَكورُ

ـ ٤ ـ

وقال:

١ ـ وفـتـيـةٍ كـمـصـابيح الدُّجى غُرُرٍ
شُمِّ الأُنوف من الصَّيـدِ المصاليتِ
٢ ـ صالُوا على الدَّهرِ باللَّهوِ الذَّى وصلوا
فليس حــبلُهُمــو منه بمبْــتُوتِ

= شمال سيناء. وتبعد حوالى خمسين كيلو مترا شرقى مدينة القنطرة على قناة السويس. وشقور: جمع شقر وهو الأمر الملتصق بالقلب المهم له، وهو الهم.

٣ ـ دارَ الزمـــانُ بأفــلاكِ السُّعــودِ لهم

وعــاجَ يحنُو عليــهم عــاطفَ اللّيتِ

٤ ـ نادمــتُهم قـرقَفَ الاسـفنْطِ صــافـيـةً

مــشــمُولَةً سُبِيتْ من حــمْرِ تَكْرِيتِ

٥ ـ من اللّواتــى خطَبنَاهَا علــى عـــجَلٍ

لمّا عــــــــــجَجْنَا بـريّاتِ الحَوانيـتِ

٦ ـ فـى فـــيْلَقٍ للدُّجَى كـــاليمِّ ملْتَطِمٍ

طــامٍ يــحَارِبُه مــن هوْلِه الـنُّوتِى

٧ ـ إذا بكـافـــرةٍ شَمْطَاءَ قـــد برزَتْ

فـى زىِّ مـــــخْتَشِعٍ لِلَّـــهِ زِمّيـتِ

٨ ـ قـالتْ من القـومُ؟ قُلْنا: من عـرفْتِهمُ

من كلِ سـمْحٍ بفـرطِ الجُودِ منْعُوتِ

٩ ـ حلُّوا بدارِك مُجْتــازِينَ، فـــاغتنمِى

بذْلَ الكرامِ، وقــولِى كــيــفمــا شِيتِ

١٠ ـ فـقـد ظفَرتِ بِصـفْوِ العَيْشِ غانمــه

كغُنْمِ داوُدَ مَن أسْلابِ جــــــالُوتِ

١١ ـ فــأحْيَىْ بِريْحِهِمُ فى ظلِّ مكرُمــةٍ

حــتَّى إذا ارتَحلُوا عن دارِكُمْ مــوتِى

١٢ ـ قالتْ: فعِنْدِى الّذِى تبغُونَ فانتظروا

عند الصَّبــاحِ. فــقُلنَا: بل بهــا إيتِ

---

(١) الصيد: الملوك.

(٢) مبتوت: مقطوع.

(٣) الليت: العنق.

١٣ ـ هي الصّباحُ يحلّ الليلَ صفوتُها

إذا رمتْ بِشرارٍ كاليوَاقِيتِ

١٤ ـ رَمْيَ الملائكةِ الرُّصّاد إذ رَجَمتْ

في اللّيلِ بالنّجْمِ مُرّادَ العفاريتِ

١٥ ـ فأقبلتْ كضياءِ الشّمس بَازِغَةً

في الكأس من بين دامي الخَصر مَنْكُوتِ

١٦ ـ كانتْ مخبّأَةً في الدّنّ قد عَنَستْ

في الأرضِ مدفُونَةً في بطْنِ تَابُوتِ

١٧ ـ فقد أُتيتم بها من كُنه معْدِنها

فحاذِرُوا أخْذَها في الكأس بالقُوتِ

١٨ ـ تُهدِي إلى الشَّرْب طيبا عند نكهتها

كنفحِ مسكِ فَتيقِ الفَارِ مفتُوتِ

١٩ ـ كأنّها بزُلالِ المُزْنِ إذْ مُزِجَتْ

شبَاكُ درٍّ على ديباجِ ياقُوتِ

٢٠ ـ يُدِيرُها قمرٌ في طرفِهِ حَوَرٌ

كأنّما اشْتُقَّ منه سحرُ هارُوتِ

٢١ ـ وعندنا ضاربٌ يشدُو فيطرِبُنَا

«يادارَ هندِ بذاتِ الجَزْعِ حُيِّيتِ»

٢٢ ـ إليه أَلحاظُنَا تثْنِي أعنّتها

فلو ترَانا إليه كالمبَاهيتِ!

---

(٤) قرقف الاسفنط يقصد: الخمر.

(٧) كافرة شمطاء: يقصد صاحبة الحانة من اليهود، وزميت: كثير التزمت أي التوقر.

٢٣ ـ من أهل هيتٍ سَخِيُّ الجَرمِ ذُو أدبٍ
له أقـــولُ مَزاحاً: هَاتِ يا هِيــتِي!
٢٤ ـ فـيَنبـرِي بفـصـيح اللّفظِ عن نَغَمٍ
مــثـقّفَـاتٍ فَصِيــحــاتٍ بتَثْبِيتِ
٢٥ ـ حــــتـى إذا فلَكُ الأَوْتـارِ دارَ بِنَا
مع الطُّبــولِ ظَلَلْنا كــالسَّبــابيت
٢٦ ـ فُزنـا بهاَ في حــــدِيقَاتٍ ملـفّفَةٍ
بـالـرَّنْدِ والـطّلْحِ، والـرُّمّانِ، والـتُّوتِ
٢٧ ـ تلهــيك أُطيــارُها عن كل مُلهِيَةٍ
إذَا تَرنَّم فـي تـرجـــــيع تـصوْيت
٢٨ ـ لم يَثْنِني عن غِشْيـانِ مـوْرِدِهاَ
ولَمْ أكُنْ من دواَعِيــهـــا بِصِـــمِّيتِ
٢٩ ـ حــتى إذا الشَّيْبُ فــاجَانِي بطَلْعــتِه
أَقْبِحْ بطلْعـــةِ شـيبٍ غـيــرِ مبْخُوتِ
٣٠ ـ عـنـدَ الـغَوانِي إذا أبـصَرْنَ طـلْعَتَهُ
أُذِنَّ بـــالــصّرْمِ مـــن ودٍّ وتَشْتِيـــتِ
٣١ ـ فقـد نَدِمْتُ على ما كـانَ من خَطَلٍ
ومـــنْ إضَاعَةِ مــكـــتُوبِ المَوَاقِيــتِ
٣٢ ـ أدعُوك سبـحَانَكَ اللَّهُمَّ فـاعفُ كمـا
عـفوتَ يا ذا العُلى عنْ صَاحِبِ الحُوتِ

---

(١٥) دامي الخصر منكوت: وصف للكأس وقد لونتها الخمر بلون الدم.

- ٥ -

وقال:

١ - عفَى المُصلَّى وأقْوت الكُثُبُ
منِّى والمريدان فاللَّبَبُ

٢ - فالمسْجِدُ الجامعُ المروَةُ والمَجْدَ
عفَا فالصَّحْصَحان فالرَّحَبُ

٣ - فى فتيةٍ كالسُّيوفِ هزُّهم
حتَّى بدَا فى عِذارِىَ الشُّهُبُ

٤ - مجالس قد عمرتها يفعا
حتى بدا فى عذارى الشهب

٥ - ثم أرابَ الزمانُ فانقسَمُوا
أيدِى سبَاً فى البِلادِ فانشَعبُوا

٦ - لن يُخلفَ الدهر مثلَهم أبداً
علِّى هيهاتَ شأنُهم عجَبُ

٧ - لمَّا تيقَّنتْ أن روْحتَهُم
ليس لها ما حَييتُ منْقَلَبُ

٨ - أبْليتُ صبراً لم يُبله أحدٌ
واقتَسمتْنِى مآربٌ شُعَبُ

---

(١٧) بالقوت: أصلها بالقوة فخفف لمناسبة القافية.

(٢٥) السبابيت: من السبات وهو النوم.

(١) عفا: زال واندثر، وأقوى خلا من قاطنيه، والمريدان مكان معروف بالبصرة ويسمى المريد. واللبب: مكان.

(٢) الصحصحان مكان بعينه فى البصرة، وهو فى الأصل للأرض المنبسطة، واللبب: مكان بعينه وهو فى=

٩ ـ كــذاكَ أنى رزئتُ أخــاً
فــلــيــس بــيْنــى وبَيــنه نَسَبُ
١٠ ـ قَطرَبّلٌ مــرْبَعى ولى بقُرى
الْكرخِ مــصــيفٌ وأُمّى العِنَبُ
١١ ـ تُرضِعنُــى دَرّهــا وتُلْحفُنــى
بظلّهــا والهــجــيــرُ يلتــهِبُ
١٢ ـ إذا ثنتــه الغُصــون جلّلنــى
فــينانُ مــا فى أديمه حوَبُ
١٣ ـ تبــيتُ فى مــأتمِ حــمــائمه
كــمــا ترا آى الفــواقدُ السُّلُبُ
١٤ ـ يَهبُّ شــوقى وشــوقُهن مــعــاً
كــأنما يســتــخِفُّنا الطَّربُ
١٥ ـ فــقُمتُ أحــبُو إلى الرّضَاع كــمــا
تحاملَ الــطّفــل مَسّهُ الــسَّغَبُ
١٦ ـ حــتّى تخــيَّرتُ بنتَ دسْكَرةٍ
قــد عــاجمتْهــا السُّنونُ والحِقَبُ
١٧ ـ هــتكْتُ عنهَا والــلَّيلُ مــعتْكرٌ
مــهلْهلَ النَّسج مــالهُ هُدُبُ
١٨ ـ مــن نســج خَرْقَاءَ لا تُشَدُّ لــهَا
أَخْبــيــةٌ فى الثّرَى ولا طُنُبُ
١٩ ـ ثم تَوجَّأتُ خــصْرَها بشَبــا
الأُشْفِىٍ فــجــاءَتْ كــأنّهــا لَهَبُ

= الأصل المنحدر كاللبة موضع القلادة من الصدر وهو كذلك ما استرق من الرمل.
(٣) اليفع: الغلام ترعرع وناهز البلوغ.
(٥) أراب الزمان: وريب الزمان والدهر صرفه. ومعناه تصرف بهم الزمان.

٢٠ - واستَوسَقَ الشَّرْبُ للنِّدَامِ وأجْـــ
ــــراها علينا اللَّجين والغَرَبُ
٢١ - أقولُ لمَا تحاكيَا شَبَهًا
أيُّهُمَا للتّشابُه الذَّهَبُ
٢٢ - هُمَا سواءٌ وفرقُ بينهما
أنّهُما جامدٌ ومُنْسَكِبُ
٢٣ - مُلسٌ وأمثالُها محفَّرةٌ
صوَّرَ فيها القسُوسُ والصُّلُبُ
٢٤ - يتْلُونَ إنْجيلهُم وفَوْقَهُمَ
سماءُ خَمرٍ نُجُومُهَا الحَبَبُ
٢٥ - كأنَّها لؤلؤٌ تبعْثُرُهُ
أيدِى عذَارَى أفضَى بِها اللَّعِبُ

وقال أبو نواس:

١ - يا دير حنَّةَ من ذاتِ الأُكَيْراح
من يصحُ عنكَ فإنى لسْتُ بالصَّاحِى
رأيتُ فيكِ ظِباءً لا قُرونَ لها
يلعبْنَ منَّا بألبابِ وأرْوَاحِ
٣ - دَعِ التَّشاغُل باللّذاتِ يا صَاحِ
من العُكوفِ علَى الرَّيحَانِ والرَّاحِ

(١٠) قطربل والكرخ: من ضواحى بغداد.
(١٢) حوب: إثم وشر.

٤ ـ واعْدِل إلى فـتـيـةٍ ذابَتْ نفـوسُهُمُ
من العبـــادَة نُحفِ الجِسْمِ أطْلاحِ
٥ ـ لم يبقَ فـيـهم لرائيـهِمْ إذَا حُصِّلُوا
خِلافَ مـا خَوَّفـوه غـيـرُ أشـبـاحِ
٦ ـ تلقَى بهم كلَّ مـحـفـوٍّ مـفـارِقُه
من الزّهادِ عليـهِ مَسْحُوقُ أمْسـاحِ
٧ ـ لا يـدلِفُونَ إلى مــاءٍ بآنيــةٍ
إلا غـدا فــا من الغُدْرَانِ بالراحِ

ـ ٧ ـ

يقـول:

حــاملُ الهــوى تعبُ ... يسـتـخـفـه الطربُ
إنْ بـكـى يـحـقُّ لـه ... لـيس مـا بـه لـعبُ
تـضـحـكين لاهيــة ... والمحـبُّ ينـتـحـبُ
تـعـجـبين من سـقـمي ... صـحـتـي هي الـعـجبُ
كلمـا انتـفى سـببٌ ... منك جـاءني سـببُ

ويقول:

ياذا الذي عن جنان ظلَّ يخـبـرنا
بالله قل وأعِدْ يا طيِّبَ الخـبـر

(١٩) توجأت: قطعت، شبا الأشقى، سن السيف وحده.
(٢٠) استوسق الشرب: اجتمع الشاربون. اللجين: الفضة، والغرب: الذهب.

قــالوا: اشــتكتكَ وقــالت: مــا ابتليت به
أراهُ من حــيثُ مــا أقبلْتُ فى أثرى

ويرفع الطرف نحــوى إن مــررت بــه
حــتى ليــخــجلنى من شــدة النظرِ

وإن وقــــفتُ له كــــيـــمـــا يكلمنى
فى الموضع الخلوْ لم ينْطِقْ من الحَصــرَ

مــــــازال يفـــــعل بى هــذا ويُدمِنُهُ
حتى لقد صارَ منْ همَّى ومن وَطَرِى

مطيع بن إياس
(ت ١٩٩ هـ)

هو مطيع بن إياس الكنانى من بنى الديل بن بكر (وقيل من بنى ليث بن بكر) بن عبد مناة بن كنانة، كنيته أبو سلمى، ولد ونشأ بالكوفة ولا يجد صاحب الأغانى دليلا قويا على صحة نسبه إلى كنانة. وأشار إلى أنها مجرد رواية وصلته فذكرها.

وهو شاعر من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية، وليس من فحول الشعراء، ولكنه كان ظريفا خليعا حلو العشرة مليح النادرة، ماجنا متهما بالزندقة، وقد نفاها عنه المهدى فى بعض المواقف.

وتروى بعض الأخبار اتصاله بالوليد بن يزيد حيث غنى بين يديه (حَكَمٌ الوادىّ) بعض أبيات لمطيع، فأمر الوليد أن يحمل إليه مطيع على البريد من الكوفة، واستقبله وضمه وقبله وأجلسه أقرب المجالس إليه. وتم يومه معه واصطبح الوليد أسبوعا متوالى الأيام على هذا الصوت، وأبيات مطيع التى غنيت هى قوله:

اكليلها ألوانٌ	ووجهها فتّانُ
وخالها فريد	ليس لها جيرانُ
إذا مشت تثنّت	كأنها ثعبانُ

ومن أخباره أنه فى ظل الدولة العباسية انقطع لصحبة جعفر بن أبى جعفر المنصور وكان منقطعا له بعض الوقت، وكان المنصور ينكر هذه الصحبة. ويصبر عليها حتى مات ولده.

وينسب إلى مطيع أنه لعب دورا فى أخذ البيعة للمهدى حيث اخترع حديثاً ينص على أن المهدى هو الخليفة المنتظر، ولم يجرؤ أحد على تكذيبه.

وتذكر الروايات أنه جلس فى العلة التى مات فيها فى قبة خضراء وعلى فرش خضر، فقال له الطبيب أى شيء تشتهى اليوم؟ قال أشتهى ألا أموت.

ويتحدث عنه ابن المعتز فى طبقاته فيقول: «لمطيع بن إياس شعر كثير فى جميع الفنون وهو أحد الخلعاء المجان، وكان صاحب نوادر، وقد توفى فيما يقال سنة تسع وتسعين ومائة.

قال حين غادر بلاد السند:

١ - ولقد قلتُ لابْنتِى وهى تكوى
بانسِكابِ الدموع قلباً كَئيبا

٢ - اسكُتى قد حَزَزت بالدّمع قلبى
طالما حزَّ دمعُكنَّ القُلوبَا

٣ - ودعى أن تُقطعى قلبى
وتُرينى فى رحلتى تعذيبا

٤ - فعسى الله أن يُدافعَ عنّى
ريب ما تحذرين حتى أؤوبا

٥ - ليس شيء يشاؤه ذو المعالى
بعزيزٍ عليه فادْعِى المُجيبا

٦ - أنا فى قبضةِ الإلهِ إذا كنـ
ـتُ بعيداً أو كنتُ منك قريباً

---

(٤) الريب: الشك.
الإياب: الرجوع.

قال يبكى الشباب:

١ - إنّى لبــاكٍ على الشــبــابِ ومــا
أعــــرفُ من شِرّتى ومن طَربى

٢ - ومن تَصَابىَّ إن صــبــوتُ ومن
نارى إذا مــا اســتَعَرَتْ فى لهــبى

٣ - أبـكـى خليـــلاً وَلّى ببهــجتــه
بــــانَ بــــأثـــوابِ جِدّةٍ قُشُبِ

٤ - عـلـى الأحـمِّ الأثـيث منْســــدلاً
على جبــــينى تـهـــدُّلَ العنَبِ

٥ - كـــان صفّى دونَ الصــفىِّ وذا الـ
أُلـفَة منِىّ فـى الـوُدِّ والحـــــدَبِ

٦ - كـــان خليلى على الزمـــانِ فـــإنْ
رابَ بـــريـــبٍ، أبَى فـــلـــم يَرِبِ

٧ - كـــان إذا نمتُ قـــال:: قُم، فـــإذا
قُمتُ ســـمـــا بى، لأعظَم الرُّتَبِ

٨ - وكـــــان أنـسى إذا فَزِعتُ لـه
وكـــــان حِصنى فى شِدَّة الكُرَبِ

٩ - وا بـــأبـــى أنـــتَ مـــن أخِى ثقَةٍ
لـو كـــان تُغْنى مـــقـــالتِى: بأبى

---

(١) الشرة: حدة النشاط والرغبة أو أحدهما.

(٣) بان: ظهر. قشب: جدد.

(٤) الأخم الأثيب: الشعر الأسود الذى غزر وطال.

(٦) الريبة: الشك. لم يرب: لم يصب نقول: راب الأمر فلانا بمعنى نابه وأصابه.

١٠ - إنى لبَاكٍ علَيــــــهِ أُعْولُــهُ

بـــواكــفٍ، إن أجلْهُ ينْســكِــبِ

١١ - كلُّ خـليلٍ مـــــضَى ففَارَقنِى

كــــــان شوَىً لـوثْوى فـلـمْ يَغَبِ

١٢ - قَارعَةَ عنِّى الـزَّمـــــانُ فقَــدْ

صرتُ لـه فــى الأذى وفَــى الـتعَبِ

١٣ - ويـحكَ يا دَهرُ كـــيْفَ جئتَ بما

أكـــرهُ جـــهــــراً علىَّ منْ كثَبِ

١٤ - شوَّهـتَنـى بـعــــدَ مـنظرٍ حسَنٍ

كـــأنَّ فـــيـــهِ سبَـــائكَ الذَّهبِ

١٥ - قَلبتَ لـوْنِى إلـى الســـوادِ وقَدْ

بيـضت رأسى فـصــار كـالعُطُبِ

١٦ - مـــا زِلـتَ تَرْمـى مُخىَّ فَــتُرهِقُــهُ

وتنْتَحى بـالـفــــتـــور فى عصَبِى

١٧ - حــــتـى كـــأنـى ولَمْ أَقُمْ لَغِبٌ

وكـنـتُ أعــلـو الـذُّرَى بــلا لــغَبِ

(١٠) أعوله: التممه. بواكف: بغزير من الدمع. أجله: أدره. ينسكب: ينصب ويسيل.
(١١) الشوى: الأطراف وأيضاً. ظاهر الجلد وفى القرآن الكريم «نزاعة للشوى».
(١٢) قارعه: نازله.
(١٣) كثب: قرب.
(١٥) العطب: التلف.
(١٦) انتحى: مال وقصد. واعتمد وجدّ.
(١٧) لغب: تعب وأعيا.

قال يمدح بن زائدة:

١ ـ أهـــلاً وسَهْلاً بـــسيِّدِ الـــعَرَب

ذِى الغُرَرِ الواضــحـــاتِ والنُّجب

٢ ـ فـــتى نِزارٍ وكـــهلِهـــا وأخي الـــ

ـجـودِ حـوى غايتــيــه من كــثَبِ

٣ ـ قـــيلَ أتاكمْ أبـو الـوليـــد فقَا

لَ الـــنَّاسُ طُرًّا فى الـسَّهـل والـرَّحَبِ

٤ ـ أبـــو الـــعُفاةِ الـــذى يـــلـوذُ بِهِ

مـن كـــان ذا رَغــــبةٍ وذا رَهَبِ

٥ ـ جـــاء الذى تُفـــرجُ الـهـــمُومُ بـه

حـين يلُزُّ الـوضينَ بـالحــــــقَبَ

٦ ـ جـــاء وجـــاء المضاءُ يقْدُمـــه

رأىٌ إذا هـــمَّ غَيـــرُ مـــؤتشَبِ

٧ ـ شـــهمٌ إذا الحـــربُ شُبَّ دائرُهَا

أَعـــادهُ عـــوْدَةً علـى الـقُـطُب

٨ ـ يُطفئُ نـيـــرانَهـــا ويـوقـدُهـــا

إذا خَبَتْ نـــارُهـــا بـــلا حَطَـــب

---

(١) الغرة من كل شىء: أوله وأكرمه. والنجب: جمع نجيب، وهو الفاضل على مثله النفيس فى نوعه.

(٣) طرًّا: جمعا.

(٤) العفاة: طالبو الفضل والمعروف. الرغبة: الطلب. الرهب: الخوف.

(٥) يلز: يضم ويلتصق. الوضين: حزام عريض منسوج بعضه على بعض يشد به الرحل على البعير، الحقب: الحزام الذى يلى حقو البعير، أو الحبل تشد به الحقيبة.

(٦) المؤتشب: المختلط.

(٧) قطب القوم: سادتهم.

٩ - إلا بوَقعِ المذكـــراتِ يُشْـبـ
ـــهِنّ إذامـــا انتضينَ بالشُهُبِ

١٠ - لم أرَ قِرْناً له يبـــارزه
إلا أراهُ كـــالصَّقْرِ والخَرَبِ

١١ - ليثٌ بِخَفَّانَ قد حَمَى أجَماً
فَصارَ منهـــا فى مَنزِلٍ أشِبِ

١٢ - شِبْلاهُ قد أدَّبَاهُ فَهُمَا
شِبْهَاهُ فى جِدِّهِ وفى لَعِبِ

١٣ - قد وَمِقَا شَكْلَهُ وسيرَتَهُ
وأحْكَمَا منْه أكْرَمَ الأدب

١٤ - نِعْمَ الفَتَى تُقْرَنُ الصِّعَابُ به
عِنْدَ تجاثِى الخُصُومِ للرُّكَبِ

١٥ - ونِعْمَ ما لَيْلَةُ الشِّتَاء إذا اسـ
ـتَنْبَحَ كَلْبُ القِرى فَلَمْ يُجِبِ

١٦ - مـــا لِنَعَمْ عِنْدَه مُخَالَفَةٌ
مِثْل اخْتِلافِ الصُّعُودِ والصَّبَبِ

١٧ - تَحْضُرُه «لا» فَلايَهُمُّ بهــا
ومِنْه تَضْحَى «نَعَمْ» علـى أرَبِ

---

(٩) المذكرات: الأيام التى يشتد فيها القتال، والسيف المتين، والمذكرات من النوق ما أشبهن الذكور فى القوة والشمائل، النضو: المهزول، والسيف النضو: المجهد من كثرة القتال، وانتضى السيف: أخرجه من غمده.

(١٠) القرن: الند. الخرب: ذكر الحبارى، نوع من الطيور طويل العنق رمادى اللون فى منقاره طول.

(١١) الليث: الأسد: خفان: أجمة فى سواد الكوفة، ويقال فى المثل: ليوث خفان، الأجم: جمع أجمة ومعناها الشجر الكثير الملتف.

(١٢) شبلاه: ولداه الصغيران، وهو يعنى ابنى الممدوح فى أنهما نشآ على غراره فى الصفات والمحامد.

١٨ ـ ترى له الحلم والنهى خلقاً
فى صولة مثل جاحم اللهب
١٩ ـ سيف الإمامين ذا وذاك إذا
قل بناة الوفاء والحسب
٢٠ ـ ذا هودة لا يخاف نبوته
ودينه لا يشاب بالريب

قال يذكر قطيعة بينه وبين يحيى بن زياد:

١ ـ كنت ويحيى كيدى واحد
نرمى جميعاً ونرامى معا
٢ ـ إن عضنى الدهر فقد عضه
يوجعنا ما بعضنا أوجعا
٣ ـ أو نام نامت أعين أربع
منا وإن أسهر فلن يهجعا
٤ ـ يسرنى الدهر إذا سره
وإن رماه فلنا فجعا
٥ ـ حتى إذا ما الشيب فى مفرقى
لاح وفى عارضه أسرعا
٦ ـ سعى وشاة فمشوا بيننا
وكاد حبل الود أن يقطعا
٧ ـ فلم ألم يحيى على فعله
ولم أقل مل ولا ضيعا
٨ ـ لكن أعداء لنا لم يكن
شيطانهم يرى بنا مطمعا

٩ ـ بيَنا كـذا غـاشَ على غِـرَّةٍ
فأوقـدَ النّيـران مُسْتَجْمِعَـا
١٠ ـ فلَمْ يزَلْ يُوقِدُهـا دائبـاً
حـتى إذا مـا اضطَرمت أقلَعَـا

قال فى الوصف:

أسْعـدِانِي يـا نَخْلَتَى حُلْـوانِ
وأبكيـالى من رَيْبِ هذ الزمـانِ
واعـلمـا أن رَيْبَهُ لـم يزَل يفْرُ
قُ بينَ الألافِ والجـيـران
ولعَمْرِى لـو ذُقْتمـا ألَمَ الـفُرْ
قَةِ أبكـاكُمـا الـذى أبكـانـى
أسْعـدِانِى وأيـقِنـاَ أنّ نَحْسـاً
سـوف يلقـاكـمـا فتَفْتَرِقَانِ
كم رمـتنى صـروفُ هـذى اللّيـالِى
بِفـراقِ الأحـبـابِ والخِلاّن
غـيـر أنى لَمْ تلَق نفـسى كـمـا لا
قَيْتُ من فـرقـةِ ابنة الدّهقـان
جـارةٍ لـى بالـرّىِ تُذهِـبُ هَمّـى
ويُسـلّى دُنُـوُهَـا أحـزَانى
فَجَعـتْنى الأيّـامُ أَغْبـطَ مـاكنـ
ـتُ بِصَدْعٍ للبَيْن غـيـر مُـدَانِ

وبِرَغمــي أن أصْبَحَتْ لا تــراهــا الــــ

ـــــــــعَيْنُ مِنّى وأصْبَحتْ لا تَرانى

إن تكُنْ وَدَّعَتْ فـــــقـــــدْ تركَت بـى

لهـــبــاً فى الضّمـــيـــر ليْسَ بِوانِ

كَحَريقِ الضِرامِ فـى قَصَبِ الغـــــا

بِ رَمَتْهُ رِيـــــحَانِ تَخْتـــــلِفانِ

فَعَلَيْـكِ السّـــلامُ (مـدى) مـــــاصَــا

غَ ســـــلامـــــاً عقْلى وَفَاضَ لِسَانى

الإمام الشافعي
(ت ٢٠٤ هـ)

أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس الشافعى. ولد بغزة سنة خمسين ومائة. وكان ذلك يوم وفاة أبى حنيفة، فقال الناس مات إمام وولد إمام.

وقد ذهبت به أمه ولما يزل بعد طفلا إلى مكة البلد الحرام، فلما جاوز الرابعة من عمره أقبل على القرآن يحفظه، فما أتم السابعة إلا وقد أتم حفظه وتجويده، ثم أقبل على أئمة الفقه في المسجد الحرام ينهل من علمهم، حتى إذا استوفى حظه من ذلك غادر مكة إلى المدينة حيث أخذ الحديث عن مالك شيخ المحدثين فى عصره، وفى حلقته تعرف بالكثيرين من أهل العلم والفضل.

ولم يلبث أن ولى قضاء اليمن، حتى إذا ذاع صيته فى الفقه والفتيا استدعاه الرشيد فكانت رحلته الأولى إلى بغداد سنة ١٨٤هـ. ثم ما لبث أن عاد إليها فقضى فى العراق عامين من سنة ١٩٥هـ إلى سنة ١٩٧هـ ، وحين يعود إلى مكة بعد رحلته الطويلة إلى العراق لايكاد يمكث بها غير شهور، إلى أن يفارقها متجها إلى مصر فى رحلته الطويلة التى استغرقت بقية حياته.

وفى مصر، فى الفسطاط بالتحديد، يقوم الشافعى بإملاء كتابيه الشهيرين «الرسالة» و «الأم» على تلاميذ حلقته العلمية، وفيها كذلك ينجب ابنه «أبا الحسن» عام ٢٠٢هـ، ويظل بين درس وكتاب حتى تستأثر به رحمة الله فى يوم الجمعة التاسع والعشرين من رجب سنة ٢٠٤هـ.

من شعر الإمام الشافعى:

قال فى الصداقة والأصدقاء:

١ - إذا المرء لا يَرْعــــاك إلا تَكَلُّفـــا
فــدعْهُ ولا تُكْثِر عليــه التــأسّفــا

٢ - فـفى الناس أَبدال وفـى التّرك راحـة
وفى القلب صبـر للحبـيب ولو جـفا

٣ - فـمــا كلُ من تَهْواه يهــواكَ قلبُه
ولا كُلُّ مَنْ صــافـيـتَه لك قـد صفَا

٤ - إذا لم يكن صَفْوُ الودادِ طبــيــعــةً
فــلا خــيــرَ فى ودّ يجىء تكلفــا

٥ - ولا خــيــر فى خِلٍّ يخــون خليله
ويلْقَاه مِنْ بَعْــــد المــودة بــالجفَــا

٦ - ويُنْكِر عَيْشــاً قــد تقــادمِ عــهــده
ويُظْهِر سِراً كــان بالأمس قـــد خَفَا

٧ - سـلام على الدنيــا إذا لَمْ يكن بـهــا
صَدِيقٌ صــــــــادقُ الـوَعْدِ مُنْصِفَا

ومما قاله الإمام الشافعى فى الاغتراب:

١ - مــا فى المُقَامِ لذى عقْل وذى أَدَبِ
مِنْ رَاحـــــةٍ، فَدَعِ الأوطانَ واغْتَرِبِ

---

(٢) أبدال: جمع بديل، وهو العوض والخلف، الترك: الهجر والمفارقة. جفا: هجر.

(٦) خفا الشيء: ستره، وخفا السر: كتمه. وهو من الأفعال التى تأتى متعدية ولازمة، مع اختلاف المعنى فى الحالتين. والمستعمل هنا هو المتعدى.

٢ ـ سَافِرْ تَجِدْ عِوَضاً عَمَّنْ تُفَارِقُه
وانْصَبْ، فإنّ لذيذ العيش فى النَّصَبِ

٣ ـ إنّى رأيتُ وُقُوفَ الماء يُفْسِدُهُ
إنْ سَاحَ طَابَ وإنْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطِبِ

٤ ـ والأُسْدُ لولا فراق الأرض ما افْتَرَسَتْ
والسَّهْمُ لَوْلا فِرَاقُ القَوْسِ لَمْ يُصِبِ

٥ ـ والشمسُ لو وَقَفَتْ فى الفُلْك دائمةً
لملَّها الناس من عُجْمٍ ومن عَرَبِ

٦ ـ والتِّبْرُ كالتُّرْب ملقى فى أماكنه
والعُودُ فى أرْضِهِ نَوْعٌ مِنَ الحَطَبِ

٧ ـ فإن تَغَرَّب هذا عزَّ مَطْلَبُه
وإنْ تَغَرَّب ذَاكَ عَزَّ كالذَّهَبِ

وقال الإمام الشافعى فى الزهد والتذكير:

١ ـ دَعِ الأيَّام تَفْعَلُ ما تشاء
وطِبْ نَفْساً إذا حكَم القَضَاءُ

٢ ـ ولا تَجْزَعْ لِحادثة اللّيالى
فمَا لحوادث الدُّنيا بَقَاءُ

٣ ـ وكُنْ رَجُلاً على الأهْوال جلْداً
وشِيمَتُكَ السَّمَاحةُ والوَفَاءُ

---

(٢) انصب: فعل أمر من نصب نصبا: جد فى الأمر واجتهد فيه.
(٦) التبر: الذهب. العود: نوع من الطيب يتبخر به.
(١) طب: من طاب يطيب طيبا، لذ وحلا وحسن. وطابت النفس بالشيء: انشرحت له.
(٢) الجزع: ضد الصبر، حادثة الليالى: مصائبها.
(٣) الأهوال: جمع هول، وهى المخاوف والمصائب، وكل ما يهول الإنسان. أى يفزعه. الجلد: الشديد القوى. الشيمة: الخلق.

٤ ـ وإنْ كثُرتْ عيُوبـــك في الـــبرَايـــا
وسرّكَ أنْ يـكـون لـهـــــا غِطَاءُ
٥ ـ تَستّرْ بـــالـــسّخَاءِ فـــكُلّ عَيْبٍ
يغطّيـــه ـ كـمـــا قِيل ـ السَّخَـاءُ
٦ ـ ورِزقُكَ لَيْس يُنْقِصُه الـــــــتأنّي
ولـيـس يـزيـد فـي الـرّزق الـعنَاءُ
٧ ـ ولا حُزْن يـــــدوم ولا سُرُور
ولا بُؤْسٌ عليْكَ ولاَ رَخَاءُ
٨ ـ إذا مـــا كـنـت ذا قـلْـبٍ قـنُـوعٍ
فـــأنْت ومالك الـدُّنْيا سَـواءُ
٩ ـ ومَنْ نَزَلَتْ بـــسَاحَتِه المــنَايَا
فـــلا أرضٌ تَقِيـــهُ ولا سمَـاءُ
١٠ ـ وأرْض اللّه واســعـــة، ولـكـــن
إذا نَزَل الـــقَضَا ضَاقَ الـــفَضَاءُ
١١ ـ دَعِ الأيّـام تَغْـــدِرُ كـلّ حـيـــنٍ
فـــمـــا يُغْنِي عن الموت الدّواءُ

---

(٤) البرايا: مفردها برية، وهى المخلوقات.
(٥) السخاء: الجود.
(٦) العناء: التعب والنصب.
(٧) البؤس: الحاجة والفقر.
(١١) الغدر : ترك الوفاء.

مسلم بن الوليد الإنصارى
(ت ٢٠٨ هـ)

ولد الشاعر مسلم بن الوليد فى مدينة الكوفة فى أواسط القرن الثانى الهجرى على وجه التقريب فى أسرة من الأنصار أو مواليهم. واختلف مسلم صغيرا إلى مسجد الكوفة ومجالس الأدب والعلم بها، فأخذ ما أخذ من العلم والأدب. وتعلق بالشعر، فقد خلقت به موهبته، وزكاها بكثرة الحفظ والرواية. وبرع فى قول الشعر واشتهر شابا به، وطار صيته فى الكوفة بين أقرانه، وغيرهم حتى تعدت شهرته بلده إلى غيره من أمصار العراق، وقد طمحت نفسه إلى الاتصال بعلية القوم من القادة والأمراء والوزراء، فاتجهت به همته إلى بغداد العاصمة، واتصل بالبرامكة وزراء بنى العباس. فلقى منهم تشجيعا، وأغدقوا عليه العطاء. فكانت له وفرة المال، واتصل ببعض كبار ممدوحيه أمثال يزيد بن مزيد الشيبانى القائد القوى فى عصر الرشيد. وانتهى به المطاف إلى مقام الخليفة هارون الرشيد. وقيل إن الخليفة لقبه بصريع الغوانى لقوله:

وما العيش إلا أن تعيش مع الصبا
صريع حميّا الكأس والأعين النجل

وقد عب مسلم من مباهج الحياة ولذاتها، وأنفق كثيرا مما كسب من المال على لهوه ومسراته من خمر ونساء وعيش ناعم.

وانتقل الشاعر فى أخريات حياته إلى أقليم جرجان، وكان يشعر بالغربة هناك وروى له بيتان يخاطب نخلة من نخل جرجان يقول:

ألا يا نخلةً بالسفح من أكناف جرجان

ألا إنى وإيّاكِ بجرجان غريبان

وتوفى بها سنة ٢٠٨ هجرية غريبا.

واشتهر فى شعره بالميل إلى البديع، والميل إلى الصنعة. ومتانة الصياغة، ورصانة البناء وأعجب بشعر البادية فبدت سماته على صفحات شعره، وجمع شعره بين المديح والغزل ووصف مجالس الخمر ولذاتها، والهجاء والرثاء.

من شعر مسلم بن الوليد

- ١ -

قال يمدح يزيدَ بنَ مزيدِ الشّيبانى:

١ - أُجْزِرْتُ حبلَ خليعٍ فى الصِّبا غَزِلِ
وَشَمَّرَتْ هممُ العُذّالِ فى العَذَلِ

٢ - هاجَ البكاءَ على العين الطُّموح هوى
مفرّقٌ بين تَوْديعٍ ومُحتَمَلِ

٣ - كيفَ السُّلوُّ لقلْبٍ راح مُخْتَبَلاً
يَهْذِى بصاحِبِ قلبٍ غيرِ مُخْتَبَلِ

---

(١) أجررت حبل خليع - أى أطلق لى الحبل على غاربه فى الخلاعة، والغزل التحبب إلى النساء. وشمرت همم العذال أى جدوا فى عذلهم، ولومهم جاء بالمعنيين على صورة الاستعارة.

(٢) والطموح المرتفعة بنظرها إلى الأحبة وهم سائرون، محتمل، من الاحتمال الفراق.

(٣) مختبلا: مختلط العقل، يهذى بمن يحب لشدة حبه وشغفه.

٤ ـ عَاصَى العـزاءَ غـداةَ البَيْنِ مُنْهَمِلٌ

مِن الدُّمـــوعِ جَرَى فى إثرِ مُنْهَمِلِ

٥ ـ لولا مـداراةُ دمعِ العـيْنِ لانكشفَتْ

منِّى سـرائرُ لم تظْهَر ولـم تُخـلِ

٦ ـ أمـا كـفَى البـيْنَ أن أُرمى بأسْهُمِه

حـتَّى رمـانِى بلحظِ الأعْيُنِ النُّجلِ

٧ ـ ممَّا جنَى لِى وإن كـانَتْ مُنَّى صدَقَتْ

صـبَابَةً خلسُ التَّسـليمِ بالمُقَلِ

٨ ـ مـاذا على الدَّهرِ لو لانتْ عَرِيكتُهُ

وردَّ فـى الـرَّأسِ مـنِّى سَكْرَةَ الـغزَلِ

٩ ـ جرْمُ الحـوادِثِ عندى أنَّهـا اختَلَسَتْ

منِّى بنات غـذاءِ الكرْمِ والـكِلَلِ

١٠ ـ ورُبَّ يَوْمٍ مـن الـلَّذَّاتِ مُحتضَرٍ

قَصَرْتُه بلقـاءِ الرَّاحِ والخُلَلِ

١١ ـ ولـيلـةٍ خُلَستْ لـلعيْنِ مـن سِنَةٍ

هَتكْتُ فيهـا الصِّبا عن بَيْضَةِ الحـجَلِ

١٢ ـ قد كانَ دهْرِى وما بى اليومَ من كِبرٍ

شُربَ المُدَامِ وعزْفَ القـيْنَةِ العُطُلِ

---

(٤) عاصى العزاء: عاند الصبر، فلم يصبر

(٧) فى البيت تقديم وتأخير، واعتراض، يقول مما جنى لى صبابة، وإن كانت منى صدقت، ما كان من خلس النظر إلى أعين المحبوب، والخلس استراقة النظر مخافة الرقباء.

(٩) غذاء الكرم والكلل، يعنى الخمر والنساء، والكلل: جمع كلة، الستر الرقيق تستتر وراءه المرأة.

(١٠) والخلل: جمع خلة وهى الصديقة والصاحبة، أى رب يوم خالطت فيه اللذات من الخمر والنساء.

(١١) خلست: استرقت للعين من نعاس، أى سهرت فيها. بيضة الحجل: كنى بها عن المرأة والحجل: الخباء، وهو الحجال كذلك.

(١٢) العطل: العاطلة من الحلى والزينة، مكتفية بجمالها.

١٣ ـ إذا شكوْتُ إليـهـا الحبَّ خفّرهـا
شكوايَ فـاحـمـرَّ خـدّاهاَ من الخَجَلِ
١٤ ـ كم قـد قطعْتُ وعينُ الدّهرِ راقدةٌ
أيامهُ بالـصِّبـا فى اللّهْوِ والجَذَلِ
١٥ ـ وطيّب الفرْعِ أصـفانِى مـودّتـهُ
كـافـأته بمديحٍ فـيـه منتخَلِ
١٦ ـ وبلدةٍ لمطايا الرّكْبِ منضـيـةٍ
أنضـيـتُهـا بوجيفِ الأينُقِ الذُّلُلِ
١٧ ـ فـيمَ المُقـامُ وهذا النجمُ مُعتـرِضـاً
دنَا النَّجـاءُ وحـانَ السَّيـرُ فـارْتَحِلِ
١٨ ـ يا مـائلَ الرأسِ إنّ اللّيثَ مُفْتَرِسٌ
ميلَ الجمـاجمِ والأعناقِ فـاعْتَدِلِ
١٩ ـ حـذارِ من أسـدٍ ضِرْغـامـةٍ بَطَلٍ
لا يولِـغُ الـسَّيـفَ إلا مُهْجَةَ الـبطَلِ
٢٠ ـ لوْلا يزيدُ لأضْحَى الملكُ مطَّرحـاً
أو مـائلَ السَّمْكِ أو مُسْتَرخِيَ الطَّولِ
٢١ ـ سَلَّ الخليـفـةُ سَيْفـاً من بنى مطر
أقـام قـائمَه من كـانَ ذَا مَيَلِ

---

(١٥) منتخل: مختار.

(١٦) منضية متعبة. أنضيتها: قطعتها، والوجيف ضرب من سير الإبل.

(١٧) يقول: فيم المقام فى الحضر هذا النجم: يعنى الثريا، واعترض انتصب فى السماء. والنجاء: السير السريع.

(١٨) مائل الرأس قد يقصد به الصلف المعاند والمتكبر غير المذعن، والخارج عن الطاعة، ميل الجماجم: الذين يميلون جماجمهم عنادا وعصيانا.

(٢٠) مطرحا: مخذولا، السمك: رأس الخيمة. والطول: الحبل الممتد. ومائل السمك ومسترخى الطول: يعنى ضعف الملك وهوانه لأن الخيمة إذا مال عمودها واسترخت حبالها ضعفت وانهارت.

٢٢ - كم صائلٍ فى ذرى تمهيدِ مملكةٍ
لولا يزيدُ بنى شيبانَ لم يَصُلِ

٢٣ - نابُ الإمامِ الذى يفترُّ عنه إذا
ما افتَرَّت الحربُ عن أنيابِها العُصُلِ

٢٤ - مَنْ كانَ يختِلُ قِرْناً عندَ موْقفه
فإنَّ قِرْنَ يزيدٍ غيرُ مُختَتِلِ

٢٥ - سدَّ الثُّغورَ يَزيدٌ بعدَما انفرجَتْ
بقائمِ السَّيفِ لا بالختْلِ والحيَلِ

٢٦ - كم قد أذاقَ حِمامَ الموتِ من بطلٍ
حامى الحقيقةِ لا يُؤتَى منَ الوَهَلِ

٢٧ - أغرُّ أبيضُ يُغْشى البَيْضَ أبيضَ لا
يَرضَى لمولاهُ يومَ الرَّوعِ بالفَشَلِ

٢٨ - يغشَى الوغَى وشِهابُ الموْتِ فى يدِه
يرمِى الفوارسَ والأبْطالَ بالشُّعَلِ

---

(٢٢) تمهيد مملكة: بسط مملكة، ويروى علياء مملكة، وصائل: هائج يريد به الخارج على نظام المملكة والثائر.

(٢٣) ناب الإمام: أى سلاحه، كما أن الناب سلاح الأسد، يفتر عنه أى يكشف عنه، كما يبرز الأسد أنيابه إذا غضب وهم بالافتراس، والعصل: القوية الشديدة الملتوية، كأنها الخناجر وهى أشد فتكا وأصل الأعصل المعوج،

(٢٤) يختل: يخدع، أو يستغفل، أى أن يزيدا لا يخدع قرنه عند لقائه ولا يأخذه على غرة، بل يواجهه، شجاعة وإقداما لأنه لا يخافه.

(٢٦) الوهل: الجبن وحامى الحقيقة: أى يحمى كل ما حق له أن يحميه كالرجل يحمى أهله وعشيرته، ورعيته. يؤتى من الوهل: يتغلب عليه من الجبن سببا فى القضاء عليه، فعدو يزيد ليس كذلك.

(٢٧) أغر: له غرة ويعنى أنه مشهور كما نقول يوم أغر، أبيض: يقصد به وصفه بالنقاء والطهر. والبيض: جمع بيضة. وهى الخوذة غطاء الرأس فى الحرب. وأبيض: يقصد السيف. أحل الصفة محل الموصوف. والفشل: الكلل والتعب. ويعنى النكوص والهزيمة.

(٢٨) شهاب الموت: يعنى السيف، والشعل: جمع شعلة. شبه السيوف بالشعل لوميضها.

٢٩ ـ يفترُّ عندَ افْترارِ الحربِ مبتسماً
إذا تغيَّر وجْهُ الـــفارسِ الــبطَلِ

٣٠ ـ موفٍ على مُهَج في يومِ ذي رهَجٍ
كــأنَّهُ أجلٌ يسْعَى إلى أمَلِ

٣١ ـ ينَالُ بالرِّفقِ ما يعْيَا الرِّجالُ به
كالموت مستعجلاً يأتي على مهلِ

٣٢ ـ لا يُلْقَحُ الحربَ إلا ريثَ ينَتجُها
منْ هالكٍ وأســيرٍ غــيرِ مُخْتتَلِ

٣٣ ـ إنْ شـيمَ بارقُه، حَالَتْ خَلائقُهُ
بين العَطيَّةِ والإمســاكِ والعلَلِ

٣٤ ـ يُغْشَى المنايا المنَايَا ثم يفْرجُها
عن النُّفــوسِ مُطلاتٍ على الهبَلِ

٣٥ ـ لا يرحلُ النَّاسُ إلاَّ نحــوَ حجْرَتِه
كالبيتِ يُضْحِي إليه مُلْتقَى السُّبُلِ

---

(٢٩) يفتر: يبتسم. وافترار الحرب: ضراوتها. شبهها بالليث يكشف عن أنيابه عند الافتراس. تغير وجه الفارس والبطل أى عبس واكفهر من شدة الحرب وهولها.

(٣٠) المهج: النفوس. وموف على مهج: أى أتى عليها بالقتل. والرهج: الغبار وهو ما تثيره الحرب من حركة المقاتلين وأرجل الخيل.

(٣١) أى يحصل على ما يريد دون مشقة. ولا يحصل عليه غيره إلا بعد جهد، وهو كالموت فى قطعه المؤكد مهما طال الأمد. وامتد العمر.

(٣٢) يلقح: من لقحت الناقة إذا حملت، يريد أن يهيج الحرب، وينتجها: يولدها. أى لا يلبث إن هاج الحرب أن ينتجها من القتلى والأسرى غير مأخوذين على غرة.

(٣٣) شيم بارقه: نظر إلى برقه. والنظر إلى البرق تطلعا إلى نزول الغيث عرف عربى. يعنى أن تطلع الناس إلى عطائه بادر بالعطاء ولم يمتنع متعللا أو ممسكا لأن خلائقه تأبى ذلك.

(٣٤) يغشى المنايا أى يدرك الموت ويتابعه، ثم يفرج الموت أى يكشفه وقد أوشكت النفوس على الهلاك والهبل: الفقدان.

(٣٥) غب طاعتها: بعد طاعتها. والأسل: الرماح.

٣٦ ـ يقرِى المنيَّةَ أرواحَ الكُماةِ كما
يقـرِى الضُيـوفَ لحـوُم الكُوم والبُزَلِ
٣٧ ـ يكسو السيوفَ رماءَ النَّاكثين به
ويـجْعَلُ الـهَامَ تيـــجَانَ الـقنَا الـذُبلِ
٣٨ ـ يغـدُو فتـغـدُو المنَايا فى أسنَّته
شـــوارِعـــاً تتـسحــدَّى الناسَ بـالأَجَلِ
٣٩ ـ إذا طَغَتْ فِئةٌ عن غبِّ طاعتِها
عـــبَاً لهـــا الموتَ بينَ البِيضِ والأَسلِ
٤٠ ـ قد عوَّد الطيرَ عاداتٍ وثِقنَ بها
فـــهنَّ يتـــبـــعْنَهُ فى كُلِّ مـــرتَحَلِ
٤١ ـ تراهُ فى الأمنِ فى درع مضَاعفَةَ
لا يأمنُ الدَّهْرَ أن يُدْعَى على عـــجَلِ
٤٢ ـ صافِى العِيانِ طموحُ العينِ همَّتُه
فكُّ الـعُنـاةِ وأســــــرُ الـفاتِك الخَطِلِ
٤٣ ـ لا يَعْبَقُ الطيبُ خدَّيه ومفرقَه
ولا يمـــــسّحُ عــــينيـــهِ من الكُحَلِ
٤٤ ـ إذا انْتَضَى سيفَهُ كانتْ مسالكُهُ
مــــســـالِكَ الموتِ فِى الأبدانِ والقُلَلِ
٤٥ ـ وإن خلَتْ بحديثِ النَّفْسِ فكرتُهُ
حيَّى الرَّجـاءُ وماتَ الخـوفُ من وَجَلِ
٤٦ ـ كالليثِ إن هِجْتَهُ فالموتُ راحتُهُ
لا يســـــتــــريحُ إلى الأيامِ والدُّولِ

(٤٢) صافى العيان: طموح البصر وحديده. والخطل: ذو الخطل أى الجانى المجرم الخطاء.
(٤٣) لا يعبق: لا يلتصق بخديه. ولا يمسح عينيه من الكحل أى لا يكتحل فيضطر أى يمسح عينيه من أثر الكحل كلما اكتحل من جديد. يريد أنه ليس خليا، بل همه الحرب، ومهام الأمور.

٤٧ ـ إنَّ الحوادثَ لما رُمنَ هضبتَهُ
أزمعْنَ عن جارِ شيبانٍ بمُنْتَقَلِ

٤٨ ـ فالدهرُ بغبطُ أُولاهُ أواخرَه
إذ لم يكُنْ كانَ فى أعصارِهِ الأُولِ

٤٩ ـ إذا الشريكىَّ لم يفخَرْ على أحدٍ
تكلَّم الفخرُ عنهُ غيرَ منتحِلِ

٥٠ ـ لا تُكْذَبنَّ. فإنَّ الحلمَ معدنُه
وراثةً فى بنى شيبانَ لم تَزَلِ

٥١ ـ سلُّوا السُّيوفَ فأغشُوا من يُحاربُهمْ
خبْطاً بها غيرَ ما نُكْلٍ ولا وُكُلِ

٥٢ ـ الزّائديُّونَ قومٌ فى رماحِهِم
خوفُ المُخيفِ، وأمنُ الخائفِ الوَجِلِ

٥٣ ـ كبيرُهم لا تقومُ الرّاسياتُ له
حلماً وطفلُهم فى هَدْىِ مُكْتَهِلِ

٥٤ ـ إسلَمْ «يزيدُ» فما فى الدِّين من أوَدٍ
إذا سلِمْتَ وما فى المُلْكِ من خلَلِ

٥٥ ـ أثبت سُوقَ بنى الإسلامِ فاطَّأَدَتْ
«يومَ الخليجِ» وقد قامتْ على زَلَلِ

٥٦ ـ لولا دفاعُك بأسَ الرُّومَ إذ بكَرَتْ
عن عِترةِ الدِّينِ لم تأمنْ من الثُّكُلِ

---

(٤٩) الشريكى: نسبة إلى شريك أحد أجداد بنى شيبان.

(٥٤) أود: عوج.

(٥٥) اطأدت: ثبتت. والسوق: جمع ساق، أى جعلتهم ثابتين أمام العدو لم يهرعوا إلى الفرار. ويوم الخليج يوم للمسلمين مع الروم خاصة يزيد. أى كان الفضل فى نصرة المسلمين أمام الروم وعدم هزيمتهم.

(٥٦) بكرت: يريد الروم أى بادرت بالهجوم، وعترة الدين جماعة المسلمين، الثكل: الفقدان. يريد لم تأمن أمة الإسلام فقدان بنيها كما تفقد الأم بنيها بالثكل.

٥٧ - و«يوسفَ البَرْمِ» قد صبّحت عسكرَهْ
بعسكرٍ يلفظُ الأقدارَ ذى زَجَلِ
٥٨ - غافَصتهُ يوم عبرِ النهرِ مُهلَتَهُ
وكان مُحتجزاً فى الحرْبِ بالمُهَلِ
٥٩ - والمارقُ «ابنُ طريفٍ» قد دلَفتَ لهُ
بعسكرٍ للمنايا مسبلٍ هطِلِ
٦٠ - لما رآكَ مُجِداً فى منيّتِه
وأنْ دَفْعَكَ لا يُسْطَاعُ بالحِيَلِ
٦٠ - شامَ النزالِ فأبْرَقْتَ اللّقَاء لَهُ
مُقدّمُ الخَطْوِ فيها غيرَ مُتّكِلِ
٦١ - ماتوا وأنتَ غَليلٌ فى صُدُورِهِمْ
وكان سيفُكَ يَسْتَشْفِى من الغُلَلِ
٦٢ - لو أنّ غيرَ شَرِيكِىٍّ أطافَ به
فازَ «الوليدُ» بِقِدْحِ الناصلِ الخَصِلِ
٦٣ - وقمتَ بالدِّينِ يومَ الرَّسِّ فاعتدَلَتْ
منه قوائمُ قد أوفتْ على مَيَلِ

(٥٧) يوسف البرم: خارجى ثائر على الدولة أيام هارون الرشيد، كان كلما بعث إليه عسكره هزمه. فنهض إليه يزيد بعسكر كثيف، وغلبه. يلفظ: الأقدار يقذف بالموت على من لقيه. ذو زجل: ذو أصوات وضجة كناية عن كثافة الجيش وكثرة السلاح.

(٥٨) غافصته: فاجأته ولم تمهله ليأخذ أهبته فى القتال فتمكنت منه يوم عبرت إليه الخليج وهو غافل فهزمته.

(٥٩) ابن طريف: مارق آخر ممن ثاروا على الدولة فى عصر هارون الرشيد.

(٦٠) شام النزال: طلبه وعاينه، وأصله من شام البرق: أى تطلع إليه. وأبرقت اللقاء: أجبته إليه فبرزت له. استخدم الاستعارة فى الفعلين ورشحت الأولى الثانية. غير متكل على أحد.

(٦٢) الناصل: المصيب. والخصل كذلك. والوليد هو الوليد بن طريف الخارجى، يشير إلى قوة بأس الثائر وإقدامه. وأنه يهزم أقرانه، ولم ينله سوى يزيد الممدوح من بنى شريك من شيبان.

(٦٣) يوم الرس يوم من الأيام التى أبلى فيها يزيد بلاء حسنا.

٦٤ ـ مـا كـانَ جـمـعُهُمْ لما لقيـتَهُمْ
إلا كــمــثلِ نعــام ريعَ مُنْجفِلِ

٦٥ ـ تابـوا، ولو لم يتـوبـوا من ذُنوبـهمُ
لآبَ جــيــشُكَ بالأسْرَى وبالنفَلِ

٦٦ ـ كم آمـنٍ لكَ نـائـى الـدَّارِ مُمْتنِعٍ
أخــرجْتَه من حُصُونِ المُلْكِ والخوَلِ

٦٧ ـ يأبَى لكَ الذمَّ فى يوميْكَ إن ذُكرا
عَضْبٌ حُسامٌ وعرْضٌ، غيرُ مُبتذَلِ

٦٨ ـ ومــــارِقِينَ غُزاةٍ من بـيوتِهم
لا ينــكُلُونَ ولا يُؤتَونَ مـــن نَكَلِ

٦٩ ـ خلَّفت أجسادَهُم والطَّيرُ عاكفةٌ
فـيـهـا وأقـفلتـهُمْ هامـاً مع القَفَلِ

٧٠ ـ فافْخرْ فما لكَ فى شيْبانَ من مَثَلٍ
كــذاكَ مــالبنى شــيْبَانَ من مَثَلِ

٧١ ـ كم مشـهدٍ لَكَ لا تُحصَى مآثِرُهُ
قـسَمْتَ فـيـه كـرِزْقِ الإنْسِ والخَبَلِ

٧٢ ـ للّـهِ مـن هـاشِمٍ فـى أرضِه جبَلٌ
وأنــتَ وابــنُـكَ رُكــنـا ذلِكَ الجبَلِ

٧٣ ـ قـد أعظَمُوكَ فـمـا تُدْعَى لهـيِّنةٍ
إلا لمـعُضِلَةٍ تـسْتَنُّ بـالـعَضَـلِ

---

(٦٨) مارقين: خارجين، لا ينهزمون، لا يؤتون من نكل: أى لا يغلبون بالهزيمة.

(٦٩) أقفلت: رجعت وأقفلتهم هاماً: أى عدت برؤوسهم. والقفل: من عادوا أو الجيش.

(٧١) الخبل: الجن. وكرزق الانس والخبل: أى رزق الانس والجن كثرة.

(٧٣) هينة: صغيرة غير جليلة تستن: تتابع بالعضل: العسر أى تتشابك معضلاتها وتتعقد.

٧٤ ـ يارُبَّ مَكْرُمَةٍ أصبحْتَ واحدَهَا
أعـــيتْ صنَاديدَ رامُوها فلَمْ تُنَلِ
٧٥ ـ تشاغَلَ الناسُ بالدُّنيا وزُخْرُفِها
وأنتَ من بذلكَ المعــروفَ فى شُغُلِ
٧٦ ـ أقسمتُ مـاذُبٌ عن جَدْوَاكَ طالبُها
ولا دفعْتَ اعـــتـــزامِ الجدِّ بالهَزَلِ
٧٧ ـ يأبى لِسانُكَ منْعَ الجودِ سائلَهُ
فـــمـــا يلجلْجُ بين الجُودِ والبخَلِ
٧٨ ـ صدَّقْتَ ظنّى، وصدَّقْتَ الظُّنونَ به
وحطَّ جُودُكَ عــقْدَ الرَّحلِ عن جمَلى

ـ ٢ ـ

وقال مُسْلمٌ أيضاً:

١ ـ أغْرَى به الشَّوْقُ لَيْلَ السَّاهرِ الرَّمِد
ونظْرةٌ وكَلَتْ عَيْنَيْه بالــسُّهُــــد
٢ ـ أَمُنْقَضٍ عنْهُ حزْنٌ مــا يُفــارقُهُ
أَقــامَ بيْنَ الحـــشَى بالسُّقْمِ وَالكمَدِ
٣ ـ أمْ لَيْسَ نــــاسِيَ أيَّامٍ لَهُ سلَفَتْ
جرَتْ علَيْهِ بلَذَّاتٍ فلَمْ تَعُدِ
٤ ـ أحـــيا البُكَا لَيْلَهُ حتّى إذا تلَفَتْ
نَفْسُ الــدُّجَى واسْتَنَارَ الــصُّبْحُ كَالْوَقَدِ
٥ ـ غـادَى الشُّمولَ فعاطتْهُ سَمَادرُها
طَيْفــاً به أَلِـفَتْ رُوحــاً إلى جَسَــدِ

(٥) الشمول: الخمر، وغادى الشمول شربها صباحا. وسمادرها أى سمادر الخمر. خيالاتها. ومسكرها. طيفا: يريد طيف حبيبته، أى أن سكر الخمر وخيالاتها جلبت له طيف حبيبته فالفت روحا إلى جسد. والروح هو طيف الحبيبة والجسد جسده.

٦ ـ كأنّها وسنانُ الماء يقتلها
عقيقةٌ ضحكت في عارضٍ بَرِدِ
٧ ـ حتى إذا الرّاحُ قامتْ عنْهُ فترتُها
ريعَ الكرى وأقامتْ حسْرةُ الخلَدِ
٨ ـ يكادُ يسْلبه مرُّ الحادثات به
لوْلا بقايا دواعي قلْبِه الْكمدِ
٩ ـ لوْ ساعفَ الدهْرُ لارتدّتْ غضارتُهُ
ولاستردّ مودّاتِ المها الخُرُدِ
١٠ ـ ماذا تراءى لَهُ نأيُ الخليط به
غداة يحْمدُ لمّا أوْ يذُمّ قدِ
١١ ـ للّهِ درُّ اللّواتي عفْنَ مكْرعَهُ
حتى صدرْنَ بِهِ ظمآنَ لمْ يرِدِ
١٢ ـ خافَ العيونَ وضمّتْهُ عزيمتُهُ
إلى امْتناعٍ على جوْلانِ مُطّرِدِ
١٣ ـ ورُحْنَ والعيْنُ للتّوديعِ واكفةٌ
إنْسانُها من مسيل الدّمْع في صُعُدِ

---

(٦) عقيقة: يقصد البرق اللامع، والعارض: السحاب، برد: بارد يشبه الماء ينصب وسط الخمر ويطعن بسنانه الأبيض دكنة الخمر وحمرتها بالبرق يشق عارض السحاب، وقتل الخمر: تخفيف حدتها بالماء.

(٧) قامت عنه: زالت عنه، فترتها: فترة الخمر ما يصيب الجسد من خمول. وريع: نفر وهرب والكرى: النوم.

(٩) ساعف الدهر: حالف وواتي غضارته: نضارته وطلاوته. مودات: جمع مودة، محبة، والخردة: جمع خريدة وهي الفتاة والمها جمع مهاة. استعارة للفتيات.

(١٠) الخليط: جماعة المسافرين أو الركب الراحلون، غداة يحمد لما أي يفرح لما أي يفرح إذا قيل لما يبرحوا أو لما يزاولوا، ويذم أي يترح عند الرحيل، يذم قد: أي قد رحلوا.

(١١) مكرعه: مشربه، صدرن: رجعن من المورد. يعني حرمنه الشراب أو ورد الماء يقصد وصالهن، وعدن به ولم يحققن له ما أراد.

(١٢) خمته عزيمته إلى امتناع: أي منعته عزيمته أن يفعل خوف الرقباء وعيونهم وجولان مطرد: ماء جار متتابع الجريان.

(١٣) رحن: ذهبن يعني الفتيات، واكفة: سائلة الدمع، وفي صعد في ارتفاع.

١٤ - بالله أُخلِفُ مـا أتلفت من نَشَبِ
وعــــادةَ الجـــودِ فى أبياتى الشُّرُدِ
١٥ - تَهوِى بأشعَثَ أعطاهُ المُنَى أمَلٌ
وعُقدةً من رجـــــاءٍ ضامنِ العقَدِ
١٦ - فاستَودعتهُ بطونُ البيد همّته
وأودعتهُ السُّرى فى الوعثِ والجدَدِ
١٧ - حتى إذا قبض الإدلاجُ بسطتَها
ووقفتْ من مُنى السَّارى على أمَدِ
١٨ - تمــخَّضتْ عنهُ تمًّا بعدَ مَحمَلِه
شهرينِ ببيداءَ لم تُضرَبْ ولم تلدِ
١٩ - ألقتهُ كالنصلِ معطوفاً على همم
يعمدنَ منتجعــــاتٍ خيرَ معتمدِ
٢٠ - تخطّأتْ نومَــهُ عنهُ وشايعـــهُ
دأبُ الجديدينِ والعيـــــديةِ الوُخُدِ

(١٤) أخلف: أعوض، والنشب: المال والثروة. ما يعود به الجود لقاء ما أنشد من أبيات سائرة ذائعة للممدوحين. والشرد: الشاردة البعيدة، يقصد بالأبيات الشرد الشعر السائر.

(١٥) تهوى: أى الناقة تسرع فى السير، الأشعث: غير مرجل الشعر مغبرة من الرحلة يعنى نفسه. اعطاه المنى أمل: أى أبلغه الأمل ما يتمنى. وعقدة من رجاء ضامن العقد: أى المال والعطاء يقصد أن المنى كذلك بلغها له ما يرجو من المال.

(١٦) الوعث: المكان الكثير الرمل، والجدد: الأرض الفضاء لا نبت فيها فهى جرداء.

(١٧) الإدلاج: سير الليل، أو من آخر الليل إلى الصباح. بسطتها: الهاء عائدة على النوق، أو المطى. يقصد انبساطها فى العدو. قبض بسطتها يعنى أتعبها، وعلى أمد: على غاية.

(١٨) تمخضت عنه أى ولدته أو قذفته فى الولادة. يقصد الفلاة أو البيداء. وتما: تاما. ولم تضرب: أى لم يقع عليها فحل لتحمل.

(١٩) النصل: حد السيف، يصف نفسه بالنحافة والضمور من أثر الرحلة كما يصفها بالقوة والاحتمال. ومعطوفا على همم أى يحمل بين جنبيه هِمما يعمدن: يقصدن. ومنتجعات: طالبات النزول بمكان وفير الكلا والخير. وخير معتمد: خير مقصود.

(٢٠) تخطأت نومه عنه: أى أبعدته، وأزالت نومه، شايعه: طاوعه ولازمه، ودأب الجديدين على: دوام الليل والنهار فى تعاقبهما عليه والعيدية الوخد: أى النوق العيدية المنسوبة إلى قبيلة «العيد» من مهرة. ووخد: جمع وخود أى تسير هذا الضرب من السير وهو الوخد.

٢١ - حاشَى لِطَالِبِ عُرْفٍ أنْ يَخِيبَ على
نَدَى يَدَيْكَ ولَوْ حـــاشَاكَ لَمْ يَجِدِ
٢٢ - ظُنُونُ راجِي الذي يَرْجُوكَ واثِقَةٌ
ألا يُخَيَّبَ فـــيــهـــا آخِرَ الأَبَدِ
٢٣ - تَأْتِي عَطَــايَاهُ شَتَّى غَيْرَ واحِدَةٍ
مُؤَمِّلِيـــه وَإِنْ كـــانُوا عَلَى بُعَدِ
٢٤ - كَحَمْلَةِ السَّيْلِ تَأْتِي بَعْدَ عــاشِرَةٍ
لَهُ قَرَاقِـــيـــرُ بــالآذِيِّ وَالزَّبَـدِ
٢٥ - لا يَمْنَعُ العُرْفَ مِنْ إلحاحِ طالبه
ولا يُقَرِّبُ مِنْهُ رِفْقُ مُـتَّـئِـــدِ
٢٦ - يَبَرُّ بِالْجُودِ يَحْمِـيــه ويَكْلَؤُهُ
كَأَنَّهُ والِدٌ يَحْنُــو عَلَــى وَلَـــدِ
٢٧ - أَغْنَى الصَّدِيقَ فَعَاشُوا مِنْهُ فِي رَغَدِ
وَاسْتَلَّ جُـــودُ يَدَيْهِ غِلَّ ذِي الحَسَدِ
٢٨ - مُعَقِّرُ الكومِ للأَضْيـافِ لَيْسَ لَهَا
إلا المَكَـــارِمَ مِنْ عَقْلٍ وَلا قَـــوَدِ
٢٩ - تَأْتِي البُدُورُ فَتُفْنِيــهـا صَنَائِعُهُ
وَمَا يُدَنِّسُ فـــيــهـــا كَفُّ مُنْتَقِدِ

---

(٢١) طالب عرف: العرف العطاء، وحاشي: بعد. وحاشاك: أي بعد عنك. لم يجد: أي لم يأته الجود. يريد أن قاصده لا يخيب من عطائه. والمبتعد عنه لا يناله شيء.

(٢٤) كحملة السيل: كدفعته، بعد عاشرة أي بعد عشر ليال، قراقر: صخب وضجيج، والآذي: الموج. يصف عطاء الممدوح بأنه السيل الدافق المزبد يناله من يبعد عنه عشر ليال، أي ينال البعيد القاصي كما ينال القريب الداني.

(٢٨) معقر الكوم: أي ذابح الإبل السمينة. وعقل: من العقال الرباط أي لا يعقل تلك الكوم ويسمنها إلا ابتغاء المكارم، لا يدفع بها دية ولا يقدمها في القصاص.

(٢٩) البدور: جمع بدرة وهي الخريطة يحفظ فيها الدراهم والدنانير، صنائعه: من الجود، ما يدنس كف منتقد: ما تمسها أكف من يعدها أو يحصيها. أي أن المال يأتيه في هذه الحقائب. فلا يعده بل ينفقه دون أن تمسه يد.

٣٠ ـ لا يَعْرِفُ المالَ إلا عندَ سـائله
أَوْ يومَ يجمعُهُ لِلـنَّهْبِ والـبَدَدِ

ـ ٣ ـ

وقال مسلم بن الوليد أيضاً:

١ ـ أيـا سُرورٌ وأَنْتَ يـا حَزَنُ
لِمْ لَمْ أَمُتْ حِينَ صـارَتِ الظُّعُـنُ

٢ ـ أَطَالَ عُمْرِى أَمْ مَدَّ فـى أَجَلِى
أَمْ لَيْسَ فـى الـظَّاعِـنِينَ لِى شَجَنُ

٣ ـ أَمْ لَمْ يَبِنْ مَنْ هَوِيـتُ مُرْتَحِلاً
أَمْ لَمْ تَوَحَّشْ مِنْ بَعْدِهِ الـدِّمَنُ

٤ ـ يـا لَيْتَ مـاءَ الفُراتِ يُخْبِرُنـا:
أَيْنَ تَوَلَّتْ بِأَهْلِهـا الـسُّفُـنُ؟

٥ ـ مـا أَحْسَنَ المَوْتَ عِنْدَ فُرْقَتِهِمْ
وأَقْبَحَ العَيْشَ بَعْدَ مـا ظَعَنُوا

٦ ـ وَيْـحَ المُحِبِّـينَ كَيْفَ أَرْحَمُهُـمْ
لَقَدْ شَقُـوا فـى طِلابِهِمْ وَعَنُـوا

٧ ـ هذى الحَمـامـاتُ إِنْ بَكَتْ وَدَعَتْ
أَسْعَدَهـا فـى بُكـائِهـا الـفَنَنُ

---

(٣٠) أى لا يعرف المال إلا فى حالتى العطاء، وتفريقه فى السائلين. يعنى أنه لا يدخره. بل دائم الانفاق لا يبقى على شىء من المال.

(١) الظعن: جمع ظعينة، والظعينة الهودج سواء أكانت فيه امرأة أم لم تكن. يقول للسرور: لم لم أمت وكيف لم أمت حين فارقتك بمسير الظعائن.

(٦) ويح للتحنين. يقول أحن وأرق للمحبين لما يلقون من عذاب الحب وعانوا الشقاء فى سبيل وصل أحبتهم.

(٧) الفنن: الغصن. ويقصد بأسعدها الفنن شاركها فيما تلقاه من شجن فيهتز معاونا فى البكاء.

٨ - فَمَنْ عَلَـــى صَبْوَتِـــى يُسَاعِدُنِي

إذا جــفــانى الحــبــيبُ والسَّكَنُ؟!

٩ - صَبَرْتُ لِلْحُبِّ إذْ بُلـــيـــتُ بِهِ

وَمــــــــاتَ مِنِّى السِّرارُ والعَلَنُ

١٠ - يا مُبْدِعَ الذَّنْبِ لـى لِيظْلِمنى

هَجْرُكَ لــى فــى الذُّنــوبِ مُمْتَحِنُ

١١ - مــــالِىَ مِنْ مِنَّةٍ فـــأَشْكُرَها

عِنْدَكَ لا بَلْ عِنْدى لَكَ المِنَنُ

١٢ - جَهِلْتَ وَصْلـــى فَلَسْتَ تَعْرِفُهُ

وأَنْتَ بـالـهَجْرِ عــــــــالِمٌ فَطِنُ

١٣ - حـــــارَبَنى بَعْدَكَ السُّرورُ كَمَا

صَالَحَنِي عِنْدَ فَقْدِكَ الْحَزَنُ

١٤ - أعــانَكَ الطرفُ والفُؤادُ علـى

رُوحـى، ورُوحـى علـيَّ يعـــتونُ

١٥ - مما كـســانِي الهوى فكَسْوَتُه

لـى أبداً مـــا لبِستُهـــا كَفَنُ

١٦ - أوهــنَنِي حــبُّ مــن كَلِفْتُ بِهِ

حـــــتَّى بـرانِي وشَفَّنِي الـوَهَنُ

١٧ - عــذَّبنى حب طَفْلَةٍ عــرَضَتْ

فـــيــهـــا وفى حُبِّهـــا لِيَ الفِتَنُ

---

(١٠) مبدع: مبدئ أو مخترع، ممتحن: معاقب: يعنى يا مخترع الذنب لى دون أن أفعله ليظلمنى، هجرك وحده عقوبة على ذنوبى.

(١٤) يعتون: يتعاون.

(١٥) يقول كل كسوة يكسينى الهوى هى لى كفن، لأنه يلبسنى الحب والحب يقتلنى.

١٨ ـ إذا دَنَتْ للضَّجيع لَذَّ لَهُ

مِنْهَا اعتناقٌ ولَذَ مُحتَضَنُ

١٩ ـ كحلاءُ لم تكتحِلْ بكاحلةٍ

وسنانةُ الطَّرْفِ ما بها وسَنُ

٢٠ ـ ففي فؤادي لحُبِّهَا غُصنٌ

في كل حينٍ يورقُ الغُصنُ

٢١ ـ قيلَ لها إنّه أخو كلَفٍ

بحبِّكُمْ هائمٌ ومُفْتَتَنُ

٢٢ ـ فأعرضتْ للصدود قائلةً:

يقولُ مَا شاءَ شاعرٌ لَسِنُ

٢٣ ـ ما كانَ في ما مضَى بمؤْتَمنٍ

على هوانا، فكيفَ يؤتَمنُ!

٢٤ ـ حُبَّانِ غَصَّانِ في الفؤاد لها

فمنهما ظاهرٌ ومُنْدَفِنُ

٢٥ ـ أوْطنَ يا «سِحرُ» حبُّكم كبِدِي

فَلَيسَ للمحِبِّ غيْرُها وطَنُ

٢٦ ـ سمِعْتِ فينا قولَ ذي حسَدِ

لما أتاكُمْ به هَنٌ وهَنُ

٢٧ ـ إنْ كان هجْرانكُمْ يطيبُ لَكُمْ

فليس للوصلِ عندنا ثَمَنُ

(٢٥) أوطن: يعنى اتخذه وطنا.

(٢٦) لما أتاكم به هن وهن: كناية عن اسم من يكنى عنه. ناقل الوشاية والحاسد.

٢٨ ـ خلَعتُ في الحبِّ. ماجِناً رَسَنِى

كــــذاكَ في الحُبِّ يُخْلَعُ الرَّسَنُ

٢٩ ـ وَابِأَبِى مــنْ يقُولُ لــى وَابِأَبِى

ومَنْ فُؤَادِى لَدَيْه مُرتَهَنُ

٣٠ ـ يَطــلُبــنــى حبُّهُ لِيَقْتُلَنِى

ولــيــسَ بــيــنِى وَبــيــنه إحَنُ

٣١ ـ وكم منَ اشياءَ قد مضتْ سُنَناً

كــمــا جَرَتْ في القــبــائلِ السُّنَنُ

٣٢ ـ وَقــائِلٍ لستَ بالمحبِّ ولَوْ

كُنْتَ مُحبًا هــزَلْتَ مُذْ زَمَــن

٣٣ ـ فقُلــتُ: رُوحِى مــكــاتِمٌ جسَدِى

حبِّى والحــبُّ فــيــه مُخْتَزَنُ

٣٤ ـ شَفَّ الهوى مُهْجتِى. وعذَّبهــا

فــلــيــسَ لــى مُهْجَةٌ ولا بَدَنُ

٣٥ ـ أَحبَّ قــلــبــى ومادَرى جسَدِى

ولــو درَى لــم يُقِمْ بــه الــسِّمَنُ

٣٦ ـ لـو وزَنَ العــاشِقُونَ حبَّهمٌ

لــكــانَ حبِّى بــحبِّهــم يَزِنُ

٣٧ ـ لاعــيبَ أَنْ كُنتُ مــاجِناً غزِلاً

فــقــبْلِى الأَوَّلونَ مــا مــجَنوا

---

(٢٨) الرسن: مقود الناقة وزمامها، ويريد بخلع الرسن التحرر من القيد.

(٣٠) أحن: جمع مفرده إحن: بمعنى حقد، والإحن الأحقاد والعداوات.

(٣١) السنن السير والطرق والشرائع.

وقال مسلم :

١ - كِتابُ فتىً أخي كلفٍ طَروبٍ
إلى خودٍ مُنَعَّمةٍ لَعُوبِ

٢ - صَبَوتُ إليكَ من حُزْنٍ وشوقٍ
وقد يصبو المحبُّ إلى الحبيبِ

٣ - وقد كانت تجيبُ إذا كَتبنا
فياسَقْياً ودَعياً للمُجيب

٤ - تَخُطُّ كتابَها بقضيب رَنْدٍ
ومِسْكٍ كالمدادِ على القضيبِ

٥ - كتابٌ فيه لم وإلى وما إنْ
أُقَضّى من رسائلها عَجيبي

٦ - نُعَمّيه على ذي الجهل عَمداً
ولا يَخْفَى على الفَطِنِ اللَّبيبِ

٧ - وقد قالت لبيضٍ آنساتٍ
يَصدْنَ قلوبَ شبَّانٍ وشيبِ:

٨ - أنا الشمسُ المضيئة حين تَبْدُو
ولكنْ لستُ أُعرفُ بالمغيبِ

٩ - براني الله ربِّي إذْ بَراني
مُبَرَّأةً سَلِمتُ من العيوبِ

---

(١) الكلف: الشغف. والخود: المرأة الشابة.

(٤) قضيب رند: عود رند والرند شجر طيب الرائحة من شجر البادية.

١٠ - فلو كلّمتُ إنسـانًا مـريضـاً

لما احـتـاجَ المريضُ إلى الطبـيبِ

١١ - وخلْقِي مـسكةٌ عُجِنَتْ ببـانٍ

فلَسْتُ أريدُ طيـبـاً غيَرَ طيـبي

١٢ - وأعـقـد مـئزرى عـقْدا ضَعيفـاً

علـى دعـصٍ رُكـامٍ من كثِيبِ

١٣ - وجِلْدِي لـو يَدِبُّ عليـه ذَرٌّ

لأدْمَى الـذرُّ جِلْدِي بـالـدَّبِيـبِ

١٤ - وريقى مـاءُ غـاديةٍ بشـهْدٍ

فـمـا أشـهى من الشَّهْدِ المشُوبِ

١٥ - فـقُلْنَ لهـا صـدقْتِ فـهل عَطَفْتُم

على رجلٍ يهـيمُ بكُمْ كـئـيب

١٦ - غـريبٍ قـد أتاكِ فـأَطْلِقِيـه

فـإنَّ الأجْرَ يُطْلَبُ فى الـغـريب

١٧ - فـقـالتْ: قـد بدتْ منه هَنَاتٌ

وقـد تبـدو الهنـاتُ من المريبِ

١٨ - وصلْنَاهُ فكـلَّمنـا بِسـحْرٍ

كذَلكَ كـلُّ مـلاقٍ خلُوبِ

---

(١٢) مئزر: ما تتزر به المرأة من ثياب أى تلفه حول وسطها، والدعص: كثيب الرمل المجتمع والركام: المتراكم. والكثيب مجتمع الرمال.

(١٣) الذر: صغار النمل.

(١٤) الغادية: السحابة تأتى في الغداة.

(١٨) كلما بسحر: أى سمانى سحرا، وليس اسمي، والملاق: المخادع والمتزين بغير ما يصلح منه أو ما لا يضمره قلبه. والخلوب: الخدوع صيغة مبالغة من خادع، وخالب.

١٩ ـ ومـــــا ظـلمتْ ولكنَّا ظَلَمْنَا

فــــقــــد تُبْنَا إليــــهـــا من قَرِيبِ

٢٠ ـ فُتِنَّا للشــقـــاءِ بحبِّ «سِحْرٍ»

كــــمـــا فُتِنَ النَّصَارَى بالصَّلِيبِ

٢١ ـ غَفَرتُ ذنوبَها، وَصَفَحتُ عَنْهَا

فــلـــم تَصْفَحْ ولــم تَغْفِرِ ذُنُوبِــي

٢٢ ـ ولو أنَّ الجنوبَ تُجــيبُ عَنِّي

لأَهْدَيتُ الســـــلامَ مع الجنـوب

٢٣ ـ وقـائلةٍ: أفِقْ من حبِّ «سـحـر»

فـقلتُ لهـا: جَهِلْتِ فلمْ تُصـيـبِي

٢٤ ـ أمَـرْتِ بهـجْرِهَا سَفَهاً فـتـوبي

إلـــى الـــرَّحْمَنِ مِمَّـــا قُلْتِ تُوبِي

٢٥ ـ ألا يا ليـــتنى قـــاضٍ مُطَاعٌ

فـأَقْضِي للمـحبِّ على الحـبـيبِ

أبو العتاهية
(ت ٢١١ هـ أو ٢١٣ هـ)

هو إسماعيل بن القاسم. ولد سنة ١٣٠هـ فى عين النمر بالقرب من الأنبار غربى الكوفة. وكان يتغزل فى شبابه. رأى عتبة، وكانت من جوارى رائطة بنت السفاح زوج المهدى، فوقعت فى قلبه وأخذ يتغزل فيها غزلا كبيراً إلا أنها كانت تزدريه، واسترحمت المهدى واستجارت به، وقالت إنه غير عاشق. فأمسك عن أمره. ويقال إنه لم يكن يفارق الرشيد فى سفر ولا فى حضر. وكانت نزعة الزهد التى أخذ أبو العتاهية يقصر عليها شعره سببا فى رميه بالزندقة، لأنه كان يقتصر فى شعره على ذكر الموت. دون تعرض لذكر البعث.

وقد مر شعره بمرحلتين: مرحلة أولى ساد فيها تصوير اللهو والمجون ومجالس الأنس والطرب. والمرحلة الثانية يمثل شعره الزهد، والدعوة إلى الانصراف عن الدنيا ومتاعها، والتفكير فى ظلمة القبر. ويسود زهدياته تشاؤم حزين. ومسحة الكآبة التى تعلوها لا تعتمد على أساس صحيح من الإسلام. فيما يرى شوقى ضيف، فالإسلام لا يشوه الحياة ولا يبغضها إلى الناس، بل يدعوهم إلى العمل الصالح.

أما أبو العتاهية، فيصورها فى سواد خانق، وهو سواد جاء، فيما يظن شوقى ضيف، من قراءاته فى المانوية واختلاطه بأصحابها، وليس على أساس

من اعتناقه لها ولكن على أساس فلسفته فى التوفيق بينها وبين الإسلام بحيث آمن بريه وأقر الثواب والعقاب فى الدار الآخرة.

ومذهبه فى الشعر يقوم على القرب من كلام العامة، حتى يكون أكثر تداولا، ومع ذلك لم يخرج عن الفصحى، وإن لم يحاول التزود تزودا واسعا بالتراث القديم، ولذلك قلما نجد عنده ضخامة البناء وما يطوى فيها من أسلوب جزل رصين، وهو من هذه الناحية يقترب اقترابا شديداً من اللغة اليومية التى عاصرها.

وليس من شك، أنه بسط لغة الشعر لا فى مجال اللهو والغزل فقط بل أيضاً فى مجال المديح والزهد، فالمديح لم يقف عائقاً فى سبيل هذا الأسلوب المبسط السهل، إذ تحرر من كثير من تقاليده القديمة من حيث مقدماته فى وصف الصحراء والرحلة على النوق، وكذلك من حيث لغته الضخمة الجزلة وما كان يشوبها من الغريب. كما حرص على اختيار الأوزان الخفيفة والمجزوءة ليصوغ منها شعره.

توفى سنة ٢١١هـ، أو ٢١٣هـ.

وقال فى عُتبة:

١ - بـالـلّهِ يـا حُلْوَةَ الْعَيْنَيْنِ زُورِيـنـى
قَبْلَ المَمَـــاتِ والا فـــاسْتَزِيرِيـنـى

٢ - هذَان أمْرانِ فـاخْتـارِى أحَبَّهُمـا
إلَيْكَ أَوْلا فَدَاعِـــى الْمَوْتَ يَدْعُونـــى

٣ - إنْ شِئْتِ مَوْتاً فـأَنْتِ الدَّهْرَ مـالِكَةٌ
رُوحِى وَإن شِئْتِ أحْيـا فـأَحْيِـيـنى

٤ ـ يا عُتْبَ مـا أَنْتِ إلا بِدْعَةٌ خُلِقَتْ

مـنْ غَيْرِ طِين وخَلْقُ الـنَّاسِ منْ طِين

٥ ـ كَمْ عـــائِبٍ لك لَمْ أَسْمَعْ مَقَالَتَه

ولَمْ يَزِدْكِ لَدَيْنــــا غَيْرَ تَزْيِــــين

٦ ـ كَأَنَّ عـــائبَكُمْ يُبْدِى مَحَاسِنَكُمْ

وَصْفــاً فَيَمْدَحُكُم عِنْدِى ويُغْرِينـى

٧ ـ مَا فَوقَ حُبِّكِ حبًّا لَسْتُ أَعْلَمُــــهُ

فــــلا يَضُرُّكِ أَنْ لا تَسْتَزِيـدينى

٨ ـ إنِّى لأَعْجَبُ مِنْ حُبٍّ يـقَرِّبُنــى

ممَّنْ يُبَاعِدُنـــى مِنْهُ ويُقْصِيــنـــى

٩ ـ لَوْ كَانَ يُنْصِـــفُنى ممَّا كَلِفْتُ به

إذاً رضِـــيتُ وكَانَ النَّصفُ يُرْضِينى

١٠ ـ يــا أَهْلَ وُدِّى إنِّى قَدْ لَطَفْتُ بكُمْ

فى الحُبِّ جُهْدِى ولَكِنْ لا تُبــالُونى

١١ ـ الْحَمْدُ لِلَّهِ قَدْ كُنَّــا نَظُنُّكُـــــم

منْ أَرْحَمِ النَّاسِ طـرًا بالمَســـاكين

١٢ ـ أَمَّا الكَثِيــرُ فَلا أرْجُوهُ مِنْكَ وَلَوْ

أَطْمَـعْـتَنى فى قَلِيلٍ كَانَ يَكْفِـينى

وأنشد المهدىّ قوله: [من المتقـارب]

١ ـ أَلا مـــا لسيِّدَتى مـــا لَهـــا

أَدَلاً فــــــــأَحْمِـلَ إدلالَهَـــا

(١) أدل عليه: وثق بمحبته فأفرط عليه واجترأ. والدلال: التدلل من المرأة: حسن حديثها ومزحها. والدل: الحالة التى يكون عليها الإنسان من السكينة والوقار فى الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك. ويقال: امرأة ذات دل: ذات شكل يدل به.

٢ - وإلا ففــــيمَ تَجــدَّــتْ ومــاَ
جنَيْتُ سقَى الله أطْلالَهـــــــــاَ

٣ - ألا إنَّ جـــــارِيَةً لِلإمـــــا
مِ قَــدْ أسْكَـــنَ الْحُــبُّ سِرْبَــالَهَا

٤ - مشَتْ بيْنَ حُورٍ قِصَـــارِ الْخُطا
تَجـــاذب في الْمَشْي أكْفَـــالَهاَ

٥ - وَقَدْ أتْعَبَ اللَّهُ نَفْسِي بِــهـــا
وأتْعَبَ بِالْـلَّوْمِ عُذَّالَهـــــــــا

٦ - كَـــأنَّ بعَيْنَي فــــي حيْثُمــاَ
سَلَكْتُ مِنَ الأرْضِ تِمْثَالَهــــــا

٧ - أتــتْهُ الخِـلافــــةُ مُنْـقَـادَةً
إلَيْه تُجَرجـــــرُ أذْيَالَهــــــا

٨ - ولَـــمْ تَـــكُ تَصْــلُحُ إلاَّ لَــهُ
ولَـــمْ يَــكُ يَصْــلُحُ إلا لَـــهَـاَ

٩ - ولَوْ رَامَـــــــهاَ أحدٌ غيْرُهُ
لـزُلْزِلَت الأرْضُ زِلْزَالَهـــــــا

١٠ - وَلَوْ لَمْ تُطِعْهُ بَــنَاتُ الـــقُلُوب
لمَا قَبِلَ اللَّهُ أعْمَالَهــــــــا

١١ - وَإنَّ الْخَلِيــــفَةَ مِنْ بُغْضِ: لا
إلَـيْـهِ لَيُـبْغِـضُ مَـنْ قَـالَهَـا

---

(٣) السربال: القميص، والدرع. وكل ما لبس.

(٤) الكفل: العجز للإنسان والدابة. الجمع أكفال.

(٥) شجر من الأثل خشبه من أصلب الخشب، وجمره يبقى زمانا طويلا لا ينطفئ. واحدته غضاة.

وقال:

١ ـ أخلايَ بي شَجْوٌ وليسَ بكُمْ شَجْوُ
وكُلُّ امرِئٍ عَنْ شَجْوِ صاحِبِهِ خِلْوُ

٢ ـ وما مِنْ مُحبٍّ نالَ مِمَّنْ يُحبُّهُ
هَوَىً صادقاً إلا سَيَدخلُه زَهْوُ

٣ ـ بُليتُ وكانَ الْمَزْحُ بَدْءَ بَلِيَّتى
فأَحْبَبْتُ حقاً والبَلاءُ لَهُ بَدْوُ

٤ ـ وعُلِّقْتُ مَنْ يَزْهو علىَّ تَجَبُّراً
وإنِّى فى كُلِّ الْخصالِ لَهُ كُفْوُ

٥ ـ رأيْتُ الهوَى جَمْرَ الْغَضا غَيرَ أنَّهُ
علَى كُلِّ حالٍ عِنْدَ صاحِبِهِ حُلْوُ

٦ ـ أذابَ الْهوَى جِسْمى ولَحْمِى وقُوَّتى
فلَمْ يَبْقَ إلا الرُّوحُ والجَسَدُ النِّضْوُ

[من الكامل]

وقال أيضاً:

١ ـ قَطَّعْتُ منْكِ حَبائِلَ الآمالِ
وحَطَطْتُ عَنْ ظَهْرِ المَطِيِّ رِحالى

٢ ـ ويَئِسْتُ أنْ أبْقَى لِشَيْءٍ نِلْتُ مِمَّا
فيكِ يادُنْيا وأَنْ يَبْقَى لى

٣ ـ ووَجَدْتُ بَرْدَ الْيأسِ بيْنَ جَوانحى
وأَرَحْتُ من حَلِّى ومِنْ تَرْحالى

٤ ـ ولَئِنْ طَمِعْتُ لَرُبَّ بَرْقَةِ خُلَّبٍ
بَرَقَتْ لِذِى طَمَعٍ ولَمْعَةِ آلِ

٥ ـ مـا كـان أشأَمَ إذْ رَجـاؤك قَاتلى

وبَنَاتُ وَعْدِك يعْتَلجْنَ ببـــــالى

٦ ـ الآنَ يا دُنْيـا عرفْتُك فـــاذْهَبى

يــــــــا دار كُلِّ تَشَتُّتٍ وزَوَال

٧ ـ وَالآنَ صــارَ لى الزَّمــانُ مُؤَدِّباً

فـغَـدَا عَـلَـيَّ وَرَاحَ بـالأَمـْثـال

٨ ـ والآنَ أَبْصَرْتُ السَّبِيلَ إلى الْهُدَى

وَتـفَرَّغَتْ همَمِى عَنِ الأَشْغـــــال

٩ ـ ولَقَدْ أَقَامَ لِى الْمَشِيبُ نُعَـــاتَهُ

يُفْضـــــى إلـــــىَّ بمفْرَقٍ وقَذَال

١٠ ـ ولَقَد رَأَيْتُ الْمَوْتَ يَبْرُقُ سَيْفُهُ

بيَدِ الْمنيَّة حَيْثُ كُنْتُ حيـــــالى

١١ ـ ولقَدْ رَأَيْتُ عُرى الحَيَاة تَخَرَّمَتْ

وَلَقَدْ تَصدَّى الْوارثـــــون لمَالـــى

١٢ ـ ولَقَدْ رَأَيْتُ علـــــى الْفنَاء أدلَّةً

فـيـمــا تَنَكَّرَ مِنْ تَصرُّفِ حــالى

١٣ ـ وإذا اعْتَبَرْتُ رَأيــتُ حَطَّ حَوادِثٍ

يَجْريـــــنَ بـــــالأَرْزَاقِ والآجَال

١٤ ـ وإذا تَنَاسَبَت الرِّجــالُ فَمـا أَرَى

نَسَبـــا يُقَاسُ بِصـــالِحِ الأَعْمَال

١٥ ـ وإذا بَحَثْتُ عَنِ الــتَّقِيِّ وَجَدْتُهُ

رَجُلاً يُصَدِّقُ قَوْلَهُ بِفِعَال

١٦ - وإذا اتّقَى اللهَ أمْرُؤٌ وأطـــــاعَهُ
فَتَراهُ بيْنَ مكـــــــــــارِمٍ ومَعَالِ

١٧ - وعَلَى الـتَّقىِّ إذا ترَسَّخَ فـى التُّقَى
تـاجـــانِ تـــاجُ سَكِينـةٍ وجَــلالِ

١٨ - واللَّيْلُ يَذْهَبُ والنَّهـــارُ تَعــاوراً
بالْخَلْقِ فـــــى الإدْبـــــارِ والإقْبَالِ

١٩ - وبِحَسْبِ مَنْ تُنْعَى إليْهِ نَفْسُه
منْهُـمْ بأيَّــامٍ خَـلَـتْ وليَــــــالِ

٢٠ - اضْرِبْ بطَرْفِك حيْثُ شئْتَ فأنْت فِى
عــبَرٍ لَــهُـــنَّ تَـــدارُكٌ وتَــوَالِ

٢١ - يَبْلَى الجَديدُ وأنـتَ فِى تَجْديـده
وجَمِيعُ مـــا جـدَّدتَ منْهُ فَبَـالِ

٢٢ - يا أَيُّهـــا الْبَطِرُ الَّذى هُوَ مِنْ غَدٍ
فـــى قَبْــــرِهِ مُتَفَــرِّقُ الأَوْصـــالِ

٢٣ - حَذَفَ الْمُنَى عَنْهُ الْمُشَمِّرُ فِى الْهُدَى
وأَرَى مُنـــاكَ طَـــوِيلَـــةَ الأَذْيَـــالِ

٢٤ - ولَقَلَّ مـــــــا تَلْقَى أغَرَّ لنفْسه
مِنْ لاعِبٍ مَرِحٍ بِهَـــا مُخْتَـــالِ

٢٥ - يـــا تَاجِرَ الْغَىِّ الْمُضِرَّ بِرُشْده
حتَّى متَى بالْغَىِّ أنـــتَ تُغَالِــــى

٢٦ - الحَمْدُ للّهِ الحَمــــــــيدِ بِمَنِّه
خَسِرَتْ ولَمْ تَرْبَحْ يَدُ الْبَطَّالِ

٢٧ ـ لِلّهِ يَــوْمٌ تَقْشَــعِرُّ جــلُودُهُــمْ
وتَشِيـــــبُ مِنْهُ ذَوائِبُ الأَطْفَــــالِ
٢٨ ـ يَوْمُ الــنَّوازِلِ والــزَّلازِلِ والْحَوا
مِلِ فـــيـــه إذْ يقْذِفْنَ بالأَحْمَـــالِ
٢٩ ـ يَوْمُ الــتَّغابُنِ والــتَّبايُنِ والــتَّوا
زُنِ والأمُــورِ عَظِيــمــةِ الأَهْــوالِ
٣٠ ـ يَوْمُ يُنَادِى فــيـــه كُلُّ مُضَلَّلٍ
بِـمُــقَــطَّـعـــــاتِ النَّارِ والأغْلالِ
٣١ ـ لــلْمُتَّقِينَ هُنـــاكَ نُزْلُ كَرَامَةٍ
عَلَتِ الـــوُجُوهَ بنـــضْرَةٍ وَجَمـــالِ
٣٢ ـ زُمَرٌ أضاءتْ لِلْحِسابِ وجُوهُها
فَلَهَا بَرِيــــــقٌ عِنْدَهُ وتَلالـــــــى
٣٣ ـ وَسَوابِــقٌ غُـــرٌّ مُحَجَّلَةٌ جَــرَتْ
خُمْصَ الْبُطُـونِ خَفِيـــــفَةَ الأَثْقَالِ
٣٤ ـ مِنْ كُلِّ أَشْعَثَ كَــانَ أَغْبَرَ ناحِلاً
خَلَقَ الـــــرِّداءِ مُرَقَّعَ الـــــسِّرْبَالِ
٣٥ ـ نَزَلـــــــوا بِأَكْرَمِ سيِّدٍ فَأَظَلَّهُمْ
فـــى دارِ مُلْكِ جَلالَـــةٍ وَظِـــلالِ
٣٦ ـ حِيَلُ ابْنِ آدَمَ فى الأُمُورِ كَثِيــرَةٌ
والمَوْتُ يَقْطَــعُ حِيـلَةَ المُحتــــــالِ
٣٧ ـ ومن النُّعَارة إلى ابن آدم نَفَسُــهُ
حـــــرك الخطـى وطلوع كـلِّ هلالِ

٣٨ ـ مـا لى أراك لحرّ وجْهك مُخْلقاً

أَخْلَقْت يا دُنيــا وُجــوه رِجــالِ

٣٩ ـ قِسْتُ السُّؤالَ فكانَ أعظمَ قيــمَةً

مِنْ كُلِّ عـــــارِفَةٍ أَتَتْ بِسُــؤَالِ

٤٠ ـ كُنْ بالسُّؤالِ أشدَّ عــقْدِ ضَنانةٍ

ممَّنْ يضنُّ علَيْكَ بـــــالأَمْوَالِ

٤١ ـ وَصُنِ المَحَامدَ مـا اسْتَطَعْتَ فـإِنَّها

فـــى الْوَزْنِ تَرْجَحُ بذْلَ كُلِّ نـــوالِ

٤٢ ـ ولَقَدْ عجِبْتُ مِنَ الْمثْمرَ مـا لَهُ

نَسِيَ الْمثْـــمِرُ زِيـــنَةَ الإِقْـــلالِ

٤٣ ـ وإذا امْرُؤٌ لَبِسَ الـشُّكـوكَ بِعزْمِه

سلكَ الـطَّرِيقَ علَى قُعـــودِ ضَلالِ

٤٤ ـ وإذا دعَتْ خُدَعُ الْحَوادِث دَعْوَةً

شَهِدَتْ لَهُنَّ مَصـــــارِعُ الأَبـطـالِ

٤٥ ـ وإذا ابْتُلِيتَ بِبَذْلِ وَجْـهِكَ سائلاً

فـــابْذُلْهُ لِلْمُتَكَرِّمِ الْمـــفْـضَـــالِ

٤٦ ـ وإذا خَشِيــتَ تَعذُّراً فـــى بلْدَةٍ

فـــاشْــددْ يَدَيْكَ بِعـــاجِلِ التَّرحـــالِ

٤٧ ـ واصْبِرْ عَلَى غِيَرِ الزَّمـانِ فإنَّمـا

فَرَجُ الـشَّدائـد مثْلُ حَلِّ عِقـــــالِ

وقــال: [من مجزوء الكامل]

١ ـ لَهْفى علَى الزَّمنِ الْقَصيـــــر

بيْنَ الْخَوَرْنَقِ والـــــسَّديـــــرِ

٢ ـ إذْ نَحنُ فِى غُرَفِ الْجَنا

نِ نَعُومُ فِى بَحْرِ السُّرورِ

٣ ـ فِى فِتْيَةٍ ملّكوا عنا

نَ الدَّهْرِ أمْثالِ الصُّقُورِ

٤ ـ ما مِنْهُمُ إلا الْجَسُو

رُ علّى الهوَى غَيْرُ الْحَصُورِ

٥ ـ يتَعَاوَرُونَ مُدامَةً

صَهْباءَ مِنْ حلَبِ الْعَصِيَرِ

٦ ـ عَذْراءَ ربَّاها شُعا

عُ الشَّمْسِ فِى حرِّ الْهَجِيرِ

٧ ـ لَمْ تُدْنَ مِنْ نارٍ ولَمْ

يَعلَقْ بِها وضَرُ الْقُدورِ

٨ ـ ومُقَرْطَقٍ يَمْشِى أمَا

مَ الْقَوْمِ كَالرَّشاءِ الْغَرِيرِ

٩ ـ بِزُجاجَةٍ تَسْتَخْرِجُ السِّرَّ

الدَّفِينَ مِنَ الضَّمِيرِ

١٠ ـ زَهْراءَ مِثْلِ الْكَوْكَبِ الدُّ

رِّىِّ فِى كَفِّ الْمُدِيرِ

١١ ـ تَدَعُ الْكَرِيمَ ولَيْسَ يَدْ

رِى ما قَبِيلٌ مِنْ دَبِيرِ

١٢ ـ ومُخَصَّراتٍ زُرْنَنا

بَعْدَ الْهُدُوُّ مِنَ الْخُدُورِ

١٣ - ربـــاً روادفـــهن يلبـــسن
الخواتـــم فـــى الخصـــور
١٤ - غـــرُّ الوجـــوه محجبـــا
ت قـــاصرات الطرف حور
١٥ - متنعمـــات في النعـــيم
مضمخـات بالعـــبير
١٦ - يرفلـــن في حلل المحـــا
سن والمجاسد والحريـــر
١٧ - مـــا إن يرين الشمس إ
لا الفرط من خلل الستـــور
١٨ - وإلى أمين الله مهر
بنا من الدهـــر العثـــور
١٩ - وإليه أتعبنا المطـــا
يـــا بالرواح وبالبكـــور
٢٠ - صعر الخدود كأنمـــا
جنحن أجنحة النســـور
٢١ - متسربلات بالظـــلا
م على السهولة والوعـــور
٢٢ - حتى وصلن بنا إلى
رب المدائن والقصـــور
٢٣ - مـــا زال قبل فطامه
في سن مكتهل كبيـــر

أبو يعقوب الخريمى
(ت ٢١٢ هـ)

هو اسحق بن حسان بن قوهي أبو يعقوب، خراسانى الأصل من أبناء السفد، ولد في الجزيرة الفراتية وسكن بغداد، وينص ابن المعتز فى الطبقات على أنه من نسل الأتراك. كان مولى عثمان بن خريم الذى يقال لأبيه خريم الناعم ومن هنا جاءت نسبته إليه فقيل له الخريمى، ثم اتصل بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة ومدحه ورثاه بعد موته، وقد أدركه الجاحظ وسمع منه، وعمى قبل وفاته، وله فى عماه أشعار كثيرة. وقد اشتهر له قصيدته فى وصف الفتنة التى حدثت بين الأمين والمأمون سنة ١٩٦هـ وكان من نتائجها تدمير بغداد، وقد أورد الطبرى منها خمسة وثلاثين ومائة بيت، مما يدل على طول نفس الخريمى ولم يصل إلينا ديوانه، ولكن قام بجمعه على جواد الطاهر ومحمد جبار المعيبد. ولم تعرف سنة ميلاد الخريمى ولكن وفاته على أرجح الأقوال كانت سنة ٢١٢هـ وأغلب شعر أبى يعقوب الخريمى فى المديح، وفيه يقول ابن المعتز: كان يمدح الخلفاء والوزراء والأشراف فيعطى الكثير، وقد مدح يحيى البرمكى والحسن بن البحباح البلخى كاتب الفضل بن يحيى البرمكى كما مدح المأمون وأبا دلف قائده.

كذلك يتضح لنا من شعره بعده عن المجون، الذى كان يغرق فيه معظم معاصريه.

ومن أشعاره الجميلة التى يعزى بها نفسه عن عماه فى آخر حياته.

فإن تك عينى خبا نورها
فكم قبلها نور عين خبا

فلم يعتم قلبى ولكنما
أرى نور عينى إليه سرى

فأسرج فيه إلى نوره
سراجا من العلم يشفى العمى

ويصفه الجاحظ فى بعض المواضع من البيان والتبيين بأنه أبو يعقوب الأعور، ويبدو أنه كان كذلك قبل أن تصاب عينه الأخرى. وفى روايات الجاحظ عنه ما يدل على أنه كان صاحب حكمة وبلاغة ورأى، كما كانت له قدره على التذوق النقدى.

وقال أبو يعقوب الخريمى فى مفهوم الصداقة وفى الفخر بشمائله:

١ ـ أُسرُّ خليلى شاهدا وأبرّه
وأحفظه بالغَيْب حين يغيب

٢ ـ وإنى لسهلُ الوجه للمبتغى النّدى
وإن فنائى لِلقَرى لرحيب

٣ ـ أضاحك ضيفى قبل إنزال رحله
ويُخْصِب عندى والمحلُّ جدِيب

---

(١) شاهدا: حاضرا، أبره ـ أقدم إليه المعروف. الغيب: عدم الحضور.
(٢) الندى: الكرم والعطاء. القرى: ما يقدم للضيف من بر.
(٣) إنزال الرحل: دلالة على نية الاقامة، والشطر الثانى للدلالة على أن الشاعر لا يقصر فى إكرام ضيفه ولو كان فى ضائقة.

٤ ـ وما الخِصب للأضياف أن يكثر القرى

ولكنما وجه الكريم خصيب

٥ ـ وإنى لتصفو للخليل سريرتى

وقد جعلت أشياء منه تُرِيب

٦ ـ أعاتبه مَزْحا وأعْرِض بالتى

لها بين أثناء الضلوع دبيب

٧ ـ أخاف لجاجات العتاب بصاحبى

وللجهل من قلب الحليم نصيب

٨ ـ ليحيا دفينٌ من مودة بيننا

فيُخلف ظن أو يثوب غريب

٩ ـ فإن فاء لم أعدد عليه ذنوبه

وهل بعد فيئات الرجال ذنوب

١٠ ـ وإن لجّ فى هجرى صفحت تكرُّما

لعل الحِجا بعد الغُرُوب يثوب

١١ ـ وصُنتَ أديمَ الوجه منه ولم يزل

وقائى له حتى يزُولَ عسيب

١٢ ـ ولم أُفْشِ سراًّ كان بينى وبينه

وللسر راعٍ حافظ ورقيب

١٣ ـ فإنى لذو قلبين: قلبٌ مُشيّعٌ

وقلب جبان إن سألت هيوب

---

(١٠) الحجا: العقل والرشد، الغروب: البعد.

(١١) العسيب: جبل معروف بعالية نجد، ومن الأقوال المشتهرة عند العرب: لا أفعل كذا ما أقام عسيب، والشاعر يقصد أنه سيظل محافظا على كرامة صديقه إلى الأبد.

(١٣) المشيع: الشجاع.

١٤ ـ جَرِيٌّ على مازِيّن العرضَ هائب
لتلك التى يُخْزَى بهــا ويَحــوب

١٥ ـ أشاور أهل الرأى فيما ينوبُنى
وإن كـــان لى رأى أحـــد صليب

١٦ ـ فما أر لا يشْكل علىَّ صوابُه
وأحـدس فـيمـا لا أرى فـأصـيب

١٧ ـ ولا أدعى بالجـهل علما لسائل
ولا أحـسـد المسئولَ حين يجـيب

١٨ ـ ولا أسأل الولدان عن وجه جارتى
بعـيـدا ولا أرعـاه وهو قـريب

---

(١٤) يحوب: يرتكب الإثم.

(١٥) ينوبنى: يصيبنى من أحداث الزمان، الصليب: القوى الشديد.

(١٦) أرعاه: أنظر إليه وأتأمله.

علي بن جبلة
(ت ٢١٣ هـ)

هو على بن جبلة بن عبدالله الابناوى، ويكنى أبا الحسن، ويلقب بالعكوك، من أبناء الشيعة الخراسانية، من أهل بغداد، وبها نشأ. وكان ضريراً. وقد شهر بالمدح، واستنفد شعره فى مدح أبى دلف القاسم بن عيسى العجلى، وأبى غانم حميد بن عبدالحميد الطوسى، وكان يزيد من تفضيل أبى دلف خاصة حتى فضل من أجله ربيعة على مضر وجاوز الحد فى ذلك، وكان ذلك سبباً فى غضب المأمون عليه، الذى جد فى طلبه حتى ظفر به، فسلّ، فيما تقول بعض الروايات، لسانه من قفاه، ويقال إنه لم يزل متواريا منه حتى مات ولم يقدر عليه، وكانت وفاته سنة ٢١٣هـ:

أللّدهر تبكى أم على الدهر تَجزع
وما صاحبُ الأيام إلا مُفَجَّعُ
ولو سهّلتْ عنك الأسى كان فى الأسى
عزاءُ مُعَزٍّ للبيب ومُقنَعُ
تعزّ بما عزّيْتَ غيرك إنها
سهامُ المنايا حائماتٌ ووقَّعُ
أُصبنا بيوم فى حميد لَو انّه
أصاب عرُوشَ الدهر ظلّت تضعضعُ

وأدبَنا مـــا أدّب الـناسَ قـــبلنا
ولكنه لم يبْقَ للصـــبرِ مـــوضعُ
ألم ترَ للأيام كـــيف تصـــرمت
بـه، وبـه كـــــانت تُذادُ وتُدفـعُ
وكيف التقى مثْوًى من الأرض ضيقٌ
على جـبل كـانت به الأرضُ تُمنعُ
ولما انقــضت أيامُه انقــضَت العلَا
وأَضـحى به أنفُ الندى وهو أجـدعُ
وراح عــدوُّ الدينِ جــذلانَ ينتــجى
أمَانـيَّ كـانت فى حـشـاه تقطَّعُ(١)
وكـان حــمـيـدٌ معــقِلا ركـعتْ بـه
قـواعـدُ مـا كـانت على الضّيم تركعُ
وكنت أراه كـــالرزايا رُزِئتُهـــا
ولم أدرِ أنّ الخلق تبكيـــه أجـــمعُ
حِمـــامٌ رمـــاه من مــواضعِ أمنه،
حمامٌ كذاك الخَطب بالخطب يُقدعُ(٢)
وليس بغُروٍ أن تُصـيبَ منَيـةٌ
حمِى أخـــتِهـــا أو أن يَذِلَّ المُمنَّعُ
لقــد أدركتْ فــينا المنايا بثـأرها،
وحلَّت بـخـطـبٍ وهْيُه لـيس يُرقـعُ

(١) انتجى القوم: تساروا.
(٢) يقدع: يكف.

نَعَاءِ حـــمُيـــداً للســـرايا إذا غـــدت
تُذاد بـأطراف الـرمـــــاح وتُوزَعُ(٣)
وللمُرهقِ المكروبِ ضـــاقت بأمـــره
فلَم يـدرِ فى حـومـاتهـا كـيف يصنعُ
وللبـيض خلّتـهـــا البـعـولُ ولم يَدَعْ
لهـا غـيـرهَ داعى الصّياح المفزّعُ(٤)
كـــأن حمُـيـــداً لم يقّد جـيـش عـسكرٍ
إلـى عـــسكر أشـــيـــاعـــه لا تُروَّعُ
ولم يبـعثِ الخـيلَ المغـيـرةَ بالضُّحى
مِراحـــاً ولم يـرجع بـهـــا وهـى ظُلَّعُ
رواجعُ يحـــملن النّهـــابَ ولم تكن
كــــتـــائبُه إلا على النهب ترجعُ
هَوى جبلُ الدنيا المنيعُ وغيثُها المَريع
وحـــامـــيـــهـــا الكمىُّ المشـــيَّعُ(٥)
وســـيفُ أمـــيـــر المؤمنين ورمـــحُه
ومفـتـاحُ باب الخطبِ والخطب أفظعُ
فـــأقنعه من مُلكه وربـاعـــه
ونـائله قـــفـــرٌ من الأرضَ بلقعُ(٦)
على أىِّ شـجـوٍ تشـتكى النفسُ بعـده
إلى شـجـوه أو يذخـر الدمعَ مـدمعُ

(٣) نعاء (بالبناء على الكسر): كانت العرب إذا مات منها ميت له قدر ركب راكب فرسا وجعل يسير فى الناس ويقول: «نعاء فلانا» أى أنعه.

(٤) لعلها : داعى الصياح!

(٥) المشيع: الشجاع كأنه قد شيع قلبه بما يركب كل هول، أو بقوة قلبه.

(٦) الرباع: جمع ربع، وهى الدار حيث كانت.

ألم تر أن الشمس حال ضياؤها
عليه وأضحى لونُها وهو أسفعُ
وأوحشت الدنيا وأودى بهاؤها
وأجدبَ مرعاها الذى كان يُمرعُ
وقد كانت الدنيا به مطمئنّةً
فقد جعلت أوتادُها تتقلع
بكى فقدَه روحَ الحياة كما بكى
نداء الندى وابنُ السبيل المدفّعُ
وفارقتِ البيضُ الخدورَ وأبرزَت
عواطلَ حسرى بعده لا تقنّعُ
وأيقظ أجفانا وكان لها الكرَى
ونامت عيونٌ لم تكن قَبلُ تهجعُ
ولكنه مقدارُ يوم نوى به
لكلٍّ امرئ منه نِهالٌ ومشرَعُ
وقد رأبَ الله الملا بمحمدٍ
وبالأصل ينمِى فرعَه المتفرِّعُ
أغرُّ على أسيافِه ورماحه
تقسَّم أنفالُ الخَميس وتجمَعَ(٧)
حوى عن أبيه بذَل راحته النَّدى
وطعن الكُلى والزاعبية شرّعُ(٨)

(٧) الخميس: الجيش.
(٨) الزاعبية: الرماح منسوبة إلى رجل اسمه زاعب، وقيل انها التى إذا هُزت كانت كالسيل الزاعب أى الدافع.

(٢) وقال أيضاً (*):

ذاد وردَ الغيِّ عن صدره
وارعوى واللهو من وَطرِهْ
وأبت إلا البكاء له
ضحكاتُ الشيب فى شَعَرِهَ
ندمى أن الشبابَ مضى
لم أبلغه مدى أَشَرِهْ
وانقضَت أيامه سلَماً
لم أجِدْ حوَلاً على غِيَرِهْ(١)
حسَرَت عنى بشاشتُهُ
وذوى المحمود من ثمرِهْ
ودم أهدَرتُ من رشاٍ
لم يرد عقلاً على هدرِهِ(٢)
فأتتْ دون الصِّبَى هنَةٌ
قلبت فوقى على وترِه(٣)
جارتا ليس الشبابُ لمِنْ
راح محنياً على كِبرِهْ

(*) قال على بن جبلة هذه القصيدة فى مديح أبى دلف بعد قتله الصعلوك المعروف بقرقور، وكان من أشد الناس بأساً. فكان يقطع على الناس والقوافل هو وغلمانه حتى قدر عليه أبو دلف وقتله. وقد أغاظت القصيدة المأمون عند سماعه لها، فقال: لست لأبى إن لم أقطع لسانه أو أسفك دمه، وذلك لما فيها من مبالغة فى مديح أبى دلف وإعلاء شأنه.

(١) حولا: قوة وقدرة على التصرف.

(٢) عقلا: دية.

(٣) الفوق: مشق الرأس للسهم حيث يقع الوتر.

ذهبتْ أشــيـــاءُ كنت لهـــا

صــــــارها حلمى إلى صَورهْ(٤)

دعِ جــدا قــحطان َأو مُضَرَ

فى يمانيــه وفى مُضـــرهْ

وامـتــدح من وائلٍ رجُلاً

عَصَرُ الآفاق فى عَصَره(٥)

المنايا فى مــقــانبــه

والعطايا فى ذراَ حُجَره(٦)

مَلِكٌ تــنــدَى أنــامــلــه

كانبلاج النَّوءِ عن مطره

مُســتــهلّ عن مــواهبــه

كابتسام الرَّوض عن زَهَرَهْ

جـــبل عــزّت مناكبُه

أمنَتْ عــدنانُ فى ثُغَرهْ

إنمــا الـدنـيــــا أبو دلف

بين باديه ومـحــتـضــرهْ

فــــإذا ولّى ًأبو دلـف

ولّت الـدنيـــا علَى أثرهْ

لست أدرى مـــا أقــول لـه

غـــيــر أنّ الأرض فى خـــفرَهْ

(٤) صارها: أمالها. وصوره: ميله.

(٥) العصر: الملجأ والنجاة.

(٦) المقانب: جمع مقنب، وهو جماعة الخيل تجتمع للغارة. والمقنب أيضاً: كف الأسد. والذرا: الفناء من الدار ونواحيها.

يا دواء الأرض إن فسدت
ومُديل اليُسر من عُسُره
كلُّ من فى الأرض من عربٍ
بين بادية إلى حضَره
مُستعيرٌ منك مكرمةً
يكتسيها يوم مُفتخره

(٣) وقال أيضاً:*

علّلانى بصفوِ ما فى الدّنانِ
واتركا ما يقوله العاذلانِ
واسبقا فاجع المنيةِ بالعـ
ـيش فكلٌّ على الجديدين فانى[1]
عللانى بشَربة تُذهب الهمَّ
وتنفى طوارق الأحزانِ
وانفثا فى مسامعٍ سدها الصو
مُ رُقَى الموصِلىِّ أو دَحمانِ
قد أتانا شوالُ فاقتبِل العيـ
ـش وأعدى قسراً على رمضان[2]
نعم عونُ الفتى على نُوب الدهـ
ـرِ سماعُ القيان والعيدان

* قال هذه القصيدة فى مديح حميد الطوسى، بعد رمضان فأثابه عليها بعشرة آلاف.
(١) الجديدان: الليل والنهار.
(٢) قسراً: قهرا: وغلبة على كراهة منه!

وكــــئوسٌ تجــــرى بمـاء كــــرومٍ

ومَطيُّ الكئــــوسِ أيدى القـــيــــان

من عُقــارٍ تميت كلَّ احـــتـــشـــامٍ

وتَســـرُّ الندمــــانَ بالندمـــانِ[3]

وكـــأنَّ المزاج يقــــدحُ منهــــا

شَرراً فى ســبــائك العــقــيــانِ

فــاشــربِ الراحَ واعْصَ من لام فـيـهـا

إنـهـــا نِعم عُدةُ الفــــتـــيــــانِ

واصـــــحب الدهر بارتحــــالٍ وحلٍّ

لا تـخـفْ مـــا يـجـــره الحـــادثان

حــسبُ مــســتظهــرٍ على الدهر رُكناً

بحــــمـــيـــد رِدءاً من الحــــادثانِ

مـلـك يـقــــــتـنـى المكارم كـنـزاً

وتراه من أكـــــرم الفِـتـــيــــانِ

خُلقت راحــتـــاه للجــهـــود والبـــأ

س وأمـــــواله لـشُكر اللســـــانِ

ملَّكته عـلـى الـعـــــبـــــاد معَدٌّ

وأقــــــرت لـه بـنـو قــــحطانِ

أريحىُّ الندى جـــمــــيل المُحـــياً

يدُه والســــمــــاحُ مُعـــتــــقِدانِ[4]

وجـهـه مـشـرقٌ إلى مُعـتـفـيـه

ويداه بـالـغـــيـث تنفـــجـرانِ

(٣) العقار: الخمر، ومن كل شيء خياره.

(٤) الأريحى: الواسع الحلق، النشيط إلى المعروف.

جـعل الدهر بين يومـــيــه قــسـمــيـــ
ـــن بعـــرفٍ جـــزلٍ وحـــرٍّ طعـــانِ
فـــإذا ســـار بالخـــمـــيس لحـــربٍ
كلَّ عن نصٍّ جَريه الخـــافــقـــانِ
وإذا مـــــا هزرتـه لـنـوال
ضـاق عن رحب صـــدره الأفـقـان
غــــيثُ جــــدْب إذا أقـــام ربيعٌ
يتـــغــــشّى بالسَّيبِ كلَّ مكانِ
يـا أبـا غـــــانمٍ علـى الـدهــــ
ــر وخلُدت مــا جـرى الـعـصـرانِ
مـــا نبـــالى إذا عدَتك المنايا
من أصـــابت بكلكلٍ وجـــرانِ
قـــد جــــعلنا إليك بعثَ المطايا
هـربـاً مـن زمـــــانــنـا الخوّانِ
وحـــملنا الحـاجـات فــوق عـتـــاق
ضـــامنات حـــوائج الرُّكـــبـــانِ
ليس جـــودٌ وراء جـــودك ينتــــا
بُ ولا يعْتـفى لغـيـرك عــانى (٥)

(٥) اعتفاه: أتاه يطلب معروفه.

ابن أبى عيينة
(ت ٢١٨ هـ)

وهو محمد بن أبى عيينة بن المهلب بن أبى صفرة، وكنيته أبو المنهال، شاعر مطبوع ظريف غزل هجاء، أنفذ أكثر أشعاره فى هجاء ابن عمه خالد، وكان يهوى فاطمة بنت عمر بن حفص الملقب هزار مرد، وكانت امرأة نبيلة شريفة، وكان يخاف أهلها أن يذكرها تصريحا ويرهب زوجها عيسى بن سليمان فكان يقول الشعر فى جارية لها تسمى دنيا، وكانت قيمة دارها والية أمورها كلها، وله فيها أشعار كثيرة.

ويعود سبب هجائه لخالد بن يزيد أنه دعاه إلى الذهاب معه إلى جرجان ووعده ومناه، ولكنه أخلف وعده وتشاغل عنه وجفاه، فطعن عليه وبسط لسانه فيه وذكره بكل قبيح، وتوفى على أرجح الأقوال سنة ٢١٨هـ.

(١) وقال فى دنيا:

أنا الفارغ المشغول والشوقُ آفتى
فلا تسألونى عن فراغى وعن شغلى
عجبت لترك الحب دُنيا خليَّةً
وإعراضه عنها وإقباله قبلى
وما بالها لما كتبت تهاونت
بكتبى وقد أرسلتُ فانتهرتْ رُسْلى

وقـــد حلفتْ ألا تخطَّ بكفــهـــا
إلى قـــــابلٍ خطّاً إلىَّ ولا تُملى
أبخـــلاً علينا كلُّ ذا وقطيـــعـــةً
قـضيتُ لدنيـا بالقطيـعـةِ والبُخلِ
سَلوا قلبَ دنيـا كـيف أطلقـه الهـوى
فقد كـان فى غُلٍّ وثيقٍ وفى كبلِ(١)
فإن جـحدت فـاذكـر لهـا قصرَ معبدٍ
بمنْصفٍ مـــا بين الأبْلّة والحبَلِ
وملعـــبنَا فى النهـــر والماءُ زاخـــرٌ
قرينين كـالغصنين فرعين فى أصلِ
ومن حـولنا الريحـان غـضـا، وفـوقنا
ظلال من الكرم المعـــرَّش والنخلِ
إذا شـئتُ مـالتْ بى إليـهـا كـأننى
إلى غصن بانٍ بين دِعصين من رمل(٢)
ليـالىَ ألقانى الهوى فـاستـضـفتُها
فكانت ثناياها بلا حـشـمـة نُزْلى
وكم لذة لى فى هواها وشـــقـــوة
وركـضى إليـهـا راكـباً وعلى رجْلى
وفى مـأتم المهـدىّ زاحـمتُ رُكنهـا
برُكنى وقد وطَّنت نفسى على القتل

(١) غل: طوق من حديد أو جلد يجعل فى عنق الأسير أو المجرم أو فى أيديهما، وهو شدة العطش وحرارته أيضاً. والكبل: القيد من أى شىء كان.
(٢) الدعص: قطعة من الرمل مستديرة.

فبتنا على خوف أسكّن قلبها

بيسراى واليمنى على قائم النصل

فياطيبَ طَعمِ العيش اذ هى جارةٌ،

وإذَ نفسها وإذ أهلُها أهلى

وإذ هى لا تعتلُّ عنى برِقبة،

ولا خوفِ عينٍ من وشاةٍ ولا بعلِ(٣)

فقد عفَتِ الآثارُ بينى وبينَها

وقد أوحشتْ منى إلى دارها سُبْلى

ولما بلوتُ الحبَّ بعد فراقها

قضيتُ على أمِّ المحبين بالثُّكلِ(٤)

وأصبحت معزولاً وقد كنت والياً،

وشتّان ما بين الولاية والعَزل

(٢) وقال يمدح إسماعيل بن جعفر بن سليمان والى البصرة:

من أوحشته البلاد لم يُقم

فيها ومن أنسته لم يَرِمِ

ومَن يبت والهمومُ قادحةٌ

فى صدره بالزِّناد لم ينَمِ

ومَن يرَ النقص من مواطِنه

يُزل عن النقص موطئَ القدمِ

والقربُ ممن ينأى بجانبه

صدعٌ على الشعبِ غير ملُتئمِ

(٣) رقبة: التحفظ والفزع.

(٤) الثكل: فقد الحبيب.

وربَّ أمـــر يَعـــيـــا اللبـــيبُ بـه

يـظلُّ مـنـه فـى حَيـــــــرة الـظُّلمِ

صَبـــرٌ عليـــه كظمٌ على مَضضٍ

وتـركُه مـن مــــــــراتـع الـنَّـــدمِ

يا ذا اليـــمـــــيـنـين لم أزرْك ولـم

آتـك مــن خلَّةٍ ولا عــــــــــــدمِ

إنـــى مــن الـلّـه فـــى مُراح غنـــىً

ومنـتــــــــــدى واسـعٍ وفـى نِعَمِ

زارتـك بـى هـمةٌ مـنـازعــــــــةٌ

إلـى العـــلا من كــــرائم الـهـــمِ

وإننـى للجـــمـــيـل مـــحـــتـــمِلٌ

فى الـقـدرِ من منصبى ومن شـيَمى

وقـــد تـعلّقت منـك بـالذِّمم الكُـــ

ـــبـرى التى لا تـخـيب فـى الذِّممِ

فـــإن أنل بغُيـــتى فـــأنت لـهـــا

فـى الحقِّ حق الـرجــــاء والـرَّحمِ

وإن يَعُق عــــــائق فلستَ علـى

جــــمــــيل رأيٍ عندى بمتَّهمِ

فى قــــدَرِ الله مـــا أُحـــمِّله

تعـــويقَ أمـــرى فى اللّوح والقلَم

لم يَضِق الـصَّبـــرُ والفِجـــاج على

حُرٍّ كـــريم بالصَّبـــر مُعـــتـــصمِ

مـاضٍ كـحـدِّ السِّنان فى طَرف الـ
ـعـامِلِ أوحـدُ مـصلتٍ خذِم[1]

إذا ابتـلاهُ الزمـان كـشَّفـه
عـن ثـوب حُرِّيَّة وعـن كرَم

مـا سـاء ظنى إلا بـواحـدة
فى الصـدر مـحـصـورة عن الكلِمِ

لِيَهْنِ قـومـا جُزت المَدى بـهمُ
ولم تُقـصِّر فـيـهم ولم تُلِم

وليس كلُّ الدلاء راجـعـةً
بالنصف من ملئِهـا إلى الوَذَم[2]

ترجعُ بالحـمـأة القليلة أحـ
ـيـانا، وزنق الصُّبـابة الأمم[3]

مـا تُنبت الأرضُ كلَّ زهرتهـا
ولا تـعـمُّ الـسـمـاءُ بـالديـمِ

مـا فـيَّ نقصٌ عن كل منزلـةٍ
شـريفـةٍ، والأمـور بالقِسَمِ

(٣) ويقول هاجيا خالد بن يزيد بن حاتم والى جرجان:

ألا خـبِّروا إن كـان عندكم خبَـرْ
أنقـفلُ أم نثوى على الهمِّ والضَّجـر

نفى النومَ عن عـينى تعرُّضُ رِحلةٍ
بهـا الهمُّ واستولى بها بعده السهر

---

(١) الخذم: القاطع بسرعة. والعامل من الرمح: صدره، وهو ما يلى السنان.

(٢) الوذم: السيور بين آذان الدلو والعراقى، الواحدة وذمة.

(٣) الصبابة: البقية من الماء. والأمم: السير.

فـإن أشكُ من ليلى بجُرجـان طـوله

لقـد كنت أشكو فـيه بالبـصرة الـقصرَ

فـيـا حـبـذا بطنُ الحـزيز وظهـرهُ

ويا حـــسنَ واديه إذا مـــاؤه زَخَرْ

ويا حــبـــذا نـهـــرُ الأبلّة منظراً

إذا مـــدّ فى إبانه النهـــر أو جزَرْ(١)

وفـتـيـانُ صـدق همُّهم طلبُ العـلا

وسيماهُم التـحجيل فى المجد والغُرَرْ(٢)

لعـمرى لقـد فـارقـتهمْ غـيرَ طائعٍ

ولا طيِّبِ نفـســاً بذاك ولا مُقــرْ

وقــــائلـةٍ مـــــاذا نـأى بك عنـهمُ

فـقلت لهـا لا علمَ لى فسَلىِ القـدَرْ

فـيـا سـفــراً أودى بلهـوى ولذتى

ونغّصنى عـيـشى عـدمـتُك من سفَرْ

دعــونى وإيّا خــالدٍ بعــد ســاعــةٍ

سيحمله شعِرى على الأبلق الأغرّ(٣)

كــأنى بِصــدق القـول لما لقـيــتُه

وأعلمتـهُ مـا فـيـه ألقـمـتُه الحـجَرْ

دَنئٌ بـه عـن كل خـــيــــرٍ بلادةٌ

لكل قـبـيح عن ذرا عـيـه قـد حَسَرْ

(١) إبانه: إبان كل شيء، أوانه.

(٢) التحجيل: يقال، مر يحجل فى مشيته، إذا تبختر، وأراد أنهم مشهورون بفعالهم! والغرر: الغرة من القوم، سيدهم وشريفهم. أراد أنهم سادة الناس.

(٣) الأبلق الأغر: الفرس فيه سواد وبياض.

له منظر يُعمى العيونَ سماجةً

وإن يُختَبرْ يوما فيا سوءَ مُختبَرْ

أبوك لنا غيثٌ يُعاش بوبْله

وأنت جرادٌ ليس تُبقى ولا تذر

له أثرٌ فى المكرمات يَسرُّنا

وأنت تُعقِّى دائماً ذلك الأثرْ

لقد قنَّعت قحطانُ خِزياً بخالدٍ

فهل لك فيه يُخزك الله يامضَر

محمود الوراق
(ت ٢٣٠ هـ)

محمود بن الحسن الوراق عاش في أواخر القرن الثاني الهجري وأوائل الثالث، ذكرت بعض المصادر أنه مولى بني زهرة، ويبدو أن لقب (الوراق) لم يلحق به مصادفة ولكنه يعني أنه عمل بمهنة الوراقة فترة من حياته، ثم تذكر المصادر أنه كان نخاسا يبيع الرقيق. وواضح من تتبع تاريخ حياته - على قلة ما تذكره المصادر - أنه كان من الشعراء المجان اللاهين، ثم انقطع عن حياة اللهو وهو في نحو الأربعين من عمره، كما نتبين من المصادر، وأن حياته امتدت إلى الثمانين.

وإذا كان محمود الوراق لم يتخل عن مهنة النخاسة بعد تزهده، فقد تخلى عن أسلوب النخاسين في تربية الجواري على الفساد والإفساد ووجههن وجهة صالحة كما يستبين لنا من أخبار جواريه.

وشعر محمود الوراق الذي بقي بعضه أكثره أمثال ومواعظ وأدب. وما من مصدر أدبي يفرد بابا للمواعظ والزهد إلا ويستشهد بأشعار محمود الوراق. ونحس في تلك الأشعار - إلى جانب رقة الشعر وسلامته والوصول إلى المعنى بأيسر سبيل - رقة التفكير وعمق التجربة والاستعانة بالقياس والجدل المنطقي أحيانا، وكانوا يقولون عنه إنه (كثيرا ما ينقل أخبار الماضين وحكم المتقدمين فيحلي بها نظامه ويزين كلامه. وتحدد المصادر وفاة محمود الوراق بعام ٢٣٠هـ.

قال محمود الوراق:

١ - لا تطلبن أثراً بعين ... فالشيب إحدى الميتتين
٢ - أبدى مقابح كل شين ... ومحا محاسن كل زين
٣ - فإذا رأتك الغانيا ... ت رأين منك غُرابَ بَيْن
٤ - ولربما نافسن فيـ ... ـك وكن طوْعاً لليدين
٥ - أيامَ عمّمك الشبا ... بُ وأنت سهل العارِضَيْن
٦ - حتى إذا نزل المشيـ ... ـبُ وصرت بين عمامتين
٧ - سوداء حالكة وبيـ ... ـضاء المناشر كاللُّجين(١)
٨ - مزَجَ الصدودُ وصالهـ ... ـنّ فكنّ أمراً بَيْن بيْن
٩ - وصبرن ما صبر السوا ... د على مصانعةٍ ومَيْن(٢)
١٠ - حتى إذا شمل المشيـ ... ـب فجار قطر الحاجبين
١١ - قَفّيْن شرّ قفيّةٍ ... وأخذن منك الأطيبين(٣)
١٢ - فاقنَ الحياء وسلّ نفـ ... ـسك أو فناد الفرقَدَيْن
١٣ - ولئن أصابتك الخطو ... ب بكل مكروه وشين
١٤ - فلقد أمنت بأن يصيـ ... ـبك ناظرٌ أبداً بعين

وقال محمود الوراق:

١ - ركبوا المراكبَ واغتدوْا ... زُمَراً إلى باب الخليفهْ
٢ - وصلوا البُكور إلى الروا ... ح، ليبلغوا الرتب الشريفه
٣ - حتى إذا ظفروا بما ... طلبوا من الحال اللطيفه
٤ - وغدا المولّى فيهم ... فرحا بما تحوى الصحيفة

(١) اللجين: الفضة
(٢) المين: الكذب
(٣) الأطيبان: النكاح والطعام، وقيل الفم والفرج، وقيل: النوم والنكاح.

٥ ـ وتعَسفوا من تحتهم بالظلم والسير العنيفه
٦ ـ خانوا الخليفة عهده بتعسُّف الطُرق المَخوُفه
٧ ـ باعوا الأمانة بالخيانة واشتروا بالأمن جيفه
٨ ـ عقدوا الشحوم وأهزلوا تلك الأمانات السخيفه
٩ ـ ضاقت قبور القوم واتسـ ـعت قصورهم المنيفه
١٠ ـ من كل ذى أدب ومعـ ـرفة وآراء حصيفه
١١ ـ متفقه جمع الحديـ ـث إلى قياس أبى حنيفه
١٢ ـ فأتاك يصلح للقضـ ـاء بلحية فوق الوطيفه
١٣ ـ لم ينتفع بالعلم إذ شغفته دنياه الشغوفه
١٤ ـ نسى الإله ولاذ فى الدنيا بأسباب ضعيفه

وقال محمود الوراق:

١ ـ أرى دهرنا فيه عجائب جمّة
إذا استُعرِضَت بالعقل ضَلّ لها العقل
٢ ـ أرى كل ذى مال يسود بماله
وإن كان لا أصل هناك ولا فصل
٣ ـ وآخر منسوباً إلى الرأى خاملا
وأنوك مخبولا له الجاه والنبل
٤ ـ فلا ذا بفضل الرأى أدركُ بلغة
ولم أرَ هذا ضرّه النّوْك والجهل

(١٢) المسترخية لكثرة شعرها.
(٣) أنوك: أحمق والنوك الحمق.

٥ - وما العقل فى هذا الزمان لأهله

ولكنّ ذا المال الكثير له الفضل

٦ - فشرّف ذوى الأموال حيث لقيتهم

فقولهم قول وفعلهم فعل

وقال محمود الوراق:

١ - أرانى مع الأحياء حياً وأكثرى

على الدهر ميت قد تخوّنه الدهرُ

٢ - فما لم يمُت منى لما مات ميت

وبعضٌ لبعضٍ قبل قَبْر البلى قبر

٣ - إذا كان شكرى نعمةَ الله نعمةً

علىَّ له فى مثلها يَجبُ الشكر

٤ - فكيف بلوغُ الشكر إلا بفضله

وإن طالت الأيام واتصل العمر

٥ - إذا مسّ بالسراء عمّ سرورُها

وإن مس بالضرّاء أعقبها الأجر

٦ - وما منهما إلا له فيه نعمةٌ

تضيق بها الأوهام والبر والبحر

٧ - فيارب قد أحسنت عوْداً وبدْأةً

إلىّ فلم ينهض بإحسانك الشكر

٨ - فمن كان ذا عذرا لديك وحجة

فعذرى إقرارى بأن ليس لى عذر

وقال محمود الوراق:

١ ـ حَدَّثْتُ باليأس عنك النفَس فانصرفت
واليأسُ أحمدُ مَرْجوٍّ مِنَ الطمعِ

٢ ـ فكُنْ على ثقة أنى على ثقة
ألا أُعلّلَ نفسى منك بالخُدَعَ

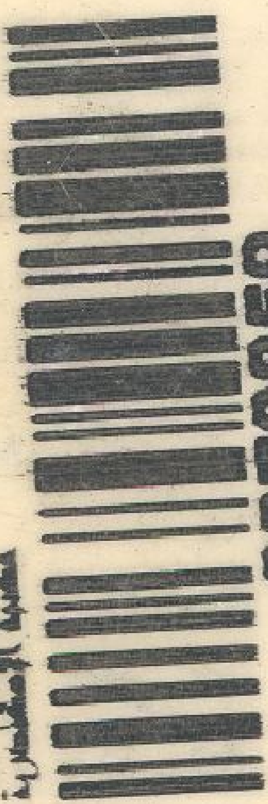
٣ ـ مَحَوْتُ ذكرَك من قلبى ومن أُذُنى
ومن لسانى فَصِلْ إن شئت أو فَدَعِ

٤ ـ إن الذى ببلاد الصين أقربُ لى
وساء مُنْتَجَعاً لو رمتَ منتجعى

٥ ـ إذا تباعد قلبى عنك منصرفا
فليس يُدْنيك منى أن تكون معى

رقم الايداع بدار الكتب ١٤٣٩٠ / ١٩٩٨

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب





مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب